الإسلاموفوبيا
أكذوبة الخطر الأخضر

الاسلاموفوبيا
أكذوبة الخطر الأخضر

حسام كصاي
الطبعة الأولى ، القاهرة ٢٠١٨م
غلاف : أحمد فرج
تدقيق لغوي : خالد رجب عواد
رقم الإيداع : /
I.S.B.N: 978-977-488- -

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذن خطي من الدار

دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : ١٢ ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : ٠١١١١٩٤٧٩٥٧

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر.

الإسلاموفوبيا
أكذوبة الخطر الأخضر

حسام كصاي

دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء

إلى من أثر في صوغ أفكاري وساهم في إعادة تأكيد معتقدي للحياة .. إلى مُهندس المَشّروُع القَوَمي الإسَّلامي

المفكر الدكتور محمد عمارة

تلميذك

من الممكن أن نكون مسلمين دون أن نكون إسلاميين، (بمعنى الأنتماء إلى تيار الإسلام السياسي) ورغم هذا أن هذا التمييز الأولي بديهي، فإن عدداً كبيراً من الناس يجهله.

فرانسوا بورغا

كتاب (الإسلام السياسي: صُوت الجُنوب)

***

"نحن مسلمون وطناً، ونصارى ديناً، اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك، وللوطن انصارا، أللهم اجعلنا نحن النصارى لك، وللوطن مسلمين"

مكرم عبيد

محام شهير، ومفكر قبطي كبير، وزير مالية واتصالات فترة الخمسينات، أحد اعضاء حزب الوفد.

***

"ما حَمْلهُ المُسّلْمون منْ تُراث كان كافيّاً لإيقاظ أوربا من غفوتها وإن لم يحل دونْ عَوّدة المُسلمين إلى غفوتهم ! !"

كوندرسيه

_ ″إن مجتمعاتنا الأوروبية فقدت شيئاً ثميناً جداً تحت وطأة تقدمها الضخم؛ وهو الإنسانية، وأعني بها القيم الروحية البشرية العليا، فقد قطعت حضارتنا تلك الصلة المعنوية التي تربط البشر بعضهم ببعض، لقد جف شعورنا وتجمدت قيمنا الأخلاقية ونحلت″

الجنرال ديغول

***

_ "أننا نجد أنفسنا أثرياء في البضائع ولكن ممزقين في الروح، ونصل بدقة رائعة إلى القمر، وأمّا على الأرض فنتخبط في متاهات ومتاعب كبيرة"

الرئيس الأمريكي نيكسون

***

_ "إن معظم الحضارات التي عرفها الإنسان قد سقطت من الداخل ولم تسقط لأن قوى خارجية استولت عليها"

آرنولد توينبي

***

بَدّل المُقَدَمْة

يعد صعود الحركات الإصولية المتشددة على مسرح التاريخ منذ أكثر من ربع قرن وحتى الآن بمثابة "نقطة التحوْل" الخطيرة، حيث بدأ مفهوم "الجهاد" يطرح نفسه بإلحاح على الباحثين العلميين[1]؛ ويطرح نفسه أكثر على الصعيد الميداني، الذي أرتبط بفكرة القتال و"الذّبح المُتلفز" أي إنه أصبح "حلقة وصل" بين الأصوليات الدينية من جانب، وبين الواقع العملي المُعاش بكل حيثياته وأرهاصاته وتبعاته.

والمعلوم إنْ الأصوليات، كُل الأصوليات في العالم، أكانت تكنوقراطية أم ستالينية، مسيحية أم يهودية أم إسلامية، تشكل اليوم _ بتركيبتها العقدية _ الخطر الأكبر على مستقبل البشرية، فانتصاراتها في عصر لم يعد لنا فيه الخيار إلا بين "الدمار المتبادل والمضمون"، ومن ثم يمكنها أنْ تحبس كل المجتمعات البشرية في مذاهب متعصبة منغلقة على نفسها، وبالتالي متجهة نحو المصادمة[2]، التي

---

[1] هَاشِم صَالح، مُعضلة الأصوليّة الإسْلاميَّة، ط٢، (بيروت: دار الطليعة للنشر، ٢٠٠٨)، ص١٢١.

[2] روجيه غارودي، الأصوليات المعاصرة: اسبابها ومظاهرها، تعريب: خليل احمد خليل، ط١، (باريس: دار الفين للنشر، ٢٠٠٠)، ص١١.

من الممكن أن تعيد توازنات القوى على مستوى العالم، وترتب سلم الأولويات من جديد من خلال إعادة تقسيم الشرق الأوسط الكبير إلى دول مبنية على أسس دينية أو عرقية أو مذهبية، والتي ساعدت على تصدع القيم بين عالمين شرقي (إسلامي) وغربي (مسيحي) صراعاً جذوره الأيديولوجيا الكاذبة والتلفيقات والتقارير الأمنية _ لا التقارير البحثية العلمية الرصينة _، دون الإيضاح بإن الأصوليات لا تكون بالضرورة هدامة أو مقاتلة ومُجْيشة ضد الأصوليات الأخرى، لأن الأصوليات متشابهة في بيئات مختلفة، فلماذا ندعو للمصادمة بينهما، إذا استطعنا أن نترك كل أصولية تعمل وتشتغل في محيطها الخاص بها، ونترك العلاقات الخارجية لسياسات الدول، ودون متناول الأصوليات وقسماتها.

فالمعروف والمُسلم به إن غالبية الأصوليات في العالم هي مجرد منظمات أو مؤسسات أو أحزاب خارج السلطة أو داخل السلطة بنشاط ضعيف لا يستوجب كل ذلك الصراع أو يجنبنا ذلك الصدام أو الحد منه وتجفيف منابعة _ ولو على مستوى الواجهة السياسية للدولة _، لأن الأصولية الشعبية لا تمثل إلا أبناءها المغيبون عن الواجهة العامة لتلك المجتمعات.

ولقد جاء الإسلام مهذَّباً لليهودية والنصرانية ومؤسساً على الحكمة والعزم، هادماً للتشريك بالكلية، ومحكماً لقواعد الحرية

السياسية المتوسطة بين الديمقراطية والأرستقراطية، فأسس التوحيد، ونزع كل سلطة دينية أو تغلبية تتحكم في النفس أو في الأجسام، ووضع شريعة حكمة إجمالية صالحة لكل زمان وقوم ومكان[3] لهذا جاءت رسالته خاتمة للرسالات، ومحمد أخر النبوءات الجامعة للكل.

أي إن الإسلام جاء هادياً للأمم ومنقذاً لها من شرك العبودية باسم الدين، بل وجاء بقيم وتعاليم كانت على اتم وجه الدليل إنه كان خاتم الرسالات على أخر الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) وليس إسلاماً أصولياً يحارب ويجاهد العالم الغربي أو ينصب له العداء، فالإسلام شيء والأصولية الإسلامية شيء أخر والبون شاسع وكبير بينهما، كبوّن المسيحية عن حركاتها الأصولية.

أما بالحديث عن حقيقة "الإسلاموفوبيا"، فإنه الأمر يسبقه تقديم لغوي له صلة وثيقة بموضوعنا، هي إن العالم في ظل الهيمنة الامريكية شهد أربع حروب، خاضتها الادارات الأمريكية المتعاقبة ضد العالم، الأولى هي ضد ألمانيا والدولة العثمانية، والثانية ضد ألمانيا واليابان، والثالثة ضد الاتحاد السوفيتي (بما يعرف الحرب

---

[3] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم: د. أسعد السحمراني، ط٣، (بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٦)، ص٥٠_٥١.

الباردة)، والرابعة القائمة حتى اللحظة هي ضد الإسلام[٤]، والأمر في كل الحروب يبعث تصور مهم إن كل الحروب التي قادتها الولايات المتحدة كانت مع محاور لها سطوتها وحضورها السياسي أو الاقتصادي الفاعل، ألمانيا، اليابان، تركيا، الإسلام أخيراً صار يُمثل اليوم مركز للإشعاع الحضاري، ونقطة لبداية مشروع حضاري وانساني كبير فيما لو نجح المحامي في كسب قضيته وقضية العالم أجمع هو قضية الإسلام.

إذ إن كان الإسلام في بداياته يمثل قمة التفوق والتميز على بقية الأديان والأقوام، تفوقاً ثقافياً ووجودياً مادياً ومعنوياً، بل كان الإسلام في القرون الأولى كان بمثابة (المملكة التي لا تغيب عنها الشمس)[٥] والمنقذ الأول للبشرية، والمشروع المدني الأول، والثقافة الانسانية المُبشرة بسعادة البشر ورفاهيتهم، والحضارة التي قد تكون مصدر إلهام البشرية أجمع، وهو ما كان فعلاً على مر التاريخ.

وأكثر فإن الإسلام مثل قمة الوعي الإنساني وطريق الرّشاد وربيع العقول وطب القلوب، وكان ثروة عظيمة، ثورة تغيير عامة شملت كل

---

[٤] عبد الحي يحيى زلوم، حرب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد، ط١، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥)، ص٧.

[٥] أبراهيم محمود، الفتنة المقدسة: عقلية التخاصم في الدولة العربية الإسلامية، ط١، (بيروت: دار رياض الريس للنشر، ١٩٩٩)، ص٢٩٢.

نواحي الحياة وجوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية والفكرية والادبية، ولم تغفل حتى جانب واحد، كدليل على عمومية وعالمية الإسلام، لكن رغم هذه الوفرة من القيم النبيلة والسامية للإسلام إلا إنه ما زال يعاني من حصار اثيم ومضايقات واضطهاد وتنكيل به حتى في عقر داره، فما بالك في بلاد الغرب التي جعلت منه ديناً إرهابياً، عنفوياً، يدعو للتفرّقة وشق صف الوحدة (كلمة ومجتمع)، وروجت في وسائله الإعلامية بإنه دين يعادي الإنسانية ويضادد الديمقراطية ويرفض الحوار البناء، ويقوم على نظرية المصحف والسيف في نشر قيمه وتعاليمه، وعلى النص والرصاص في حكم العالم، وكم هائل من الافتراءات وسيل جارف من الاتهامات المبنية على نظريات خاطئة لم تجد حظها في الواقع العملي، سعت لها أطراف دولية استخباراتية أكثر مما هي دوائر ومراكز تقييم للظواهر الاجتماعية، وهو السبب الذي دفعنا للكتابة عن الإسلام وعن ظاهرة "الإسَّلاموفوبيا" وتعرية أكذوبة الخطر الأخضر، وتفكيك إشكالية الخوف من الإسلام المفترضة التي راجت ولقيت قبولاً واسعاً في الأوساط الغربية، ومثله في بعض الأطراف العربية الإسلامية التي تنظر للإسلام نظرة ازدراء ورجعيّة توافقاً واتساقاً مع طروحات الناتجة عن نظريات الفكر السياسي الغربي الذي يتمسك بحجة الإرهاب الإسلامي (وهو ذاته مفهوم ومصطلح خرج من بطن الدوائر الغربية الاستعمارية الرخيصة الأسلوب بعملية قيصرية

في صالات واشنطن)، وسعي تلك الأطراف لإقناع الرأي العام العالمي بإن الإسلام دين العصور الجاهلية والظلامية وفرقة هدامة وهالكة، فيما نقف اليوم نحن بالمرصاد لهم لتعريّة أكاذيبهم على حقائقها ورد نظرياتهم المخابراتية لا البحثية عن التنكيل بقيم الإسلام وحضارته وتفكيك خطاب كرههم للعرب والمسلمين، وأن نفند نظرية الغرب والتدليل على إن ليس كل ما هو مسلم هو ارهابي، والعكس صحيح، إذ ليس كل ارهابي هو مسلم، هذه هي نظرية الغرب المعتمدة اليوم في سياق الاستراتيجية الامريكية الجديدة على صعيد العلاقات الدولية.

فالإرهاب لا دين له، والغرب مارس الإرهاب قبل الإسلام، ومع الإسلام، وضد الإسلام، لكن بالوقت ذاته _ حتى لا نظلم انفسنا قبل الأخر _ ليس كل غربي إرهابي، ولا كل إرهابي هو غربي بالضرورة، وهذه هي نظريتنا السياسية حول رؤية الأخر المختلف عنا، فقضية الإرهاب نسبية وليست مطلقة، غير مرتبطة ببيئة معينة، تمثل وفق جانب في السلوك السياسي أو تخضع لمنهج الاغتراب وعلم النفس السياسي.

ولأن الإسلام أصبح قضية رأي عام عالمي، وقضية تمس صميم العالم برمته، وبأمنه واستقراره وسعادته ونهضته، بعلاقتهِ مع الأخر، أو علاقتهِ بنفسه، فمن هنا دفعنا إيماننا العميق بالفكر الإنساني وبالمهمة الاخلاقية لتفكيك الخطاب الموجه ضد الإسلام وقيمه وتعاليمه، وفق

منهج الواقع أو الملاحظة والمشاهدة العينية المجردة من أي إيديولوجيا معينة، وأن نكتب عن الأخطار والتحدّيات التي تجابه الإسلام الرسوّلي والعبادي (الإسلام المصدري) وتمييزه عن الإسلام السياسي، وتحولاتهِ وتيارتهِ الجديدة [الصحوّية والرفضية] التي أوجدها عصر اندماج السلفية بالعمل السياسي، وتعريّة النظريات الافتراضية التي طرحها الغرب والمستشرقون _ نظرات الاستشراق _ وذوي الانتماءات "اليهودية _ الصهيونية" التي تبني تصوراتها من منطلق الحقد والكراهية والعدوانية للعرب والمسلمين وليس من منطلقات علمية بحثية حيادية محاباةٍ لتيار المُحافظين الجُدد أو ممن يسمون بالمسيحية الصهيونية.

الفَصّل الأوُل

هَلْ الإسَّلام مُشّكلة ؟

مدخل نظري

تميزت السنوات الأخيرة بتنامٍ واضح للتيارات الإسلامية، وانبعاثها سياسياً واتساع نطاق التطرّف الديني، وكثرة الجماعات العاملة من هذه الأحزاب، في إطار ما سُمي بالصحوة الدينية أو الحركة الإسلامية الأصولية٦ أو الإسّلاموفوبيا وماتعلق به من مفاهيم من قبيل "الخطر الأخضر"، أو "الهلال الدامي"، "مُثلث المُوت" وغيرها من التسميات ذات الصلة بالموضوع.

وعلى الرغم من كثرة استخدام مصطلح "الإسلاموفوبيا" فأن تعريفه ما زال محل اختلاف بين الأكاديميين في الغالب، فقد أعرب الدارسون عن آراء مختلفة حول الإسلاموفوبيا في مناقشات مطولة وساخنة طوال الأعوام الأحد عشر سنة الماضية٧، لكن نعتقد إنْ تفكيك المفهوم أو المصطلح لم تأخذ المساحة الكافية من البحوث والدراسات العلمية والمنهجية ذات المعرفة عالية الدقة، مما جعل المفهوم شبه غامضاً خصوصاً لدى العرب والمسلمين أنفسهم، ربما لم يفقهه إلا "المسلمون الغربيون" لأنه مفهوم مُبتدع ومُحدث صنعتهُ "المخاوف الغربية من الإسلام"، أو أوجدته الدوائر الأمنية المخابراتية

[٦] مقدمة: خليل علي حيدر، التصور السياسي لدولة الحركات الاسلامية، سلسلة محاضرات (٨)، ط١، (الأمارات: مركز الأمارات الدراسات والبحوث الاستراتيجية، ١٩٩٧)، ص١.

[٧] د. فواز جرجيس، "الإسلام السياسي وأمريكا: نصف قرن من التحالف، نصف قرن من العداء"، مجلة المجلة، لندن، العدد ١٥٥٨، السنة ٢٠١٠، ص٣١.

على الأكثر الأعم، لمُحاصرة الإسلام وتقييده، وتجفيف تراثه ومنابعه الحضارية؛ حتى يُصبح تراث متخشب لا يصلح لمواكبة الحضارة والتقدم.

أن ابتداع المصطلح لم يأت من أجل تمييز المسلم المعتدل عن المسلم الراديكالي (الإرهابي)، أو من أجل سواد عيون العرب والمسلمين، بقدر ما جاء من أجل تشويش تلك الصورة وضبابيتها وجعلها صورة رثّه وبليدة، تزيد من كراهية الأخر للآنا، وهذا هو هدف ومسعى المخابرات الأجنبية والماسونية والدّس الغربي من أجل التنكيل بالعروبة والإسلام، شعوراً منهم بمخاطر ومخاوف الإسلام، كحضارة، ومشروع تاريخي نهضوي عميق من المتوقع أنْ يقود العالم عوضاً عن الحضارة الأمريكية "اللقيطة" التي لا يزيد عمرها عن مائتي سنة، والقائمة على النهب والإغارة كراً وفراً، _ أشبه بصولات "أفلام الكاوبوي" هو تعبيراً مناسباً لثقافتهم الرعوية _؛ وهي تحاول بالبطش والتعسف والهمجية والبربرية الرأسمالية من قيادة العالم وتصدير مشروعها الرعوي العولمي الحداثوي المقترن بالقيم الكولونيالية والغزو الثقافي الذي يهدف لطمس الهوية العربية والإسلامية وإحلال محلها هويات طائفية، مناطقية، وعرقية تكون الزعامة فيها الولايات المتحدة الأمريكية ومشروع الصهيونية؛ من خلال إعادة إنتاج سيناريو سايكس بيكو جديدة يإعيد تقسيم المنطقة إلى دويلات يكون على

الأقل تعدادها أقل من ستة ملايين نسمة لكل دولة مُقسمة؛ وهو رقم يحبذه الكيان الصهيوني الذي يفوقه بقليل.

أنْ معظم ما يُكتب في الغرب عن الإسلام والمسلمين، والعرب والعروبين، خصوصاً عن الظاهرة الإسلامية أو الصحوة الدينية عند العرب، هو كتابة ليس من أجل البحث العلمي الحيادي _ وإنْ أدعوا هم خلاف ذلك _ لكنها ليست إلا كتابة مؤدلجة ومفبركة ومُعدة سلفاً ودراسات موجهة لأجندات تنظر للإسلام بعين الريبة والحذر، ولجماعات ومنظمات تضع الإسلام "نداً أفتراضياً" وخصماً ترى به "ضرورة أنْ تتغدى به قبل أن يتعشى بها"، مع تضخيم الصورة وتظليل المشهد وفبركة الأجواء وتزييف الحقائق وضخ مؤثرات صورية عالية الدقة والتّمكين، ومهما أدعى بعض الكتاب النُبّل في الكتابة عن الإسلام إلا إنهم ما زالوا مُصرّين على تقديم الإسلام السياسي والحركات الإسلامية الراديكالية للمواطن الغربي على إنها هي الإسلام الأصولي والكلاسيكي عن قصد أو غير قصد.

حيث أنْ معظم كتابات الغربيين عن الصحوة الإسلامية وجماعاتها وأجنحتها (السياسية والعسكرية) تتسم بالعديد من السلبيات

والمنقصات باعتبارها معايب تُحسب على حساب الإسلام لا له، ألا وهي[8]:ـ

١ـ تشويه الصورة بشتى الوسائل، كالاتهام بالعمالة والعنف والتطرّف والجمود والتعصب.

٢ـ تخويف الغرب (حكومات وشعوب) من الإسلام والمسلمين.

٣ـ تحسين صورة التيارات والحركات والدعوات المعادية للإسلام، كالقومية والعرقية والعلمانية الدنيوية واللا دينية والوطنية.

٤ـ تقديم الصحوة الإسلامية من خلال مجموعة من المصطلحات التي وُلدّت في البيئة الغربية، كالأصولية، الخلاص، العهد السعيد، الإحياء، الإصلاح، المد، الانبعاث وغيرها.

***

الإسلام الطقوسي

---

[8] ريتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، ترجمة: عبد الوارث سعيد، ط١، (مصر: دار الوفاء للنشر، ١٩٨٩)، ص١١ـ١٢.

شكل الإسلام الطقوسي بكونه عبارة عن منظومة من القيم والعبادات والابتهالات والنفحات الإيمانية التي يمارسها المسلم من أجل ابتغاء سعادة الدارين (الدنيا والأخرة) من خلال بذل جهد الإيمان والعبادة والتطوع في خدمة رضا ربه قولاً وفعلاً، بل فعلاً قبل أن يكون قولاً، وهذا هو جوهر الإيمان الحقيقي لدى المسلم الصادق الصدوق، وهذا الإسلام هو إسلام مقبول لدى الغرب ولا يمانع به ولا يعاديه ولا يعتبره ضمن دائرة الإسلاموفوبيا، بل إن الدوائر الغربية سعت لهذا النوع من الإسلام للانتشار والعمل، فالإسلام الشعائري والإسلام الطقوسي إسلام مقبول لدى الغرب لأنه شأن ذاتي أولاً، ويمنع الانتشار حضارياً ثانياً، أي حجرةُ في دائرة الطقوس دون الانبثاق إلى السياسة وادارة المجتمع والمساهمة في بناء الدولة العربية المعاصرة والأخذ بمهام المشروع الحضاري النهضوي من تنمية وتأميم لثروات البلد وانتزاعها من محتكريها الغربيين وحلفائهم الأجانب.

وأنْ الساسة الغربيين لا يعادون هذا النوع من الإسلام (الإسلام الطقوسي)، فهم ليسوا ضد الإسلام كدين، ولا يمانعون من أن نصوم أو نصلي أو نزكي أو نحج ونعتمر ونتعبد وندعي ونعتكف في المساجد ونمجد ربنا ونبتهل إليه فهي قضايا تتعلق بعلاقة الفرد بربه، لكن خصومهم وعدائهم يكمن في الإسلام الأخر[9]، فهم لا يناهضون

[9] د. مصطفى محمود، الإسلام السياسي والمعركة القادمة، ط١، (القاهرة: أخبار اليوم، ١٩٩٧)، ص١٧.

إلا الإسلام الحضاري النهضوي الذي يُريد أن يُرسي دعائم الحياة وفق الشروط الإسلامية، وتعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء، الذي يُريد أن يبني منظومة حضارية من مشاريع تنموية ونهضوية وحكومات إسلامية عصرية شبيهه /أو/ على نمط حكومة الخلفاء الراشدون بما هي حكومات مدنية إسلامية، حكومات ترفض التنميط العلماني بما هو وفود غربي تغريبي، ورفض نقيضها الفكرة أو الحكومات الدينية (الثيوقراطية) بما هي منتوجِ أو نتاج كنسي تغريبي.

ولهذا فقد حفروا من حوله الخنادق والسرادق لمحاصرته، وأخطر تلك الحفريات والخنادق التي أحاقت به هو خندق "الإسلام الأمريكي" الذي فرضوا قيمه علينا بالقوة المُفرطة، الإسلام الأمريكي الذي جاء عابراً للقارات ومجوقلاً على ظهر الدبابات الأمريكية وطائرات الأباتشي والشينوك، الإسلام الذي يستبيح الحرمات ويخلط المقدس بالمدنس، والحابل بالنابل، والحق بالباطل، ذلك الإسلام السياسي الذي يجر بقيم الدين من ياقاتها ويزّج به في معترك الحياة السياسية ودناستها ورجاستها وبذاهتها وتفاهتها، لتختلط على المسلم الصورة بين إسلام طاهر مطهر منزه (إسلام الرسول وخلفائه الراشدين)، وبين إسلام مُحدث ومبتدع ابتكره أبو الأعلى المودودي وسيد قطب، إسلام الحركات الإسلامية التي ترفع راية الجهاد من أجل السلطة والمال والنفوذ.

الإسلام حفر بالحجر

إعلاناً لكلمة الحق وتحدياً لكل طرح أو فكر إسلاموي متشدد، وعلماني مُلحد إن الإسلام هو منُقذ العرب والبشرية، والناقل لقيمهم ومكانتهم، والمهماز الذي يدفع بهم نحو سعادة الدارين (الدنيا والأخرة)، والقاطرة التي تقل من تقل وتجافي من يجافيها، وهو الدين الذي حقق نهضة العرب والمسلمين في بدايات ظهور الإسلام كأمة متجانسة وكدولة فتح وخلافة متكاملة، يكفل بخلاص الأمة من التْخلف والترّدي والانحطاط، وقادر على تحقيق تلك النهضة في عصرنا متى ما تمسكنا بخيار الإسلام.

لقد تحدثنا في مجالات سابقة ومؤلفات عن الإسلام وماهيته، ولسنا بصدد العودة إلى التذكير بماهية الإسلام، لأنه حدث الساعة وصار القاصي والداني يعرف ما هو الإسلام خصوصاً بعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١ وتفجير برجي التجارة العالمية أو ما سُمي بغزوة (مانهاتن) واتهام جماعات عربية _ إسلامية معينة بمسؤولية التفجير، رغم إنني ما زلت غير مقتنعاً بإمكانية جماعة دينية، كتنظيم القاعدة قادر على هكذا عمل مسلح بذلك وبتلك المهمة في قلب التحالف الغربي الأورو _ أمريكي، عملية بهذا الحجم والنوعِ تحتاج ميزانيات

وإمكانيات دول متقدمة وعقول مخابراتية بارعة في مضمار التجسس والتكتيك والتخطيط تعجز الجماعات الإسلامية من لعب ذلك الدور لوحدها أو بإمكانياتها المحدودة، إلا إني أرد القول بإن الامر مرتبط بأيديولوجيا متعطشة للعنف كسبيل للحوار مع الأخر، دون التراجع من القول بإن العمليات السرية قد تفي نوعاً ما بذلك المُخطط؛ لان ما نتصوره (أو نعتقد ذلك تماماً) هو إنْ هناك مؤامرة على الإسلام من داخله وخارجه _ أو بتوافق وتحالف الداخل مع الخارج _ يسعى إلى صناعة إسلام على الطريقة الهولويودية، أي إسلام أمريكي يناسب المصالح الغربية في المنطقة.

***

الإسلام الأمريكي

أنْ إشكالية الإسلام والديمقراطية قضية مرتبطة بشكل وثيق بعلاقة الأنا والأخر، أي بعلاقة العرب المسلمين بالغرب الأورو ــ أمريكي، وبرأينا نجد إن رؤية الغرب حيال العرب هي الأخرى لا تخرج من دائرة توطيد العلاقة بين الأنا والأخر، أو تجافيها، فمهما بلغت الدولة العربية أو الإسلامية من علمنة وتحديث وثورة معرفية ومجاراة للأفكار الغربية دون أن تحقق تقدماً أو ترضخ للسياسات الأمريكية فهي دولة في قلب الإرهاب وفي العمق منه، وفي مقدمة الدول الداعمة له، والعكس صحيح تماماً.

فلم يعد هناك معياراً للدولة المُتعلمْنة عن غريمتها أو خصمها المتدّينة، والدليل إن الولايات المتحدة خاصمت وخاضت حرب مقدسة ــ كما اسماها الرئيس جورج بوش ــ ضد دولة قومية علمانية (العراق ٢٠٠٣)، وأخرى بنفس القدّاسة ضد دولة شيوعية تقدمية (فنزويلا)، في حين إنها سمحت لإيران تنفيذ مشاريعها التخْوّفية وتخصيب اليورانيوم المُنْضَب والتمْدّد الطائفي في لبنان وفلسطين وسوريا والعراق، وهي تسجل حضوراً مميزاً مع أمريكا والكيان الصهيوني في المشاورات والاجتماعات السرية في الحديقة الخلفية للبيت الأبيض، وتعاملت بمرونة أكثر مع المملكة العربية السعودية رغم اتهامها بتمويل الجماعات المتشددة ورغم إن السعودية ترفع

شعار الإسلام دين ودولة وتدعو لوحدة إسلامية جامعة بريادتها، إلا إن الغرب عوّل عليها دائماً في حلحلة مشاكلة مع الجماعات الإسلامية الجهادية.

بمعنى إن قضية الديمقراطية والتحديث والعلمنة مرتبطة بقناعات صانعي القرار السياسي الأمريكي، يردونك ديمقراطي مُتعَلمْن حتى لو كانت لحيتك طويلة وجلبابك قصير على النمط الأفغاني، ويريدونك إسلامي متشدد ورافض ومتزمت يعملون ذلك حتى لو كنت مُحْلق الذّقن وتتصف برجولتك العصرية، هذا هو محور المعيار الأمريكي للعلمنة والتحديث والديمقراطية، بل هذا هو الإسلام الذي تريده الولايات المتحدة الأمريكية.

لهذا صار الإسلام عرضه للتشويه والتسقيط والتجريح من قبل الغرب الأورو _ أمريكي وتلويث تاريخه وازدراءه وجعله مرمى لأهدافهم المؤدلجة، وشماعة يعلق عليها الغرب كل سلوك وتصرف يبدر من الجماعات الإسلامية (المترّدكلة)، لأن تشويه الإسلام في معظمة ليس نام أو نابع عن جهل، بل إن ورائه قصد متعمد[١٠] ومدبر حيك في ليلٍ خيوط دسيستهِ.

إذ يحاولون _ مراراً وتكراراً _ الخلط بين المفاهيم، بين الإسلام والحركات الإسلامية، وبين الإسلام والإسلام السياسي، وبين الإسلام

---

[١٠] إبراهيم نافع، جنون الخطر الأخضر وحملة تشويه الإسلام، ط١، (القاهرة: مؤسسة الإهرام للنشر، ٢٠٠٤)، ص١٠١.

والإسلاميين، وبالمؤكد هناك فرق شاسع وفج عميق بين كلا الثنائيات، لكن امريكا تتغابى ذلك، وتجنح دوماً إلى خلط المفاهيم لتشويش العقل الغربي والعربي على السواء، وإقناعهم بان الإسلاميين المتشدّدين الذي يعيشون في الكهوف أو يفجرون أنفسهم على المجمعات السكنية أو الذين يقطعون الرؤوس عبر اشرطة الفيديوهات بإنهم هم الإسلام بعينه، وصحيفة دانماركية ترسم صورة شخصية للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) على هيئة قنبلة موقوته، وصحيفة أخرى (شارلي أبيدو) الفرنسية ترسم صورة كاريكاتيرية لما يُسمى أبي بكر البغدادي زعيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) الإرهابي على إنه خليفة العرب والمسلمين اليوم _ تهكماً وجُزافاً _، وأخرون يمرقون بكتب القرآن ويحرقون الصور باعتبار إن كل سلوك تمارسه تلك الجماعات هو من أدبيات واخلاق الإسلام الرسولي العبادي (المصدري).

أنْ الولايات المتحدة وحلفائها المتعاقدون على تدمير منظومة الإسلام الحضارية دائما يُظهرون الجانب السلبي للإسلاميين واعتباره هو الإسلام، بالتوافق مع تصرفات الإسلاميين التي تبعث الشكوك لدينا بإنها جماعات قد تجتمع في الحديقة الخلفية للبيت الأبيض إلى جانب أيران وأمريكا والكيان الصهيوني وكل المتأمرين على قضية الإسلام، وأعداء العرب المعلنين والمخفيين.

لهذا تعمل الولايات المتحدة وأعوانها على صناعة عدو مفترض (أو عدو افتراضي)، وإلباسه هيئة الخصم اللدود للعرب، فهم يريدون إسلاماً يتسق مع الطروحات الأمريكية أو كما أسماه سيّد قطب إسلام امريكي أو إسلام أمريكاني يعمل على مقاومة الشيوعية ويتماشى مع السياسات الأمريكية[11]، إسلاماً يكون آله ووسيلة ومعوّل بأيدي أمريكا يضربون به خصومهم بما يتسق مع مراميهم ومبتغياتهم.

أي بمعنى أخر إنْ هناك طروحات غربية تبتعد عن التصور المدني الإسلامي التطوري والحداثوي، وتقترب كثيراً من الجماعات الإسلامية التي تتبنى أطروحة ممانعة الإسلام للديمقراطية باعتبارها كفر وجهل وضلالة مُحْدقة، بل المذهل إنْ الجماعات الإسلامية هي أكثر التيارات جهل بالإسلام، كونها تعتمد على الشكليات من خلال النقل المبتسر والخاطئ للتراث دون تمريره على سونار العقل، وبهذا فهي تؤسس لإخفاقها سياسياً، وتقترب بهذا الجهل وتتلاقى مع الغرب الأوروبي في ضرب الإسلام بضده النوعي.

حيث إن السياسية الأمريكية امام وفرة الإخفاقات فهي تصر على التقدم البطئ، كحركة السلحفاة أفضل من السرعة بأخفة أرنب

---

[11] سيّد قطب، دراسات إسلامية، ط١٠، (القاهرة: الشروق، ٢٠٠٢)، ص١١٩.

كسوله، فيرى احد الباحثين إلى دعوة صناع القرار الأمريكي لا التخلي عن الديمقراطية العالمية و"الديمقراطية الأمبريالية"، وإنما إلى التعاطي مع دول الشرق الأوسط الكبير على أسس قبلية وعشائرية وطائفية ومذهبية وهي أمور لا تتعارض مع القيم الأمريكية١٢، بل هي أصل من أصول الاستراتيجية الأمريكية في التعامل مع الدول وآلية متسقة في العلاقات الدولية الخارجية الأمريكية تجاه دول الشرق الأوسط الجديد (والعرب والمسلمين) على وجه التحديد.

إذ اختلقت الدوائر الرسمية إزاء ما يسمى بـ "الإسلام السياسي"، كبديل حضاري للإسلام الرسوّلي، ولكي يكسبوا المعركة قبل أنْ يخوضوها جعلوا من الإسلام السياسي خصماً للديمقراطية، ووقع السذج من المسلمين في الفخ فقالوا معهم إن الديمقراطية كفر، وهذا منتهى أمانيهم١٣، ليس هذا فحسب بل اشاعوا بين الناس خبر إن الإسلام السياسي هو الإسلام بعينه، وإنه يرفض الديمقراطية والمدنية والتحديث ومن هنا جاءت نظرياتهم متساوقة ومتوافقة مع طروحات الإسلام السياسي وليس مع الإسلام الحقيقي؛ ومتقاربة إلى حد ما مع الطروحات الغربية المعادية للإسلام وعروبته.

---

[١٢] د. إسماعيل الشطي، الإسلاميون وحكم الدولة الحديثة، ط١، (بيروت: دار ضفاف، ٢٠١٣)، ص٢٢٦.

[١٣] د. مصطفى محمود، الإسلام السياسي، م. س، ص٩.

الإسلام الأصولي

لقد اكتسب مصطلح الإسلام الأصولي في السنوات الأخيرة رواجاً واسعاً، يشير إلى إنه شكل من الإسلام "الأرثوذوكسي" نصي، تقليدي، لا مهادنات في تطبيقاته السياسية والاجتماعية مع الظروف والأفكار "الحديثة" أو الغريبة، وسياق هذا المصطلح هو نجاح الثورة في ايران ١٩٧٩ وقيام جمهورية ايران الإسلامية وبروز الحركات "السياسية الإسلامية" الأخرى في مصر وسوريا والعراق[١٤] وهو الحدث _ أي الثورة الأصولية الإيرانية _ الذي حدد بدرجة كبير التفكير الأمريكي بشأن الطبيعة العنفية المعادية لأمريكا المتصفة بالإسلام الأصولي[١٥] الذي يمتاز بصلابة المواقف، ورفض الكثير من قيم الواقع باعتبارها سلوك جاهلي يسعى لتغييرها تغييراً جذرياً، تعنف العلاقة مع الغرب الأورو _ أمريكي، والأخير على وجه التحديد باعتباره خطراً على الإسلام ومستقبله.

---

[١٤] د. سامي زبيدة، الإسلام: الدولة والمجتمع، ترجمة: عبد الألة النعيمي، (بيروت: مؤسسة المدى للنشر، ١٩٩٥)، ص٢٩.

[١٥] د. فواز جرجيس، الإسلام السياسي وأمريكا، م. س، ص٣١.

وتنطوي الظواهر الأصولية، في أي وضع ديني، على العودة إلى الأسس الصافية للعقيدة، ولا تعني حركة العودة إلى الأصول "الصافية" للعقيدة دائماً التقليد الأعمى لطرائق الحياة في بيئة الرسول (صلى الله عليه وسلم)١٦، وأنْ أسس الفكر الأصولي تعتمد بالأساس على مصدرين رئيسين هما: الكتاب والسنة، إضافة إلى كتب التفسير والفقه المنسوبة الى: أحمد حنبل (المتوفى ٨٥٥ م)، أبن تيمية (المتوفى١٣٢٨)، وابن القيم الجوزية (المتوفى ١٣٥٠م) وأبن كثير (المتوفى ١٣٧٣م) كما يُضيف البعض أسماء مثل: محمد عبد الوهاب (المتوفى ١٧٩١)، جمال الدين الأفغاني (المتوفى ١٨٩٧)، ومحمد عبده (المتوفى ١٩٠٥)، ومحمد رشيد رضا (المتوفى ١٩٣٥)١٧ وكمنهج لا تختلف التيارات الأخرى حتى غير الإسلاموية (التيارات اللا دينية) على منهجية الإسلام، وإنما الاختلاف دائماً ينبثق ويتأجج في مرحلة التطبيق، وبهذا فالأصولية في حقيقتها تعني أنْ يعود المرء إلى الأصل أي إلى القرآن الكريم باعتباره الأساس الوحيد لأي نقد ولأي تجديد١٨ ولا بد أنْ يمرر

[١٦] ريتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، م. س، ٧٣.

[١٧] د. جمال البدري، السيف الأخضر: دراسة في الأصولية الإسلامية المعاصرة، ط١، (القاهرة: دار قباء للنشر، ٢٠٠٢)، ص١٤.

[١٨] نقلاً عن: فرانسوا بورغا، الإسلام السياسي: صوت الجنوب، ترجمة: د. لورين زكري، ط١،(القاهرة: دار العالم الثالث، ٢٠٠١)، ص٤٤.

بالكتاب والسنة، لكن بعد مرور اكثر من ثمة عقود على نشاط الأصولية هل نجح الإصلاح الديني بما هو تجديد، .. وهل وفقت الحركات الإسلامية في تجديد القدامْة التي سعت هي إلى إعادة ترّمْيم حالة المسلمين من التردّي والانحلال والانحطاط، الأمر يثير أكثر من علامة استفهام ويترك أكثر من علامة تعجب ؟!

حيث تسمى تلك الحركات بالأصولية بمعنى وسياق عام كون المصطلح يحمل إشارة واضحة تشير صفة الأصولية في الغالب الأعم على تلك الحركات والأيديولوجيات التي تصر على إنها جزءاً لازماً من الدين الإسلامي واعتماد شكل من اشكال الحكم (الإسلام دين ودولة) على الدولة الإسلامية وأنْ تطبق الشريعة في كل الجوانب الحياتية اجتماعية واقتصادية وسياسية[١٩] وتنطلق من نظريات مقولة "الحاكمية لله"، أو لا حكم إلا لله التي هي بالأساس تعد _ كما يصورها العشماوي _ "جملة براقة لا يستطيع أحد أن يعارضها أو يناقضها ، ومن ذا الذي يستطيع _ خاصة مع وجود خلاف سياسي أو تيار متطرف أو اتجاه عنيف _ أن يناقش في مثل هذا القول أو يفند ما وراءه من مغالطات"[٢٠].

---

[١٩] د. سامي زبيدة، الإسلام: الدولة والمجتمع، م. س، ص٢٩_٣٠.

[٢٠] المستشار محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، ط٤، (القاهرة: مدبولي الصغير، ١٩٩٦)، ص٤٦.

أنْ مصطلح أو مفهوم الإسلام الأصولي هو معنى جميل ورائع ويجذب الكثيرين منا، ولا أعتقد إنْ هناك من يُعارض العودة إلى أصول الإسلام ومناهله ومنابعه الصالحة التي لم تشوبها الدسائس أو تعكر صفوها الأيديولوجيات، لكن الخلاف حول الإسلام الأصولي ألا يؤدي بنا الأصوليين إلى أصول الإسلام مع اتباع مناهج أيديولوجية خاصة تقترب كثيراً من فعل السياسة ورجاستها، نحن نتوق لإسلام أصولي أصيل شرط ألا تشوبه شائبتان ألا وهما السياسة والأيديولوجيا.

***

الإسلام السياسي: ظاهرة القرن

لم يعد الحديث عن الإسلام السياسي مقتضباً أو يعتمد فقط على الشروحات والتفاسير أو التركيز فقط على التعريف بالماهيات، لأنه كمفهوم صار يفرض نفسه شيئاً فشيئاً، وبقوة، فلم يعد يصلح لتغطية جميع المواقف الاجتماعية أو الممارسات السياسية التي ترتبط أو تتأثر بالدين الإسلامي[٢١]، إذ أصبحت "الدين سياسة" هي الميزة أو السمة التي تميزت بها الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة عن سابقاتها[٢٢]، لأن تاريخ الإسلام السياسي هو تاريخ كفاح الجماعة المُجسدة في وجوّدها أو المُتمثلة لبقاء الدين وانتشاره للاستقلال في وجه سلطة زمنية كانت تولد باستمرار في

---

[٢١] فرانسوا بورغا، الإسلام السياسي: صوت الجنوب، م. س، ص٢٩.

[٢٢] نزيه أيوبي، "أشكال الإسلام الحديث بين التعبير الثقافي والدور السياسي"، في: نزيه أيوبي، (وأخرون)، الإسلام السياسي: وأفاق الديموقراطية في العالم الإسلامي، ط١، (الدار البيضاء: مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث والدراسات، ٢٠٠٠)، ص٣٨.

القتال على قاعدة ميزان القوة[٢٣]؛ ثم تعود لتجدد ذاتها من جديد من أنقاض ميراثها الديني.

بمعنى إنْ الحركات الإسلامية المُتبنْية لهذه الظاهرة أو المنبثقة من خاصرتها، أصبحت تشكل قوة هائلة وكم متزن من الأنصار والحلفاء والأصدقاء، وصارت طبقة الإسلاميين تشغل قاعدة جماهيرية كبيرة في صلب المجتمع العربي الإسلامي، إنْ لم تكون الأقوى حضوراً، وبرأينا إنْ تجاهل هذا الكم هو سبب تراجع المشاركة السياسية في النظم العربية، فالنظم الحاكمة لا تريد إلا مشاركة رمزية محدود النطاق مثلما كان النظام السياسي زمن الرئيس مبارك، يُقيد الحركات الإسلامية بقيود وشروط للعمل السياسي خشية الوصول إلى السلطة، وكان يمنحها المشاركة السياسية بشروطه هو لا بشروطها هي، بمعنى إنْ الحركات الإسلامية أريد لها أنْ تلعب دوراً سياسياً بصفة هامشية أو ثانوية، وكانت شبه مقتنعة بذلك الدور لحرمانها ردحاً من الزمن بين الاعتقال والتهميش والاقصاء والقمع والتذويب، حتى جاءت ثورات الربيع العربي التي غيرت قناعات الحركات الاسلامية لترفع سقف مطالبها من الأدوار الكومبارس إلى أدوار البطولة.

---

[٢٣] د. برهان غليون، اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، ط٥، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩)، ص٢٠٠.

لقد أصبحت حركات الإسلام السياسي اليوم "ظاهرة القرن"، سواء أساعد الغرب بذلك أم عارض، فالغرب مهما سعى إلا إنه لا يستطيع الصمود أمام رغبة الشارع العربي، وربما كان الغرب أكثر فقه لقراءة الواقع بعين مُبصرة، الأمر الذي دفعه للاضطرار بالتعامل مع الإسلاميين، فكان قريب من خطاباتهم، وشعاراتهم، وساعدهم على ذلك، لأن الغرب لا يجد غضاضة من التعامل حتى مع أشد الإسلاميين لأنه في النهاية هو المغذّي لهم، وكذلك الإسلاميين هم الأخرين لا يختلفون مع الغرب بخصوص الإشكاليات التي يشعر المواطن العربي انها عقبة للتعامل بين الإسلاميين وامريكا، وكلنا يدرك وصول مرسي للحكم دون أن يلغي اتفاقية الغاز مع العدو رقم واحد للعرب والمسلمين (الكيان الصهيوني)، بل قدم ضمانات لأمريكا ولإسرائيل بانه ملتزم اشد الالتزام بتلك الاتفاقات التي أخذت طابع مقدس[٢٤]، ولأن الإسلام السياسي ظاهرة، كان عليها أنْ تحافظ على روحية فكرها ونظرياتها، لكن للأسف خلطت الأوراق واخفقت في الاستمرار لأسباب موضوعية وأخرى سيكولوجية.

---

[٢٤] حرصاً على أمن وسلامة أرض ومصالح مصر أولاً، وحرصاً على بقاء العلاقات الخارجية المصرية _ الغرب أورو _ امريكية على وئام تام، فلا مرسي ولا السيسي إستطاعا التلاعب أو الإخلال بذلك الأتفاق لأنه مبرم على قناعات ذات تأليه خاصة.

وتالياً فإن الإسلام السياسي قد كان "خلطة مزيفة" من الأفكار خلطت من خلالها الأوراق، وشوه صورة الإسلام من خلال ربطها بالإسلاموية؛ وهو أمر مُكلف وباهض بالنسة للإسلام ومربح ونافع للإسلاموية.

***

جدّل المُسّلم والإسَّلامي

أخطر ما يوجهه الإسلام، كدين وتاريخ وحضارة، هو خلط المفاهيم والتباسها، وهو أمر يزيد من إشكالية الإسلام، كمعنى قبل أنْ يكون إشكالية لفظ أو خلل في المفهوم، فغموض المفاهيم واختلاطها أمر بالغ الاهمية والخطورة خصوصاً إذا كان المفهوم حمْال أوجه، ينطوي على معاني ثنائية متناقضة موجبة وسالبة، مقدسة ومدنسة، خير وشر، صدق وخيانة، وهو ما ينطبق على موضوع الإسلام والإسلامي، كنقيضين يدوران في فلك الذاكرة أو الذهنية العربية، لأن مفهوم الإسلام ينطوي على تعريفات مُكللة بالقدّاسة

والربانية والطبيعة الروحية للخلق ومفاهيم أكثر إنسانية، فيما ينطوي مفهوم إسلامي على عقيدة سياسية وأيديولوجيا خاصة تدل على انتماء الإسلامي لحزب سياسي دنيوي لا يخلو من الكذب والحيلة والمراوغة والخداع والانغماس في ملذات الدنيا وهذه هي جوهر "السياسة الرجعية" والمزيفة، إذ إنْ ترجمة مصطلح إسلامي هو صفة أو نعت والصفة عند النحويين تمييز الشيء على ما عداه[25]، وهو _ أي مصطلح إسلامي _ الذي يلجأ إليه ممن ينتمون إلى تيار الإسلام السياسي لوصف نشاطهم[26]، وهو ما يميزهم عن باقي المسلمين الذين لم يؤمنوا أو ينتموا لتلك الأحزاب السياسية ذات المرجعية الدينية.

كما إنْ هناك حقيقة بالغة الأثر ألا وهي "ان مصطلح الإسلاميين قديم ابتكره الأشعري في القرن الرابع الهجري، لأن هذا الاستخدام لا علاقة له إطلاقاً بمن ينادون اليوم بالإسلام السياسي معتدلين كانوا ام متطرفين، لإن الإسلاميين اليوم يدعون انهم وحدهم القادرون على تفسير الإسلام وإعطائه المضامين السياسية على

[25] رفعت سعيد، التأسلم: فكر مسلح، ط١، (دمشق، الطليعة الجديدة، ١٩٩٦)، ص١٢.

[26] فرانسوا بورغا، الإسلام السياسي: صوت الجنوب، م. س، ص٣٠.

هواهم، وإن خصومهم من المسلمين كفار ومشركين"٢٧، وهنا بهذا الطرح تتضح ملامح الفرق الشاسع بين المسلمين والإسلاميين، والمسلم والإسلامي، الإسلام والسياسي السياسي؛ إلا إنْ الغموض ظل وما زال _ حتى اللحظة _ يكتنف المفهوم ويواكب مسيرته، وتتكور حوله الضبابية والشكوك تساوقاً مع الطروحات المعادية للإسلام المصدري.

وبالمؤكد القطعي أن هذا اللغط أو الخلل في المفهوم أضر بالإسلام أكثر مما أضر بالمسلمين أو الإسلام السياسي أو ممن هو إسلامي، فالأخير ليس لديه ما يخسره، بينما الإسلام عمل قداسوي ينطوي على جوانب كثيره من الخير والصلاح والرّشاد التي يعجز عن بلوغها الإسلامي بما هو بشر يحمل احتمالات الخطأ أكثر من الصواب فيما يجتهد ويُنظر ويُفسر للتنزيّل الذي جاء خالياً من كل الشوائب أو الهفوات، بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾٢٨ ما لم يُتمم موضوع الإسلامي _ لأنه يحمل قيم دنيوية أكثر مما هي دينية _ وبشرية الحياة "لا ألهنْتها" الذي أصبح عقبة كبيرة على فهم

[٢٧] السيد يسين، أسئلة الفرن الحادي والعشرين: الكونية والأصولية ما بعد الحداثة، الجزء الأول (نقد العقل التقليدي)، ط١، (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٦)، ص٢٤٩.

[٢٨] سورة المائدة، الآية (٣).

الغرب _ أو المسلمين أنفسهم _ للإسلام وثوابته وقيمه الحضارية نتيجة للدّس الماسوني (الإسرائيليات) والتضليل الإعلامي الغربي الذي يسعي بدرجة كبيرة لخلط الإسلام بأفعال الإسلاميين وبلورتها ومنتجتها بمؤثرات صورية وصوتيه وتقديمها للمشاهد الغربي والشرقي على إنها افعال الإسلام ذاته عبر وسائلة الإعلامية المالكة لرؤوس أموالها اليهود.

***

هل الإسلام مشكلة؟

رغم الصعود الخطابي (أو الكلامي) لموضوع الإسلام وتصدر الصفحات الأولى من مقالات الصحف وواجهات البحوث وأغلفة الكتب (عناوين ورسوم)، إلا إن الإسلام مغبون ومظلوم لم يعطى حقه كفهم وكنظرية وكفكر وكواقع، وحاول الغرب بقراءة الإسلام ظاهرياً،

وانتقائياً، وبطريقة عشوائية فجة، مبنية على تأويلات باطلة، وتصورات مزيفة ومؤدلجة غالباً ما تدعمها وتروج لها الماسونية والمخابرات الأمريكية (C. I. A) والغربية، ولسنا ممن يؤمنون أو يعوّلون على نظرية المؤامرة، إلا إننا هنا بالفعل إزاء تلك النظرية، وفي صُلب واقعها، وغالبا عندما ندقق عن توجسات الغرب للإسلام وتلفيقاتهم واتهاماتهم للإسلام نجدها نابعة من كاتب ذي أصول يهودية أمريكي أو بريطاني أو فرنسي أو روسي، والدليل إن النظريات القائمة على التنكيل والطعن بالإسلام نابعة من قبيل ذلك النمط أو النوع من الكتاب: صموئيل هنتغتون (امريكي يهودي الأصل)، برنارد لويس (بريطاني يهودي الأصل)، بن غوريون (يهودي الأصل)، كوندليزا رايس ربيبة المخابرات الأمريكية والعلاقة المشبوهة مع كبار اليهود المرموقين، وحتى لو ظهرت كتابات مُنكله بالإسلام من غير اليهود إلا إنهم في النهاية يلتقون بالإسرائيليات التي تتعاظم قوتها السياسية والاقتصادية يوماً بعد أخر بشكل مُذهل.

فالعلاقة بين الإسلام والغرب (المسيحية) متينة ورصينة، وليس هناك مشكلة بين الإسلام والغرب لولا اليهود، فلأن اليهود أصحاب النفوذ المالي القوي الذي يمكنهم من التحكم باقتصاديات العالم مما يوجهون القرارات بما يتماشى مع مصالحهم في الشرق والعالم، فيدفعون إلى إخراجها بمخرج يُليق بطموحاتهم ومراميهم، فإن الأمر

مما لا شك فيه سوف ينتج سياسة معادية للعرب والمسلمين، أصلها المؤامرة اليهودية.

أن منظمة "إيباك" الراديكالية وهي أخطر المنظمات الصهيونية المتشددة والأكثر عداءاً للعرب والمسلمين تتخذ من نيويورك مقراً لها ورعاية وحماية حكومية أمريكية ومباركة أكبر زعماء وحكماء الولايات المتحدة الأمريكية من شانها أن تؤثر على القرار الأمريكي لما لا وهي مالكة لرؤوس الاموال في البورصة العالمية، في حين إن بناء مسجد للعبادة فقط يتطلب كفالات وضمانات وموافقات أمنية قد تتعلق بمصير القرار الأمريكي، وهو الرئيس أو من ينوب عنه، بمعنى إنْ الولايات المتحدة تكيل الكيل بمكيالين، إنها تراعي صهيونية يهودية متطرفة عالمياً، وترفض إسلام للأغراض السلمية والتعبدية الطقسية فقط، _ رغم إنها تدعي التعددية الدينية والسياسية والعرقية، وتدعو للديمقراطية والتحررية _، لكن هذا لا يمنع تدفق رؤوس الأموال الإيمانية في البنوك المجتمعية ودخول العشرات بل المئات إلى الإسلام وإعتناقهم عقيدة القرآن، ليس بفعل المسلمين وإنما بفعل الإسلام.

أنْ الإسلام لم يكن مشكلة مطلقاً، لكن رجال الدين (الثيوقراطيين) هم من أراد للإسلام أن يلعب دور دنيوي وسياسوي، فلا علاقة بين ما يحدث في باكستان أو افغانستان أو العراق أو مصر

أو لبنان بالإسلام المصدري أو إسلام النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولا له علاقة حتى بإسلام الخلفاء الراشدين[٢٩]، لأنه بالحقيقة هو لا يعدو أن يكون دوراً مادياً بينما هو بالأساس كنز روحي يترفع على كل حيثيات الحياة، ليس فصلاً عن العمل الدنيوي، وإنما عدم الزج به في معركة خاسرة أطرافها عرب وعرب، ومسلمين ومسلمين، لم تكن إيباك أو المخابرات الامريكية بعيدة عن تلك المعركة، بل كانت تعلب معنا دور أمرأة أبو لهب تُغذّي الحروب الاهلية بحبال من مسد.

كان الفضل لرجال وقادة وعلماء الإسلام الأوائل في إسلام الأمصار والمعمورات والولايات وانتشار الإسلام إلى قلب أوروبا، وكان الفضل الأكبر لرجال الإسلام اليوم وقادة الميليشيات ودعاة الأحزاب الدينية في تنصير الأمصار وردّة الولايات إنهزام وانتكاسة الإسلام إلى الأعقاب، إنْ العلة في ذلك ليس بالإسلام لأنه روح وإيمان وعقيدة وهذه الاشياء تبقى مترّفعة وعالية في مقام السماء لا يضرها ضار أو ينالها بار، وإنما الخلل في المسلمين أنفسهم، وبرآينا إنْ الخلل الأكبر يُكمن في المسلمين العرب تحديداً، فأقل ما يقال بحقهم اليوم إنهم عرب كاذبون، والمؤمن لا يكذب، إذن هم

---

[٢٩] د. عبد الودود شلبي، كلنا أخوة: سنة .. و .. شيعة، ط١، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨)، ص٤٧.

مسلمين بلا إيمان، "إسلام القشرة" و"إسلام المظاهر"، "إسلام الديكور"، إسلاماً شكلياً لا يُقدم النفع لمعتنقيه بقدر ما يضرب كيان الإسلام في عقر داره، فلو لم يكن المسلمين مختلفين، أو مندفعين بقوة نحو تجربة طائفية مريرة أُعيد استنساخها في العراق بعد لبنان، والمسلسل قابل للاستنساخ لصور أخرى في مصر وسوريا واليمن، فالغربي لا يعرف إنْ الإسلام دين الرحمة والتسامح إذ لم يُبقي الإسلاميين المتشدّدين، أو ما يعرف بـ "الفاشية الإسلامية" مجالاً للتفكير المنطقي للأوروبي (الأخر) بإن الإسلام هو دين الرحمة بعد مسلسل طويل من المفخخات والانتحارين (أو الاستشهاديين بالمعنى الجهادي)، وهو بالأساس لا يمتلك وقتاً كافياً للتمييز بين إسلام رسوّلي خلفائي وإسلام سياسي يمارس العنف والبطش والطائفية بدقة متناهية، كما إنْ الدراسات الإسلامية وعلم الأديان لم يكن تخصص عام لكل مراحل الدراسة في المناهج الأوروبية وإنما هو مقتصر على طلبة الكنائس والإنجيليات والفكر السياسي والفكر الديني وليس معقول إنْ كل أوروبا تدرس هذا المنهاج، مما يقلل التعريف بالإسلام في أوروبا الأمر الذي يجعلهم يبنون طروحاتهم وتصوراتهم الركيكة عن الإسلام من خلال وسائل الإعلام (المدفوعة الثمن) التي هي غالباً ما تكون قنوات ووسائل مالكيها رجال أعمال يهود بالأساس.

إذ تشير التقارير الدولية إنْ اكثر تجار العالم واغناهم هم اليهود، والمال هو محرك السياسة، إذن فاليهود هم محركي العالم، وبالتالي فصلح العرب لا يتم إلا بحل القضية الفلسطينية لصالح الصهيونية؛ كشرط أولي، وهو الأمر الذي لا يمكن قبوله بأي حال من الاحوال، وهو ما معناه استمرار مسلسل التنكيل والتشويه والطعن بالإسلام؛ ونحره على قبلة تكساس.

***

الجهل بالإسلام

لم يعد واضحاً أو صريحاً أنْ تتدعي الإسلام بمجرد التظاهر به، أو ممارسة أعمال دنيوية مبوبة شكلانية تظاهرية _ كما يفعل

الكثيرون اليوم ـــ، وهو يحاول أنْ يدعون إيماناً مجوفاً لم يخاطب خلجاتهم ومشاعرهم الدينية، بل صار التظاهر والتَمْظهر بزّي الإسلام هو العلامة الفارقة لأغلب الإسلاميين المؤدلجين الذين ينتظمون وراء أحزاب سياسية ذات مرجعية دينية تضع السلطة والحكم نصب أعينها، والانكى صار الإسلام مجرد واجهة أو بالمصطلح الانجليزي (Face) من أجل دعاية دينية مدفوعة الثمن مسبقاً، لقد هاجر الإيمان قلوب الناس في عصرنا الحالي، عصر الكرامة باليورانيوم المنضب، وعصر عولمة القيم الإنسانية (والإسلامية)، تجد أغلب الشباب أو أغلب جيل عصر التقانة وغرف الدردشة يتحدث لك عن بطولات وأمجاد الجماعات الإسلامية وكأنه الناطق الرسمي باسم بن لادن، أو المتحدث باسم ايمن الظواهري، في حين لو تسأله ما هو الاسم الكامل للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن هو أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، أو ما هي أركان الإسلام، أو ما هي شروط الوضوء، لوضع العظم في فمه وما نطق إلا صمتاً مذهلاً، وهذا هو الإسلام الشكلي اليوم، إسلام الديكور المتمثل في الجهل بالقيم الإسلامية بسبب غياب الوعي الإسلامي، وغياب التربية الأسرية وفق الشروط الإسلامية السلمية، مما يدفع به إلى إفتاء فتاوى لم يفقهها أصلاً، عن جهل كامن في ذاته وفقر في الوعي وقصور في الثقافة، وهذا هو ما يتوافق مع ما قالة العلامة الهندي أحمد ديدات: "أشرس أعداء الإسلام مسلم جاهل يتعصب لجهل ويشوه بأفعاله صورة

الإسلام الحقيقي ويجعل العالم يظن ان هذا هو الإسلام" وهو ذاته الإسلام الذي رغبته ودافعت عنه ليظهر بالصورة التي تشوه الإسلام الحقيقي، وهنا تكمن المقاربة الفكرية بين أعداء الإسلام من الداخل وأعداء الإسلام من الخارج ليتوحدوا على ركل الإسلام الحقيقي في جوفه وإقصائه عن مسيرة التقدم والنهضة والحضارة.

وهذا الغياب لا أحد يتحمل مسؤوليته إلا الوعاظ والخطباء ورجال وعلماء المؤسسة الدينية (المسجد، دار الإفتاء، المجمع الفقهي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مؤسسات التعليم الإسلامي) لأنهم هم من نصبوا انفسهم، كأولياء لأمورنا الدينية، ككهانة إسلامية وثقرطة كاثوليكية، في حين تركونا وحدنا نواجه أقدارنا أمام الباري (عز وجل) ونحن مثقلين بعار الآثام والخطايا والذنوب التي كانت ناجمة بسبب مروقهم وإتجارهم بالدين الإسلامي، وتحويل المؤسسة الدينية إلى حزب سياسي مؤدلج، وأكثر تحويله إلى مشروع مقاولة وتندر وعروض وكشوفات وتخمينات ومناقصات ومزايدات وإحالات عقود، بل والأشد قوة تحويله إلى مشروع مساطحة؛ وهذا هو محور الإسلام اليوم؛ هدم الإسلام الرسوّلي لتشييد فوقه إسلام سياسي يفتقد لخارطة طريق تُصحح مساره.

وأنْ سبب تجديد وإعادة إحياء الدعوة الدينية على يد اناس اجتهدوا فأخطأوا، كان هو سبب ما حصل لنا وللإسلام وما يتعرض له

اليوم من تراجع وانحلال، جعلت منه إسلاماً فئوياً مجرداً منطوياً على جانب دون اخر، لا يعدو أن يكون ظاهرة إسلامية التي هي بالأساس جاءت للتعبير عن طموحات ورغبات جماعة من الناس أو طائفة من الدين لتنفيذ اجندات خاصة (أيديولوجيا معنية) عن طريق الاستعانة بالدين المقدس لأجل المدنس٣٠ الأمر الذي كرس الخرافة ووَطْن الجهل والتخلف، "وأنْ الدين لا علاقة له بالخرافة، لكن شيوخ المودرن أو ممن يسمون أنفسهم بـ "أولياء الله" يريدون ذلك"٣١ ومن الملاحظ إنه كلما شوهد تنام في التخلف وبروز الإسلام الشكلي غير منتج يُلاحظ بالمقابل تنامي نشاط هذه الافرازات التي تُظهر الإسلام مجرد عقيدة وليس معاملة (وإنما الدين المعاملة)٣٢ وهو ما يتساوق مع قوله (صلى الله عليه وسلم): "ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ فأعادها ثلاثاً أو مرتين. قالوا: نعم يا رسول الله. قال: "أحسنكم خلقاً"٣٣.

---

[٣٠] حسام كصاي، "جدّل المقدس والمدنس"، موقع الحوار المتمدن، يوم الأحد ٢٥_١_٢٠١٤.

[٣١] حسام كصاي، "أغْتَيّال العَقْل العَرَبَي: خُرافة الجَهْل المُقدَّس"، صحيفة المثقف، العدد٢٨٩٣، يوم الخميس، ٢٠١٤/٨/٧.

[٣٢] أبراهيم محمود، الفتنة المقدسة، م. س، ص٢٩٠.

[٣٣] رواه أحمد وجوَّد إسناده الهيثمي.

ليس هذا فحسب فإن العقل العربي الناقص، غير الناضج أو غير المنتج، فإنه يعوّل دوماً على التاريخ السلبي لتراث الأمة، ويستحضر الاستثناءات منها مع تغييب مقصود للقواعد العامة لمسيرة الإسلام السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية، اذن فالعقل العربي هو عقل مُفتن ومُنْافق وكاذب، يحاول إظهار ذاته بإنه يُنظر للحقيقة وإنْ كانت على نفسه، لكنه في الحقيقة هو يعمل لإخفاء الحقيقة عن ذاته أولاً، وعن جمهوره ثانياً، فلماذا هذا التّجنْي على التاريخ والتّطاول على القيم الحضارية للإسلام، بل لماذا نُحيي تراث الصراع والقطيعة ونوظفه بكل جسارة، ونتجاهل عمراً مديداً من تاريخ الإسلام الصحابي الإخائي بين الصحابة وآل البيت والقرابة والتابعين، وكيف يعقل أنْ نبقى أمة تنظر دوماً إلى النصف الفراغ من القدح؛ ونتجاهل النصف المملوء[٣٤] وهذا هو قمة الجهل بالإسلام وبتاريخ الإسلام وبقيم الإسلام؛ وبالتالي مجافاتنا لأهم نصوصة وأصولة.

لكن المؤسف إنْ من يتجاهل أو يجهل الإسلام هو المسلم وليس غير المسلم، بل إنْ الطامة الكبرى هو أنْ يكون خصمنا أكثر عرفه وفهم وتفاصيل عن ديننا منا، لأنه يعتمد على أصول الكتب في قراءة الإسلام، بينما نحن نولد مسلمون بالفطرة ولا نقرأ شيئاً عن

---

[٣٤] حسام كصاي، "وحدة الدين وخلاف السياسة"، جريدة الزمان، بغداد_ لندن، العدد ٤٧٩٣، السنة السادسة عشر، ٢٠١٤/٤/٢٣، ص٢٠.

إسلامنا إلا ذلك الدين الشعبي الذي توطد وترسخ في الحارات الضيقة والمناطق العشوائية والأرياف والقرى والذي تكلست حوله الخرافات والخزعبلات التي مارستها الصوفية القديمة، دون أنْ نعرف حقيقة إسلامنا؛ ومن هنا ولد إسلام المظهر والشكل مع تغييب تام لإسلام المضمون الذي تحاول السلفية الإصلاحية إعادة ترميمه داخل النفوس لكنها فشلت مراراً، واخفقت في التجديد لغياب الأسس والأدوات بل وغياب الأسلوب الصحيح في بناء الإنسان _ المسلم وفق الشروط الإسلامية الصحيحة.

***

جوهر الإشكال الإسلامي _ الغربي

أنْ الحضور المُميز للإسلام تاريخاً وحضارة، جعل المنافسين أو المناهضين للحضارة العربية الإسلامية يحاولون دوماً التقليل من قيم الحضارة الإسلامية، وهو تنافس مشروع ما لم يرتق لمسألة إلغاء الأخر أو نفيه أو تجريمه، ومن خلال المراجعة التاريخية والقراءة

الإيجابية للتاريخ لم نلمس خلافاً عميقاً بين الإسلام والمسيحية بما هم مجتمعات عامة وشعوب لم ترتض لسياسات الحكام والفلسفة الاستعمارية للملوك، والمنطق العملي يفترض أنْ نتحدث عن إسلام حقيقي وغرب جواري "لا غرب استعماري"، فما وجدناه إنْ الخلاف مبنْي على نظريات غير صحيحة تدخل من باب الاتهام والتشهير بالأخر من أجل الصعود على أكتاف غريمه، وهو تنافس مقبول ومنطقي في الحقل السياسي على أقل تقدير، لكنه ليس بالضرورة أنْ يكون مقبولاً في الحقل الأخلاقي والإنساني والإيماني (العقدي) أو الديني.

فليس هناك إشكال جوهري برأينا، إنما هو أمر متعلق بنزعات استعمارية ناجمة عن تصورات الملوك والقادة في احتلال بلدان العالم وتسخيرها ونهب ثوراتها، وهي رغبة كل ملك يطغى ويستبد وتتسع رقعة نفوذه فتأخذه العزة بالنفس، فيبدأ بالطمع لاتساع رقعة سلطانه، ونفوذه، ومحاولة الظهور مظهر القائد أو الحاكم الأعلى ببناء إمبراطورية قائمة على جماجم الشعوب ورائحة جُثث الأبرياء، دون الانتباه إلى دين تلك الجماجم أو طوائف الجُثث، فالمستبد يقتل حتى ذويه إذا تطلب به الأمر فهو أعمى البصيرة لا يميز بين حق وباطل، أو بين باطل مقرب وباطل مُغرب، فكلاهما عنده سيّان، في حين نجد الشعوب الأوروبية في غالبيتها العظمى رفضت الهجمة

البربرية الاستعمارية على العراق التي شنها بوش الأبن باسم المسيحية والحروب الدينية (الصليبية) المقدسة تهمكاً سافراً منه، وخرجت تظاهرات عمت العواصم الأوروبية في باريس وبرلين ووارسو ولندن كلها تندد بالحرب على العراق، وهو دليل كاف على حسن نية أوروبا مع الإسلام، لكن الخلاف مبني على أوهام أمنية _ سياسية لا تفارقها نزعة أيديولوجية خاصة وموجهة ضد الإسلام، مقابل استهجان ورفض العرب والمسلمين حكومات ومحكومين العمليات الارهابية التي ضربت مترو مدريد، أو برجي التجارة أو في لندن أو التي طالت صحيفة (شارلي أبيدو) في باريس والتي أسميتها شخصياً (غزوة الشانزيليزيه)؛ وغيرها وإدانة تلك الأعمال _ رغم إنها لم تثبت إنها أعمال إسلاميين مجردين من النزعة المخابراتية الغربية _ أو ربما إنهم مُسلمين مُغرر بهم ومخدوعين _؛ التي يُصور إنها بدافع نزعة مخابراتية تآمرية مبوبة ضد الإسلام _ والتبرئة منها هو أمر يدلل على حسن نية العرب والمسلمين وتعاطفهم الانساني مع العالم الغربي.

فلو تفكك الخطاب السياسي الغربي الموّجه ضد العرب والمسلمين من النزعة الايديولوجية الخاصة التي تحاول زّجها الدوائر الأمنية _ المخابراتية، ومن التوظيف السياسي للأحداث التي (يُعتَقْد) إنها أعمال مسلمين، لا يكونوا بالضرورة يمثلون الإسلام، وإنما قد يكونوا يمثلون فئة منهم أو حزب سياسي لا تمثل قاعدته الشعبية

والجماهيرية أكثر نصف واحد% بل ربما أقل من هذه النسبة بكثير، فجوهر الإشكال والخلاف، إن الجميع (إسلام ومسيح) ينظرون إلى بعضهم من خلال نظارة طائفية وعوينات عصبوية مصممها صهيوني كاره وحاقد، ومن نافذة أيديولوجية مشؤومة، فيمعنون النظر بنصف القدح الفارغ لكل منهما، ويتجاهلون الإمعان إلى النص المملوء.

إذن فالإسلام ليس مشكلة، _ كما يحاول طرحه البعض الأوروبي _ بل هو الحل، فيما لو وظف بشكل سليم ودقيق خال من شابتا الأيديولوجيا والسياسة، وهو الأقرب للمسيحية من بقية الأديان، لكن أعداء الإسلام والمسيحية هم من يريد بينهما شراً وعداوة.

الفصل الثاني

الإِسَّلاَم والعَوُلمْة

عَصَر الهَيَمْنة الأمْرَيَكيَّة

مُبتدا الحديث

مذ أربع سنوات مضت تقدمت بدراسة علمية عن هيمنة السياسة على ممتلكات السماء بعنوان (دولة العمائم) الذي لم يبصر النور حتى اللحظة، لأسباب أمنية أو سياسية أو لأسباب جرأة النقد وحفاة المواقف والطروحات التي عبرت فيها عن تصوري للحياة وما تمر به الأمة العربية والإسلامية من أزمات وتحديات تنخر الجسد وتعتاش على المتبقي من رصيدها الحضاري، والتي أعتبرها من نوع كتابات (الخبز الحافي)، وقد عبرت _ في فصل أو جزء من مواضعها _ عن رؤيتي للعولمة وتأثيراتها الجانبية على مجتمع محافظ له خصوصياته وثقافته التي لم تراعيها العولمة، أو تأخذها بعين الاعتبار بقدر ما جاءت للإطاحة بتلك القيم، واستبدالها بقيم رّثة وبالية (ديكورية) _ وشكلية على الأغلب الأعم _ مطلية واجهتها بالإغراءات والتبرج والأقنعة "المرتَّشة" المعاد تجميلها في غرف التجميل وصالونات التزيِّين.

وهنا يُفتَرض في مؤلفي (الإسلاموفوبيا) أنْ أتحدث عن العولمة الإمبريالية بما هما مشاريع أمريكية يدافع عنها الغرب ويوظف لها الكيان الصهيوني كمْمول رئيس، من أجل صناعة عالم عولمي مندمج في الحضارة الغربية البربرية الرأسمالية، ولأن الأمة بحاجة لكلمة حق أمام هجوم بربري واسع النطاق يحارب فينا القيم ويحرق فينا الحرث والنسل لاستنبات جيل وحرث مترّهل من القيم، منزوع من دسم

الرجولة، مجرد من أخلاقيات الإسلام، ومن عادات وقيم وتقاليد العرب الأقحاح، وهو ما نرفضه جملةً وتفصيلاً، ونسعى لاستئصاله من واقعنا العربي الإسلامي، ونجاهد من أجل كلمة حق أمام بربرياً جائر.

ومن هنا نحاول أنْ نضع لمسات وملامح لحقيقة العولمة والإمبريالية ولمنطق السوق المرتبط بهما بشكل مباشر أو غير مباشر، وعلاقتهما بالإسلام، وتأثيرهما عليه، والأجندات الخفية التي تتصيد في المياه العكرة التي تحاول عودة الاستعمار الى بلداننا العربية، أو ما نسميه الهجمة الجديدة "النيو إمبريالية" التي تسعى من أجل شرق أوسط جديد تسبقه فوضى خلاقة، تليه حرب طائفية، ثم ثورات مشكوك في مصداقيتها، ثم تقسيم هادئ للعرب، ثم عودة سايكس بيكو جديد يوفر الأفضلية للكيان الصهيوني، ويُعطي صلاحيات شرطي الخليج لجمهورية ايران الإسلامية، لحجر العرب في ركن معزول، وإنتزاع الإسلام استبداله بإسلام عولمي يتوافق مع مصالح واجندات الولايات المتحدة الأمريكية من خلال تشويهها للإسلام بما يسمى الإسلاموفوبيا، أو الرّهاب الإسلامي، ومحاولة استبداله بإسلام على النمط الأمريكي، يُحقق الهيمنة الأمريكية، والتفوّق الصهيوني، تساوقاً مع حلف المصالح المشتركة، الاتفاقات المبرمة في الحديقة الخلفية للبيت الأبيض بين واشنطن وتل أبيب وطهران، لضرب العرب بالعرب، كضربة الظالم بالظالم، ومن ثم إنهاك قواهم من خلال

حروبٍ أهلية وتعضيد سواعد الطرفين لاستنزاف قدراتهم المادية والبشرية، حتى لا تقوم قائمة للعرب باسم الهيمنة الامريكية العولمية.

وهو ما سنأتي للتفسير والتوضيح بشكل أدق وتفصيلٍ أكثر:

***

أصل العولمة

مع بداية التسعينات وانهيار المعسكر الاشتراكي، وتربع أمريكا وحدها على عرش العالم، بعد إقصاء خصمها الند الاتحاد السوفيتي (الشيوعي) "الخطر الأحمر" درِج اصطلاح "العولمة"، كالموضة على كل لسان، وهي في حقيقتها أيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته٣٥، وهو لا يعدو في هدفه "أمركة العالم أجمع" وفي كافة مظاهر الحياة: (أمركه في العلوم، وأساليبها ولغاتها، وأمركة في "العادات" من الولادة حتى الممات، أمركه في "الأسرة" وعدد أفرادها وتربية أجيالها والقائمين عليها: (الشارع، المقهى، المطعم، الرفاق، المهربين للمخدرات، ... إلخ)، أمركه في الألبسة، في المآكل وأذواقها، والمشارب وترنحاتها، والحفلات وتقاليدها (استقبال المدعون وقوفاً وبأيديهم كؤوس الويسكي)، أمركه في الألعاب والتسليات والفنون، والأغاني وتفاهة معانيها، وألحانها التي تصم الآذان، وأمركه في الأفكار والأخطاء والأخطار، والمحارِبين والمحارَبين والجائعين والمنبوذين، ومئات الملايين الذين يزحفون على قواعدهم من صغار وكبار ومسنين في قيظ الصحاري وعبر

---

[٣٥] د. محمد احمد السامرائي، "العولمة السياسية ومخاطرها على الوطن العربي"، مجلة الفكر السياسي، دمشق، العدد ١٣ ١٤، ١٩٩٨، ص١١٠.

الأوحال والأدغال وما يعتريهم من أهوال...)٣٦ بمعنى إنها عملية إعادة صياغة مفاهيم جديدة وإبدالها بالقديم بعد هيكلته وتجويفه، وإنْ كان ذلك القديم تراث ديني زاخر أو موروث شعبي عرفي من القيم والتقاليد العربية الحضارية السامية، فالعولمة في ظل الهيمنة الأمريكية لا يعلو عليها تراث أو قيم حضارية، لأنها هي ودونها غفار لا قيمة له.

هنا ينبغي التطرق لحديث العولمة _ كضرورة ملحة _ بإدراج تعريفات تغطي الجانب الاكبر من ماهية العولمة حتى يتسنى لها تفكيك اللغط الحاصل إزاء المفهوم، وبهذا فقد جاءت التعاريف متنوعة ومختلفة تبعاً للزوايا الأيديولوجية التي ينظر منها الكتاب والباحثين للعولمة، فهناك تعريف يرى إنْ العولمة: تعني خضوع البشرية لتاريخية واحدة٣٧ أي بمعنى جعل العالم قرية كونية _ كما رأها امكلوهان_ صاحب اول محاولة مهمة عن العولمة الاصولية، وربما هو صاحب أخر محاولة حقيقية وجادة للعولمة بالوقت ذاته، لأن كل المحاولات التي تم طرحها على ساحة النقاش الفكرية ما هي

---

[٣٦] د. نعيمة شومان، "العولمة في التكنولوجيا الحديثة"، مجلة الفكر السياسي، دمشق، العدد١، السنة ١٩٩٧، ص٦٢.

[٣٧] د. برهان غليون، سمير امين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ط٢، (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢)، ص٢٠.

إلا محاولات شعوبية مناطقية جزئية، أو بالأحرى إنها كانت محاولات لا تخلو من شائبة الأيديولوجيا وخبث السياسة، حيث تحاول الولايات المتحدة الامريكية العمل على "أمركة" العالم، أي جعل العولمة والعالم امريكياً، أو مبايعاً للثقافة الأمريكية، وربما الشيء ذاته دفع الجرمان إلى "ألمنة" العالم، أو "الفرنج" إلى "فرنجة" العالم، أو أن يتبنى الإسلاميون من رفع شعار الدعوة الى "اسلمة" العولمة والعالم ايض، أي أن الأسلمة تدخل ضمن نطاق العولمة التي يجتاح إعصارها قصبات ومدائن العالم بقوة عصر السرعة والتقانة.

كما إنْ هناك تعريفات اخرى نهدف من خلالها محاولة الإلمام ببعض المفاهيم ووجهات النظر حول مفهوم "العولمة" لا بد من الأخذ ببعض التعريفات المهمة٣٨: فقد عرفها "رونالد روبرتسون": بأنها اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش، في حين يراها "فانتوني جيدنز" بأنها "مرحلة من مراحل بروز وتطور الحداثة، وتتكثف فيه العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي وتصبح أكثر اتصالاً وتواصلاً، الأمر الذي يبدد مفهوم الحدود السياسية بين تلك الدول العولمية، أو المتعولمة.

---

[٣٨] نقلاً عن د. محمد احمد السامرائي، "العولمة السياسية واثرها على الوطن العربي"، م. س، ص١١٢.

بينما عرفها "مالكوم واترز" في كتابه "العولمة" بأنها هي: كل المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو من دون قصد إلى دمج سكان العالم، في مجتمع عالمي واحد"، أما "كينشي اوهماي" فيعرف "العولمة" بأنها: "ترتبط شرطاً بكل المستجدات وخصوصاً المستجدات الاقتصادية التي تدفع في اتجاه تراجع حاد في الحدود الجغرافية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية القائمة حالياً، أما من وجهة نظرنا وإعتقادنا البسيط فإن العولمة بالمحصلة النهائية من خلال الاستقراء والعرض لتعريفات العولمة، فقد نتفق مع رؤية المفكر محمد عابد الجابري الذي يرى إنْ العولمة تعني رسملة العالم غير الرأسمالي[٣٩] أي جعل العرب والمسلمين رأسماليين شاؤا ام أبو، تحت قوة وتهديد السلاح، وإن ما يشهده العراق اليوم من احتلال وتدمير لبناه التحتية ومصادرة لثرواته ونهب لخيراته يندرج ضمن عنوان إرغام الدول العربية والإسلامية بقبول العولمة تحت عنوان التدخل العسكري والقوة المفرطة.

وأنْ استشراف المستقبل واستقراء الماضي يكشفان إنْ العولمة ما هي إلا عملية تاريخية معقدة وطويلة تجمع قارات الدنيا في نسيج واحد، وإنها نتاج ثقافي وسياسي وتقني واقتصادي تشكلت ملامحه

---

[٣٩] د. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧)، ص١٥١.

على امتداد قرون طويلة، فتاريخ العولمة يعود إلى عصر الفايكينج بل إلى عصور وأحقاب سابقة عليه[40] ويمتد ويستمر إلى عصرنا اليوم باسم الاحتلال، أو الاستيطان أو المعونات الاقتصادية أو المساعدات المالية، أو قوات حفظ النظام أو اليونيفيل، أو حماية حقوق الأقليات، أو حقوق الأنسان والحريات العامة، أو نشر الديمقراطية على ظهر الدبابات واجنحة الشينوك!

بل وحتى في مكافحة الأرهاب تجد تشم رائحة العولمة تعانق رائحة البارود في سماء العرب!!

فالعولمة موضوع الساعة، وهي حصيلة للنظريات السابقة التي أعدت ببطء قلب البنيات الاقتصادية والإنتاجية والاجتماعية والعلمية والسياسية في كافة أنحاء الكرة الأرضية، لتسقط مرة واحدة في جعبة "أمريكا" والصهيونية العالمية من خلفها، فرأس المال للشركات العالمية الرئيسية (الأم) هو رأس مال يهودي بمجمله، والشركات الأخرى هي مجرد فروع لها[41] ومن هنا تنطلق العلاقة الأمريكية ـ الصهيونية للتجذر وتتمحور حول أهداف موحدة أهمها إشاعة "الخوف من الإسلام" والتشهير والتنكيل به وتضخيم خطره.

---

[40] دينيس سميث، الأجندة الخفية للعولمة، ترجمة: علي أمين علي، ط١، (القاهرة: المركز القومي للترجمة. ٢٠١١)، ص١٦.

[41] د. نعيمة شومان، م. س، ص٦٢.

مشاعية العولمة

طالما إنْ العولمة هي ارث مشاع للجميع، وحق ذلك الجميع من توظيفه بالطريقة التي يرونها مناسبة من أجل فكر إنساني أو ما تتساوق مع طموحاتهم ومصالحهم، فأن الجميع يحاول تثمير تلك المشاعية؛ كحق عام، فالعرب يحاولون "تعريب" العولمة، والصهيونية تحاول "صهينتها"، والترك يحاولون "أتركتها" أو "عثمنْتها"، والفرس يحاولون "فرسنتها"، أي بمعنى إنْ العولمة تخلت عن مفهومها الامكلوهاني، وتجردت من اصوليتها الحقة؛ واصبحت ظاهرة مُزّيفة وكاذبة يحاول البعض التستر وراء شعاراتها بعد إنْ تم إفراغ فحواها تماما من الهدف الاسمى الذي جاءت به (أو من أجله) وهو خير وسعادة ومساواة الإنسانية الى منبر للشر والرذيلة والترهل والتنْصل من القيم والمعاني السامية التي تشرفت بها المواثيق الدولية والنبوءات والاديان السماوية الرحبة اجمع.

وفي كتاب "ما العولمة" للمفكر حسن حنفي نجده قد اجاز لنا تعريفات جمه لمصطلح العولمة وما هيتها، ومنها على سبيل

المثال٤٢: هي مفهوم ذاع في العقد الاخير للترويج لظاهرة اقتصاد السوق الحرة، .. ومفهوم برز لإحكام السيطرة على العالم باسم ولصالح المركز ضد مصالح الاطراف، أي بمعنى لصالح الولايات المتحدة الامريكية ضد دول العالم النامي (والثالث) ومن ضمنها الشرق الاوسط الذي يقيم داخل أطره الوطن العربي، وإنها أسطورة من اساطير العصر مثل نهاية التاريخ، وصراع الحضارات، والمجتمع المدني والخ.

وأنْ ركائز العولمة مجموعة من الاساطير والاوهام اقرب الى الدعاية منها الى الحقائق، ومن الاعلام منه الى البحث العلمي الرصين، كما إنها مسألة صراع ومقاومة دفاعا عن الاستقلال ضد التبعية، والعولمة ظاهرة، وظاهرة قديمة قدم التاريخ، كما وإنْ العولمة ظاهرة اقتصادية وسياسية وتقنية ومعلوماتية وتاريخية، بل وأكثر فإن العولمة هي الاسم الحركي للأمركة؛ وهي جزء من جدل التاريخ؛ واحد اشكال الهيمنة الغربية الجديدة التي تعبر عن المركزية الاوروبية في العصر الحديث؛ وهي اتفاقية الجات والمنافسة والربح، فالعالم قرية واحدة والتبعية السياسية وتجاوز الدولة القومية ونشر القيم الاستهلاكية، وهي مرحلة تطول أو تقصر حتى ينشى القطب الثاني

---

[٤٢] نقلاً عن د. الحبيب الجنحاني، العولمة والفكر العربي المعاصر، ط١، (القاهرة: الشروق،)، ص١٠١ ـ١٠٢.

من مجموع دول اسيا، أفريقيا، دول امريكا اللاتينية، وفي قلبه العالم العربي الاسلامي.

كما انها تشير ايضاً الى تعريفات اخرى، وهذه ليس هي نهاية أو مجمل التعريفات التي فاقت الحصر والامثلة: هي ثورة مضادة ضد الحضارات القديمة وفي مقدمتها الحضارة العربية الاسلامية بإعتبارها اول واقدم حضارات العالم، كون العولمة نتاج هزيمة الدولة المتقدمة اخلاقياً، وهي ثورة عكسية ضد الأخلاق والقيم الحضارية .. كما إنها كلمة حق يراد بها باطل .. إضافة إلى كونها كلمة باطل يراد بها حق، _ أي بمعنى _ إنْ العولمة ماكنة من الممكن أنْ توجهها ضدك أو معك حسب التوظيف الهائل والامكانية المادية والقدرة على إدارة ملفها بشكل حازم يضمن تشغيلها لصالحها لا ضدها.

والعولمة هي خميرة استعمارية الغرض منها توفيرها لمراحل الامبريالية القادمة؛ وهي أنْ اكون انا السيد وانت العبد، بالقوة أو بالرضا .. وهي الانسلاخ من جلد الذات والانغماس والاندماج في جلد ليس ملكاً لك، كما وتعني إنها يجب أنْ تستقيل عن مجتمعك لتعلن انتماءك لمستقبل اخر ومجتمع أخر مغاير تماماً لقيمك وأخلاقك وذائقتك التي تربيت عليها وترعرعت في كنفها، وهي الهروب نحو الامام، والهزيمة من الواقع نحو الوهمية والضلالة

والفنتازيا، وهي حل مشاكل المجتمع بالمشاكل، وليس بالحلول الجادة والناجعة!

فلم تعد هناك اية محاولة جادة وفاعلة حقيقية للعولمة تعبر عن حقيقتها، وبهذا اصبحت العولمة في اخر انفاسها، أي أصبحت عولمة رثة، عولمة بالية، عولمة مزيفة، عولمة "مُحجبة" ركبت على صهوة الحق لتنال منه لا لمناصرة، وهذا ما دفع بها الى الانحطاط والحضيض والارتكاس إلى التخلف والتذمر والممانعة الحادة من قبولها كفكرة سياسية أو اقتصادية اجتماعية أو ثقافية، لتغدو ككل القضايا الفكرية التي وفدت الى المجتمع العربي المسلم لشق وحدة الرأي والصف والكلمة الواحدة وتحدث شرخاً في الإجماع العربي الفكري، كالديمقراطية، العلمانية، الأصولية، القومية، الإشتراكية، الماركسية، الشيوعية والليبرالية وغيرها.

وبهذا الطرح لم تحقق العولمة مكتسباتها السامية واهدافها الحميدة بقدر ما حققت منافع فئوية مناطقية _ دول الشمال دون الجنوب _ ضيقة بل جعلت العالم سائد ومسيد، عابد وعبيد، ظالم ومظلوم، قاتل ومقتول؛ فتحولت العولمة الاصولية "الامكلوهانية" من مقاصد الخير الى مناقب وعيوب حتى اصبحت عقبة كبيرة امام اختراق الحاجز العربي الإسلامي الذي حال من موقعه دون النفاذ الى العقل العربي الذي رفض العولمة بما قدمته "الصورة الامريكية" من

حرب ومخلفات دمار وشتات وضياع للأمم وتجزئة البلدان ومجاعة للأطفال حتى اصبحت العولمة في ذهن العربي بانها مفهوم رديف للاستعمار٤٣ وللخراب ولدمار الامم واعاقة تقدمها، وربما هذا هو سبب عدم نفاذها الى العقل العربي واختراق منظومته حتى ظلت تراوِح في مكانها وعند مدّخل العقل العربي المسلم حتى يومنا هذا، لأسباب ذهنية.

ونتيجة لضرورة الانخراط في السيرورة العولمية فإن بالمحصلة النهائية سوف تتبلور خصوصية هامة للاستفادة من إمكاناتها ونتائجها الحقيقة اذا ما تم الأخذ بالعولمة الاصولية بالمفهوم (الامكلوهاني) بمعناها الدقيق للكلمة٤٤، إلا إنْ هذا مرتبط بطريقة أو بأخرى بالمكْنزات التي تحول أو تحافظ على اقل تقدير على بقايا اسس ومرتكزات العولمة الحقة لغرض دمج المجتمعات في مجتمع مثالي لا يكن فيه البعض اسياد والاخرون عبيد، البعض غني والاخرون فقراء، حاكم والاخر محكوم (بالبطش لا بالاحترام)، ظالم والاخر مظلوم، رفيع والاخر وضيع، والاخر هنا دوما وفي كل الامثلة الأنفة على مر الحقب التاريخية المتلاحقة (زمكانياً) هم دول العالم الثالث

---

[٤٣] وهي كذلك بالفعل، بل هي الاستعمار الفكري بكل قسماته.

[٤٤] د. الحبيب الجنحاني، العولمة والفكر العربي المعاصر، م. س، ص٣٠.

(أو النامي والفقير)، والعرب قادة قطار العالم الثالث والنامي حسب التصنيف الاممي لتراتبية العالم.

لكن لا يسع الحقيقة المرة إلا أنْ تشاع في مجتمع يجانب الحق ويجاري الباطل ويجامل اللاخير ويساوم على الأنسنة، وهنا فالعولمة لا تعد اكثر من رديف لمفهوم "الامركة" أو المفهوم الامريكي العام للعولمة أو الهيمنة الأمريكية بما تمثله من سيطرة وبطش وتدخل سافر في شؤون الاخرين حسبما يتماشى مع مصالحها وحفاظ امن الكيان الصهيوني الذي يوكل لها مهمة بقاء الآلة الصهيونية متفوقة على الدول العربية مجتمعة أو فرادى.

وأنْ عيب العولمة إنها فكر ومفهوم مشاع للجميع حق توظيفه واستثماره، والعيب الأكبر إنْ الغرب الأورو _ أمريكي استطاع اقتران العولمة بافكاره الامبريالية والعدوانية، وربطها بمشاريعه الشرق أوسطية، في حين فشل العرب في استيعاب صدّمة العولمة ومتعلقاتها وحيثياتها، والسعي الحثيث لقبول فكرتها من خلال إلباسها ثوب إسلامي أو زّي عربي أصيل، حتى تحقق مكسبين:_

الأول: تفويت الفرصة على أولئك الذين يتهموننا بالرجعية والتخْلف لأنهم يعدون العولمة، كنقيض لذلك الانحطاط.

ثانياً: لأن العولمة في كثير من جوانبها إيجابية، كان بإمكاننا، ومن خلال عقلنا المستنير و"العقلانية العربية" أنْ نستفد منها ونأخذ من

العولمة جوانبها الإيجابية والتخلي أو ترك كل سلبياتها؛ من خلال تقدير العقل وفقه المنطق والواقع الذي يحضنا على ذلك الإسلام.

مبدأ الإمبريالية

يرتبط الحديث عن مفهوم العولمة بالحديث عن مفهوم أخر لصيق به ووثيق بعرةٍ وثقى؛ ألا وهو الامبريالية، التي لا تنفك عنه، ولا تتجاوزه في أغلب مفاصلها، حيث إنْ الإمبريالية هي بمثابة خشبة المسرح التي يستعرض عليها الحكام والقادة نماذج للأعمال التي تُظهر غلبتهم وتفننهم وابداعهم وقدرتهم على أداء تلك الأعمال، فبناة الإمبراطوريات دوما يقهرون ويستذلون غيرهم، أحياناً بإظهار القوة المفرطة، وأحياناً بالإغراء، أي سياسة العصا والجزرة[٤٥]، لإضفاء طابع الهيبنة والألهنة على أنفسهم واعمالهم وسياساتهم.

وبعد قرون من التواري في ظل المبادئ القومية والامبريالية، كان لا بد للتجارة والسوق من صياغة مبادئهما الخاصة، وأن يكون لهما ايديولوجية يركنان إلى ظلها، توافقها مع القول المثل: "إذا أفلس التاجر بحث في دفاتره القديمة"، فبدلاً من وضع مبادئ جديدة

[٤٥] دينيس سميث، الأجندة الخفية للعولمة، م. س، ص٩٩.

نبشت الماضي وبعثت من جديد افكار ادم سميث في كتابه (ثروة الأمم) عام ١٧٧٩، لقد عبر إزاء ذلك بارنيت عن عقيدة ثابتة لدى الإدارة الأمريكية رسختها عام ٢٠٠٠ تقوم على أساس أنْ السوق هو الطريق الممهد لنيل الحرية، فعندما يتحرر المجتمع (أي عندما تهيمن السوق) يصبح لدى أفراده أهم المقومات اللازمة للتمتع بحقوق الإنسان٤٦ واستطاع أرباب السوق بفضل تلك الأفكار أنْ يحفظوا للأنانية احترامها٤٧، وما حدث في فترة حكم تاتشر وريغان خير دليل حيث استطاعوا أنْ يجدوا القادة والمعاونين الذين ساعدوهم في وصول رسالتهم إلى جمهور سياسي عريض، يتحدثون باسم التجارة والسوق، وحولوا الإذلال الذي يمارسونه وعار الأنانية والتهور إلى نصر منشود يحتفل الناس به ويحتفون به ايضاً٤٨ بمعنى إنْ منطق السوق هو أكذوبة من منظومة تلفيقات العولمة وفقه الامبريالية، وهي التي جعلت العالم كله يستشعر بعار العولمة، بل إنْ هذا التعبير الذي تقدم به (دينيس سميث) في كتاب "الأجندة الخفية للعولمة" كيف لا وأكذوبة العولمة تتصدق حقيقتها مع أكبر رجل منافق وكاذب في العالم وهو جورج بوش (الأبن) صاحب أكبر كذبة في العالم، وصاحب أشهر مسلسل تراجيدي طويل من الحلقات الكاذبة

---

[٤٦] م. ن، ص١٣٠.
[٤٧] م. ن، ص١٥٢.
[٤٨] م. ن، ص١٥٢_١٥٣.

لجمهور ومستمع ومشاهد ساذج ما زال يضحك عليه ويضحك على نفسه!

انواع الهيمْنة

لم يكن مفهوم اليهمْنة شائعاً أو معروفاً حتى في المخيّلة العربية ولا وجود لها في القاموس العربي والإسلامي لأن مفهوم مرتبط تماماً بالإستعمار وحملات التغريب والغزو للبلدان، وبالتالي صار مفهوم الهيمنة رّديف السياسات الأمريكية وأصل من أصول أستراتيجيتها في المنطقة العربية والإسلامية، ذلك بما تعنيه الهمنة كونها قيام دولة مفردة بالتحكم المطلق بالدول الأصغر منها، أو بما تعني من ذلك إنها القوى القادرة على فرض احكام العلاقات الدولية[٤٩] بمعنى إنْ الهيمنة هي عبارة عن فرض قيم قاهرة وثقافات مختلفة على شعب من الشعوب بالإرغام والقوة المفرطة حتى إجبارها على قبول قيم الهيمنة وشروط المستعمر والتي من بينها تقديم ثرواتها ومقدوراتها له على طبقٍ من ذهب؛ وهذه الهيمنة لن تتوقف على هيمنة سياسية أو

[٤٩] د. عصام نور، العولمة وأثرها على المجتمع الإسلامي، (مصر: مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٣)، ص٧٠.

على جانب واحد لأن الهيمنة هي عبارة عن منظومة السياسات القصية التي تحاول الإغارة على كل ما هو ممكن نهمة وابتلاعة.

فالهيمنة أنواع وعناوين جمة ومختلفة تتجمع كلها في شكل منظومة من القيم الاستعمارية، ومن أكبر الاخطاء اعتبار الهيمنة سياسية فقط، إذ لم تتحدد الهيمنة بشروطها السياسية فحسب؛ إنما هناك ثمة أنواع للهيمنة من بينها[٥٠]:_

أولاً: الهيمْنة السياسية:

تعني السيطرة على توازنات القوى المناهضة لمصالح الغرب.

ثانياً: الهيمنة الثقافية:

السعي إلى بث الأفكار الغربية في الأوساط العربية والإسلامية ومن بينها وأشدها العلمانية.

ثالثاً: الهيمنة الأمنية:

الهيمنة على مفهوم الأمن في المنطقة والتحكم بالسياسات العسكرية وتوجه الجيوش وتحرك القطعات بشكل تام.

وبالنهاية فإن مفهوم الهيمنة وُجد لغاية واحدة فقط وهي تقويض دور العرب والمسلمين على الصعد الثلاث (السياسية، الثقافية، الأمنية) وغيرها حتى؛ لأسباب عدائية عنصرية متطرّفة يحاول صناعتها

---

[٥٠] المرجع نفسه، ص٧٦_٨٢.

الغرب النخبوي وتوفير أرضية من الجمهور الغربي الميال والمتعاطف مع السياسات العدوانية الغربية.

الإسلام في ميزان الهيمنة الأمريكية

لقد حققت الولايات المتحدة الأمريكية انتصارات هائلة في الحربين العالمتين الأولى والثانية؛ وحتى في الحرب الثالثة (الحرب الباردة) حيث بدأت الرأسمالية تحارب عقائدياً ضد أي خصم لها ترى أو تفترضه حسب معلوماتها المبنية على مصادر امنية ومخابراتية، لا بحثية (علمية) وواقعية (عملية)، فجاء دور الإسلام والمسلمين الذين تحولوا إلى الهدف التالي للرأسمالية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين وصولاً إلى إفساد قيم المسلمين والترّبع فوق عروشهم النفطية، الأمر الذي يتطلب حرب مستمرة[٥١] ضد العرب والمسلمين، كمبرر لها للسيطرة على اقتصاديات العالم العربي والإسلامي من خلال منطق السوق (أو اقتصاد السوق)، الذي سيجعل من العرب والمسلمين في ذيل هذا السوق تبعية خانعة وعولمة اقتصادية تصادر الثروات وتوفد إلينا الحرب والمشاكل والأحتراب الداخلي والأهلي، ولهذا تأسست "جبهة الممانعة العربية

[٥١] عبد الحي يحيى زلوم، حرب البترول الصليبية، م. س، ص٨.

الإسلامية للعولمة" وكل تجلياتها وتبعاتها؛ في أقسى الظروف التي يمر بها عالمنا اليوم.

فالعولمة بهذا الطرح _ الأمريكاني لا الأملكلهاني _ مرفوضة وممنوعة من الدخول إلى العالم العربي، لأنها وفق السيّاق الأمريكي هي تعني الاحتلال، الاستعمار، الغزو، الامبريالية، الكولونيالية، الرأسمالية، الصهيونية، الترّهل، الانبطاح السياسي، الخنوع، التبعية الاقتصادية، الغزو الفكري، الانحلال، الانحطاط، الترّدي، التراجع، النكبة، النكسة، التخلف، الأمية، الجهل المقدس، وكل مفاهيم الازدراء والتراجع الحضاري، فمنذ متى أصبحت الولايات المتحدة الامريكية دولة سلام ومحبة تسعى لنشر الخير، وراعي الديمقراطية فيها هو ذاته راعي البقر والابل، لا تختلف عقليته العولمية اليوم عن عقليته القديمة بما هي عقلية "رجل الكاوبوي" الرّثة؛ عقلية (عقلية راعي البقر) التي يهاجم بها العالم بربريته المتلبسة بثوب من التصاميم الديمقراطية الديكورية.

وفي ظل هذه الوفرة من الحشد المبتذل لا يمكننا كمسلمين أولاً وكعرب ثانياً، أنْ نقبل العولمة بأي شكل من الأشكال، وفي حال وضعنا بالقوة والعافية أو أُرغمْنا أمام خيارها الاجباري، فأننا نجد إنْ هناك ثمة ملاحظات واعتبارات لقبولها، كشرط أساسي ومبدئي، ولا يمكن بدون توفرها أنْ نضمن عدم ممانعتها، ومن تلك الشروط برآينا هي:ـــ

١_ أنْ تتجرد من مقترناتها الغربية الاستعمارية (البربرية)، بمعنى أنْ نقبل عولمة بدون أمريكا، أو بدون دافع غربي لها، وألا تأتي مع جوقة الاحتلال والقوى الغاشمة والغازية لها، أو ألا تأتي بالإجبار، إذ لا بد من وضع شرط أولي لقبولها وهو تمريرها على "سونار العقل" لمدى الأستفادة منها وتعريّة سلبياتها ورفضها.

٢_ ألا يتم الأخذ بها سلة واحدة، أو جرعة واحدة، فهي كأي ظاهرة، فيها المفيد وفيها الضار، ويجب أنْ نأخذ فقط ما ينفعنا، ونزوي ما يضر بقيمنا واخلاقنا العربية الإسلامية، أي نريد ما يمكن أن نُسميه "عولمة إنتقائية" لا تخرج أو تجرح الذائقة العربية والإسلامية.

٣_ أنْ تكون ظاهرة تُلبي حاجات وطموحات المجتمع العربي وتطلعاته، لا أنْ تركب موجته، وإذا فشلت، كالحداثة أو التحديث، فهي ليست فرض علينا، وبالإمكان التخلي عنها بدون قيد وشروط.

تلك هي العولمة التي نريدها للمجتمع العربي الإسلامي، في حال فرضها علينا من فوق بالقوة الضاربة، فإذا تخلت عن تلك الشروط أو تجاوزها، فنحن نُصر على ممانعتها، ورفضها، وطرح البديل

الحضاري عنها، أي مشروع مدني بإمكانه أنْ ينقل العرب والمسلمين إلى بر الأمان؛ تحت عنوان العروبة والإسلام.

***

إسلام بدون عولمة

لا يتوافق الإسَّلام مع العولمة بهذه الصيغة المتاحة أو المعروضة في سوق الأيديولوجيات المعروضة للترويج المُمنْهج لها، فهي ما زالت تجد الممانعة العربية الإسلامية لها، لأسباب _ تم ذكرها أنفاً _ في حقيقتها، وفي علاقتها بالغرب الاستعماري، وبدوافعها ونزاوتها، وسلبياتها، واهدافها المريضة، الأمر الذي يعتبرها العرب والمسلمين إنها استعمار بحلهٍ جديدة وبثوب معاصر، _ أو غزواً فكرياً للعقل والروح قبل الجسد _ لم يتغير من مضمونها؛ كاستعمار وتخريب وتغيير ديمغرافي وتجريد للقيم، واستئصال للمبادئ، فهي لا تختلف عن الاستعمار القديم إلا من حيث كلمة ولفظ الجديد فقط.

لهذا نحن نبني تصوراتنا عن إسلام مجرد من العولمة الاستعمارية، دون أن نمنع من إمكانية تأسيس "عولمة إسلامية" فالإمبريالية عولمة انتهازية، فهي مرفوضةلأسباب أولها أنها مفروضة من أعلى إلى تحت بالقوة والإكراه، وثانيها: أنها لم تقدم لنا الجديد والنافع إلى خير الأمة وصلاحها بما هو مبتغى السياسة ومرتجاها، وثالثها: تخالف الإسلام والعرب من حيث المبدأ والتطبيق المطروح من إباحية وتحرر فردي قد لا يتألم مع وضعية الفرد المسلم المختلف عن الفرد الغربي فهي إذن وفود غربي إسوةٍ بالعلمانية، الحداثة، الإسلام السياسي، الأصولية كلها توضع في خانة مزججة في بازارات العرض المباشر تحت يافطة "البضائع الغربية الوافدة" إلى المجتمع الشرقي [العربي والإسلامي تحديداً]، _ لكن لا يعني إننا دُعاة انغلاق ديني أو تسطيح فكري، بل نحن ندعو للحداثة والتحديث الحقيقي [لا الديكوري] _، أما إن يفُرض خيارها علينا أو يُجبرنا على قبولها على مضض، فنجد من البالغ الأمر أنْ نقبلها بالشروط الذي ذكرناها اعلاه، كخطوة أولية للتفاوض بشأنها، وغير ذلك فهي ممنوعة عنا وممنوعين عنها، لأسباب تقدمنا بذكرها أنفاً، ويستحيل استنبات قيمها في عالم مختلف عن الغرب من المنهج إلى التطبيق.

***

أسلمة العولمة

يؤمن الدكتور سمير امين _ ومن أندرج في تياره من المفكرين والباحثين العرب _ على إنْ العولمة الجديدة التي تشنها امريكا قد

ادت بحكم الضرورة الى تآكل الدولة الوطنية٥٢ وجعل العرب والمسلمين في هذا المضمار هامشيين، شيئين، عابري سبيل، بقايا "نخال الغربلة" وهم تحديداً من صوب نابالم العولمة الجديدة نحو فروات رؤوسهم، وهذا ما حتم على العقل العربي من التقصّي والبحث في قضية العولمة باعتبارها احدى قضايا الفكر العربي المعاصر، وإشكالياته المعاصرة، والهم الذي يعاني منه؛ والعمل على بلورة حل لهذه الإشكالية باستيعاب صدمْتها وتفويت الفرصة على خصومنا المتعددين.

وفي هذا المضمار يشير الباحث زكي الميلاد بالقول: إنْ الفكر الاسلامي حتى هذه اللحظة لم يبرز أية انشغالاً جاداً ودقيقاً وناجعاً، أو حتى يقدم اسهاماً مُعمقاً، وترّاكماً مُنفتحاً حول ظاهرة العولمة، وبهذا يستبين للمتلقي التفوق الفكري للمنظومة العربية على الفكر الإسلامي في مجال مناقشة تجليات ظاهرة العولمة واثأرها وسبل صدها أو استيعابها داخل الحقل العربي٥٣ وهنا يرى إلى ضرورة "أسلمة العولمة"؛ كخيار آني حتى تفوت الفرصة على العولمة

[٥٢] د. سمير أمين، د. برهان غليون، حوار الدولة والدين، ط١، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦)، ص٤٦.

[٥٣] زكي الميلاد، الإسلام والمدنية، ط١، (بيروت: دار العلوم ناشرون، ٢٠٠٧)، ص٤٧_٤٨.

الأمريكية أو المقترنة بالاستعمار والإمبريالية؛ بأعتبار أسلمة العولمة هي الخيار المتاح لدينا هذه اللحظة، والمعطى الوحيد.

في حين تجد الأسلمة، العولمة رفضها علمانياً من الداخل العربي، يرى البعض إنها إلتفاف على الحقيقة، وفبرّكة سياسية عن الطريق التستّر بالدّين والاستخدام السلبي له من اجل منافع دنيوية دنيئة كان من الممكن تحقيقها دون الزّج بالدين في معترك الدنيا والسياسة، ودون النيل من سمعة الدين التي نال منها الإسلاميون بأحزابها وحركاتها وتياراتها "المتأسلمة" أكثر ما ناله من آلة التشويه الغربية (الإمبريالية)، وبهذا يجد برهان غليون في معرض ردة على المفكر سمير امين، أنْ رفض الثورة التقنية والعلمية لا تعني "العودة الى الماضوية" القديمة، أي تقنية السيف والرمح والقافلة الصحراوية، وإنْ التعامل الناجع لا يكمن "بالهروب نحو الماضي" من العولمة بقدر ما هو الثبات في وجهها ومقاومتها لأن الهروب امامها يعني التسليم بها والاعتراف بشرعيتها والقناعة بها وبكافة مكتسباتها ونتائجها، وهذا ما لا يصح مطلقاً، كفلسفة ممانعة عربية _ إسلامية بوجهها ووقف من استنزاف الإمكانيات العربية.

أي إنْ التعامل الحق مع العولمة ومواجهة التحديات التي افرزتها تكمن في بناء منظومة "مقاومة عربية قوية" لها لا بالدفاع التقليدي لها (منظومة عربية بينية شعبية قاعدية لا نخبوية فوقية سطحية هامشية)،

وهذا الأمر يتطلب بناء الإرادة والعزيمة والثقة العالية بالنفس والتّطلع نحو مستقبلٍ مشرق وغدٍ واعد عن طريق التفاؤل وفسحة الأمل بما تكتنزه العقلية العربية من مواد اولية تاريخانية للجهد والمثابرة والرصيد الحضاري القابل للتثمير اذا ما وجهها بصورة حقيقية وجادة لإنقاذ العرب من وحول العولمة واطيان البربرية.

إذ إنْ هناك تيار عربي عريض وقع عليه البعض الأخر من المفكرين العرب ببصمة إسلامية _ أي ذو نظرة دينية _ رأوا فيها إنْ الإسلام هو عولمة؛ ولكن من نوع اخر، أي بمعنى إنْ الخلافة الإسلامية تعني "عولمة العالم الإسلامي" حتى يكون قادر على التعامل مع ضغوطات واحتياجات العولمة الغربية٥٤ ومواجهتها بصورة جدية وحازمة تضمن الحفاظ على مكانة ووجود الهوية العربية الإسلامية على اقل تقدير من طارئات الدهر وبرزو الهويات الفئوية القاتلة من قماقم الاحياء الشعبية والعشوائية التي تُغذّيها العولمة الاستعمارية من أجل تفكيك نسيج المجتمع العربي الإسلامي وتمزّيق أو طمْس هويته الأصيلة (عربية أم إسلامية).

ولمزيد من التعمق في علاقة العولمة بالعالمين العربي والإسلامي، فإن الباحث محمد احمد السامرائي يقول بهذا الصدد:

---

[٥٤] د. محمد عمارة، نظرية الخلافة الاسلامية، (القاهرة: قضايا اسلامية معاصرة، د.ت)، ص٤٩.

"نحن في الوطن العربي نحتاج إلى المزيد من دراسة هذه الظاهرة، وآثارها العامة على حاضر الوطن العربي ومستقبله. تحتاج إلى دراسات جادة ورصينة، وندوات عديدة على مستوى الوطن العربي، لتساعدنا في اتخاذ موقف قومي موّحد وصريح، وصياغة استراتيجية عربية قومية جديرة تمنحنا القدرة على التعامل الإيجابي مع ظاهرة العولمة التي تريد أن تسود وتهيمن على هذا العالم"[٥٥] ونحن لا نعترض على سيادتها إلا إذا كانت على حساب العرب والمسلمين وعلى حساب موقعهم التاريخي والحضاري؛ فلا شأن لنا بهيمنة أو سيادة العلومة إذا أحترمت خصوصياتنا أو اعطتنا دورنا الحضاري داخل مشروعها العصري.

مع ذلك يبقى العقل العربي بحاجة الى "إمكانيات الشعوب العربية الذاتية والمرتبطة بالأصالة العربية الإسلامية من أهم المؤهلات وآليات الحفز والتأييد على الإسهام والتفاعل في متطلبات التطور والرقي في ظل النظام العالمي الجديد الذي هو في أساسه لا يزال بعد في طور التبلور أو التشكل. كما تظل الشعوب الإسلامية وسكان العالم الثالث ومنظماتها خير سند لنا فكرياً، ثقافياً، سياسياً،

---

[٥٥] د. محمد احمد السامرائي، م. س، ص١٢٢.

واقتصادياً، للوطن العربي والشعوب العربية"[56] من أجل دفع الهيمنة الأمريكية وردها إلى اعقابها، وخصوصا ونحن في عصر التبشير بأفول تلك الهيمنة البربرية المتعطشة للدم وللبترول العربي.

أذن فالهيمنة الأمريكية تريد إسلاماً معولماً فوق الشروط الإمبريالية، وعلى النمط الأمريكي، وليس عولمة اسلامية تُعمْم النمْوذج الإسلامي من دولة خلافة أو شريعة إسلامية، فهم يريدون لنا أنْ نلبس ثوب فضفاض لا يناسب اجسادنا، أو ثوباً نصف عارياً تنقصه الحشمة والكرامة الأمر الذي يخدش حياءنا واخلاقنا بكلا الحالتين المذكورتين.

فالإسلام ليس عولمة إلا في حدود الشريعة الإسلامية، .. والعولمة ضد الإسلام بكل مقايسه الأمريكية، لانها لا تعني في النهاية إلا أمركة العالم وتنميطه بالزّي الأمريكي، وربّط مستقبله بمستقبل الولايات المتحدة المهددة بالانقراض، خصوصاً في ظل الانبعاث السياسي للظاهرة الإسلامية التي تحاول أنْ تحل محل الإسلام في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وأنْ الهيمنة الأمريكية القائمة على القوة لا بد أنْ يبدأ عدها التنازلي يوماً، خصوصا وهي تجاوزت مرحلة الذروة وبدأت بالعد التنازلي فعلاً بدءاً من الحث عن خصوم خارجيين

---

[56] د. مصطفى عبد الله الكفري، "العولمة الهاجس الطاغي في المجتمعات العربية المعاصرة"، مجلة الفكر السياسي، العدد ١٨_١٩، ٢٠٠٣، ص ٢٤٨.

لتغطية جرائمها التي بلغت الأعلى على مستوى العالم من حيث التقارير التي قدمتها منظمات دولية وأممية.

***

الفصل الرابع

الظَاهَرّة الإسَّلاميَّة:

إعَادَة الهيكلة والتَشَكيَّل

مدّخْل

تتسم الظاهرة الإسلامية اليوم بكونها مفهوم مُحدث ومُبتدع في الفكر الإسلامي ما جاءت إلا نتاج لسوء فهم الدين وربّطة بمنظومة من التفسيرات المنافية للثوابت الإسلامية التي جاء بها من أجل إسعاد البشرية، بمعنى إن الظاهرة الإسلامية هي "عولمة العرب

والمسلمين" وحداثتهم، ومواكبتهم الحضارية لركب العالم؛ جاءت كرّد فعل للحداثة وفشلها.

مبدئياً يمكننا تقديم تعريف للظاهرة الإسلامية يكون قادراً على إرسال رسالتنا العلمية للقارئ والمُتلقي بحيادية وموضوعية، كوننا نُمثل منبر أكاديمي نسعى من خلاله إيضاح الصورة الضبابية للإسلام، والشُبّه المُلفقة التي تربّط الإسلام بالعمل الإسلاموي اليوم بما هو ثقافة عنف زورها الدُخلاء على الإسلام، فأرادوها عنوان الإسلام العام.

حيث تُعرف الظاهرة الإسلاميّة على إنها: ثمْرة الإخفاق الأيديولوجي _ بتعبير عبد الألة بلقزيز التالي ذكره _؛ بمعنى إنها جاءت؛ كرّد فعل على الأوضاع المعاشية التي تعاني منها الأمة العربية وفلشت العلمانية من معالجتها بطريقة تنموية مستدامة؛ فهي تدعي إنها البديل ليس عن الأخفاق، بل وصل بها "الغرور الديني" لأن تدعي إنها الإسلام بعينه، وإنها نائبة الرب في الأرض؛ مقترنة نفسها بالأصولية الإسلامية ومدعية إنها تسعى إليها وإلى العودة إلى المنابع الاولى للإسلام الرسولي أو العبادي (المصدري).

***

الأصولية الإسلامية

لقد خرجت الحركة الأصولية للإخوان المسلمين في مصر من عباءة الدعوة السلفية الإصلاحية التي مثلتها مجلة "المنار" مع كل من الإمام محمد عبدة والشيخ رشيد رضا إضافة للإمام جمال الدين الأفغاني ومجلة "العروة الوثقى"، في حين يمكن اعتبار محمد رشيد رضا هو الإتجاه الأكثر في التيار الأصولية في بداياته مع الأخوان

المسلمين٥٧؛ وكانت بمثابة نقطة التحوّل في الفكر والحركة الإسلامية وبداية نشوء أول تيار أصولي سلفوي تجديدي (إصلاحي) يدعو إلى تغيير المسار والعودة إلى منابع الإسلام ومصادرة النصية.

فالأصولية في اللغة مأخوذة من الفعل "أصل" الشيء يوصله أي عاد به إلى الاصول والثوابت٥٨ وتعني في المعنى العام بأنها اساس مذهب الأصولية _ كما عرفه مراد وهبة _ هو الفهم البروتستانتي للعقيدة المسيحية؛ وبالذات في امريكا ومؤداه إنْ الكتاب المقدس معصوم من الخطأ٥٩ أي بمعنى أخر أنْ الأصولية هي ليست أصل "ديني نصي" ولا هي "أصل من أصول الحكم"، ولا هي "فرض" أو حتى سُنة مؤكدة أو مُحببة، لأنها بالأساس هي أجتهاد بشري مدعوم بدعوة ربانية لإتاحة فرصة للعقل من أجل الحفاظ على الدين وسياسة الدنيا (كما عبر عنها الإمام الماوردي في أحكامه السلطانية)، في حين إن الأصولية العربية الإسلامية قد خلفت أفكار رشيد رضا

---

[٥٧] إبراهيم اعراب، الإسلام السياسي والحداثة، ط١، (بيروت: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠)، ص٣٩.

[٥٨] تقديم: محمد احمد دياب، الأصولية الاسلامية والأصوليات الدينية الأخرى، (بيروت: منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية،)، ص٢١.

[٥٩] شاكر النابلسي، تهافت الأصولية: نقد فكري للأصولية الإسلامية من خلال واقعها المعاش، ط١، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٩)، ص٨٤.

المتطرّفة والميالة إلى الحنبلية الراديكالية٦٠، لتأتي الأصولية الإخوانية لإتمام مسيرة التطرّف الأصولي خصوصاً بعد بروز نجم سيّد قطب في الساحة الإسلامية الإخوانية؛ ولحقه وصالح سريه وعصام البرقاوي وغيرهم.

وبالتالي يمكن القول إنْ الأصولية الإسلامية تتمثل ـ بتعبير جيل كيبيل ـ في المجتمعات العربية والإسلامية بإنها حققت نجاحات جماهيرية واسعة وهي الآن في طور الأفول والإنحدار٦١؛ ويضيف كيبيل إنْ أنقسام الحركات الأصولية إلى قسم متطرّف وأخر معتدل أدى إلى فشلها في تحقيق أهدافها من الوصول إلى السلطة وأضعفها كثيراً٦٢؛ وذلك ناجم عن الكهانة التي أمتزّجت بتصورات الأصولية وادعاءها الحق الألهي.

تأليه الظواهر

من أخطر ما يواجه الإنسان ويمس صميم كرامته، ويلوّث عقله، ويُغيّب تفكيره هو تحويل الظواهر والأشياء إلى ألهة، أو إضفاء طابع

[٦٠] إبراهيم اعراب، الإسلام السياسي والحداثة، مرجع سابق، ص٣٩ـ٤٠.

[٦١] هَاشِم صَالح، مُعضلة الأصوليَّة الإسْلاميَّة، مرجع سابق، ص١٣٠.

[٦٢] بإستثناء الحركة الأصولية الإسلامية (الإيرانية) ـ التي خرجت عن النص والنسق العام ـ التي نجحت في الوصول إلى السلطة وتحقيق أهدافها المنشودة، كونها أستطاعت أن تُجيّش كل الجماهير والفئات تحت قيادة الإمام الخميني.

قداسوي لها، وفيما يتعلق بالعقل العربي هو تأليه[63] الظاهرة الإسلامية بما هي مرحلة لاحقة للإسلام المُبكر، وسابقة للطائفية أو الإسلام السياسي، وهو أمر أخطر على الإسلام من خطره على الظاهرة نفسها.

بمعنى إنْ الإسلام تحْول إلى "كهانة" بفعل العقلية الإسلامية السائدة والمحتكرة للمؤسسة الدينية؛ حيث أُلبس الإسلاميون الإسلام بثوب الكهانة بما هو "إضفاء القداسة على ما هو غير مقدس، والتعقيد على ما هو غير معقد، بغرض خلق مساحة بين الإنسان والحقيقة، يسكنها أوصياء على الحقيقة والإنسان معا"[64] لتلعب دور الكاهن أو الحاخام أو القس في الوساطة والتوسل له وتبجيله؛ وتسيي حياته غشاً وزوراً.

فتعظيم الأشياء أو إعطاءها قداسة _ برغم بشريتها أو دنيويتها أو احتوائها على الجوانب القبيحة والرذيلة _ أمر بالغ الخطورة، يجعل من الظاهرة متساوية مع المقدس؛ وأحياناً تتعلى حتى على القيم الإلهية، فلا ينبغي الانجرار وراء الكتابات والبحوث التي تعظم

---

[63] تأليه هي أن تجعل من مخلوق إله، كما ادعى فرعون لنفسه على أنه إله.

[64] صلاح سالم، الأساطيّر المؤسسة للإسّلام السيَّاسي، الجزء الأول، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤)، ص٣٣.

الظاهرة الإسلامية أو تأليها حتى تبقى صورة الإسلام ناصعة البياض، لا تشوبها شائبة أو تعكر مزاجها لوثة طارئه.

أي إن ظهور الاتجاهات الإسلامية جاء كرّدة فعل على فشل العلمنة وفصل الدين عن السياسة وأعمال الدولة، لكن المؤسف إنْ هذا الظهور دائماً يؤخذ على إنه يعني العودة إلى الماضي والارتكاس إلى القدّامْة، دون أنْ يُصاغ أو يُفسر على إنه بحث جديد عن شكل اجتماعي أو سياسي أو ثقافي حديث أو محدث؛ والأشد ضراوة وفجاجة هو إن الكثير من المفكرين والكُتاب ينظرون إلى موضوع الأصولية والعودة إلى رّحبة الإسلام المُبكر هروباً من رّبقة المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية (المعاشية) التي تحيق بالأمة أخطارها بإنه عودة إلى الماضي بكل سلبياته، وقدامته وتأخره ورثاثته، ولا أحد يَنْظر إلى إنها قد تكون "عودة موفقة" من أجل بناء منظومة حضارية تجمع العرب والمسلمين في وحدة "إسلامية" أو "عربية" تصفر إشكاليات الفكر السياسي العربي والإسلامي وتُعيد ترّقيم مشروع نهضوي ينوء بحمل أوزار الأمة وهمومها؛ ويسعى إلى تحقيق تطلعاتها وبناء نهضتها وتنميتها المُستدامة ومشروعها التكاملي الوحدودي.

أسباب بروز الظاهرة الإسلامية

لعل الظاهرة الإسلامية لم تأت من فراغ، أو تحدث بفعل دفع غربي لها فحسب، أو إنها جاءت بـ "محض صدفة أيديولوجية"؛ _ فألايديولوجيات لم تأت صدفةُ طلقاً وإنما تأتي بتخطيط وتكتيك دوماً _؛ بل إنها نتاج لعدة عوامل اجتمعت فأسست لها، وأثرتها وجعلت منها واقع حال، ومعطى تاريخي وسياسي وديني للأمة العربية الإسلامية، "تأشكلت" نتيجة لاجتماع عدة عوامل ومُسببات، وأهم تلك الاسباب؛ هي:_

اولاً: يبدو بروز الصحوة أو الظاهرة الإسلامية على الأقل، نتيجة لخسوف الحركة القومية العربية وتجارب التنمية في الشرق الأوسط[٦٥] أي بمعنى عزو سبب صعود ونمو الظاهرة الإسلامية إلى ثمرة الإخفاق الأيديولوجي[٦٦] الأمر الذي ترك الساحة الفكرية والسياسية شاغرة ومتروكة للحركات الإسلامية وحدها العمل والتحرك بديناميكية عالية.

ثانياً: فشل التَحدَّيث السَّياسّي وفَشّل الحَدْاثَّة من تحقيق مكاسبها، والخروج بالعرب من بوابة الجحيم، وفشل العرب في مواكبة _ أو في الانتقال _ الى عصر الديمقراطية إذ يرى المفكر

[٦٥] نزيه أيوبي، م. س، ص٣٩.
[٦٦] د. عبد الإله بلقزيز، الإسلام والسياسة: دور الحركة الإسلامية في صوغ المجال السياسي، ط١، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١)، ص١٢٠.

التونسي محمد شريف فرجاني، إنْ الاسلام السياسي جاء كرّد فعل على الحداثة العلمية والفلسفية٦٧، بمعنى إن الإسلام السياسي؛ كظاهرة؛ وكتيار سياسي جاء كرّدة فعل على فشل الحداثة وتجلياتها؛ وولد من خاصرتها بعملية قيصرية ناجحة.

ثالثاً: أنْ من بين أسباب بروز الظاهرة بما هي إسلام سياسي عنيف هو نتاج لعُنف الدولة حيال المجتمع، كرّدة فعل نتيجة الفشل في حل المشكلات٦٨، فالدولة القمعية تلجأ دوماً لإفراغ جام غضبها على الجماعات التي تعتقد إنها معارضة لها، والقمع هو السمة الغالبة والمشتركة لأغلب النظم العربية الحاكمة، ونظراً لتشابه البيئات العربية فإن الحال يؤول إلى دوماً قمع الجماعات الإسلامية لأنهم على مدى تاريخ استقلال الدول العربية هم الجماعة شبه الأكيدة التي بقيت خارج السلطة، وفي صف المعارضة دون منافس قوي، فالمعروف إنْ التيار الإسلامي لم يمارس حقه في الحكم؛ كالتيار العلماني القومي أو الليبرالي أو الاشتراكي.

رابعاً: هناك من يرجع تنامي المد الإسلامي أو بروز ما يسمى ظاهرة الإسلام السياسي على مستوى شعبي كبير، على واقع هزيمة

---

[٦٧] نقلاً عن: شاكر النابلسي، تهافت الأصولية: نقد فكري للأصولية الإسلامية من خلال واقعها المعاش، م. س، ص١٥٤.

[٦٨] جان فرانسوا بايار، (وأخرون)، م. س، ص٤٤.

العرب امام الكيان الصهيوني في العام ٦٩١٩٦٧ فالكثيرون _ وخصوصاً الإسلاميين _ كانوا يبنون نظرياتهم وطروحاتهم على إنْ سبب هزيمة العرب امام الكيان الصهيوني ناتج عن ابتعادهم عن الإسلام وقيمه الحضارية، والنصر والظفر يتم من خلال العودة إلى حضن الإسلام وإلى التمْسك بعقيدته، فاختلقوا الظاهرة الإسلامية (الإسلام السياسي) محاولة منهم لإقناع العامة والجمهور على انهم تمثل كُل الإسلام، وهذه هي المغالطة الباهظة الثمن.

خامساً: أنْ تفاقم التناقضات الاجتماعية هي التي ادت الى تنامي المد الإسلامي وبروز ما يسمى بالإسلام السياسي، كون الحركة الإسلامية لا تعدو كونها التعبير عن احتجاج اجتماعي يتخذ الإسلامية (أو الأسلمة) قناعاً وأداة للتعبئة في مواجهة النظم الحاكمة والمهيمنة٧٠، حيث يشكل الفقر والتخلف والبطالة وقلة فرص الصعود الاجتماعي خصوصاً لدى طبقة الشباب والمجموعات

---

[٦٩] جون أسبوزيتو، "الإختلاف على الدولة لا على الإسلام"، في: راشد الغنوشي، (وأخرون)، العلمانية والممانعة الإسلامية: محاورات في النهضة والحداثة، حوار: علي العميم، ط٢، (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢)، ص٤٨.

[٧٠] د. برهان غليون، نقد السياسة: الدولة والدين، ط٤ ،(الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧).

الريفية[71] الدافع للتفكير بـ "الحل الديني"، لهذا نما الإسلام السياسي كتعبير عن الإحتجاج ضد القمع والضيم والحيف الاجتماعي والتهديد المُحدق بالهوية الجماعية[72] بمعنى إنْ الظاهرة الإسلامية جاءت؛ كرد فعل على الأوضاع المعاشية التي تعاني منها جموع الأمة العربية وفشلت العلمانية من معالجتها بطريقة صحيحة.

سادساً: يَنْظر عدد من المفكرين الغربيين مثل ماركس وفيبر ودوركايم وبرجر إلى إنْ الحرمان الاقتصادي والاجتماعي يؤدي إلى زيادة "الالتزام الديني"[73]، رغم إنْ هذا الطرح هو ليس نظرية ثابته، على طول الوقت، فالمسألة يكتنفها نوع من عدم الصحة، إذ تكمن في جذر الظاهرة الإسلامية المشكلات الاقتصادية والديموغرافية المعروفة وما ينجم عنها من صعاب السياسة التي تواجه الحكومات، والأسباب تكمن في الازدياد المطرد في السكان _ فئة الشباب تحديداً _ ونظم تعليم مزرية واقتصاد راكد، وفساد وتنام البطالة كلها

---

[71] د. خليل علي حيدر، التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية، م. س، ص٢٢.

[72] د. سَعّد الدِّين إبراهيم، "الإسَّلام السياسي ماضياً وحاضراً ومستقبلاً"، في: مجموعة باحثين، الإسلام السياسي وآفاق الديمقراطية في العالم الإسلامي، ط١، (الرباط: مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، ٢٠٠٠)، ص١١٣.

[73] نقلاً عن: ريتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، م. س، ص٢٦_٢٧.

اسباب عززت فكرة الظاهرة الإسلامية في العالم العربي الإسلامي[74] وساعدت على تناميها وظهورها بمظهر القوة المفرطة لتكريس قيمها في الواقع العربي.

سابعاً: لقد أدت الثورة الإسلامية الايرانية والتدّخل السوفيتي في افغانستان وتزايد تأثير الإسلام والأقليات الإسلامية والاتحادات الإسلامية في أوروبا وأمريكا، إلى ظهور وتيارات وتوجهات اسلامية لا تُعد ولا تُحصى، في كل الدول العربية والإسلامية[75] وكلها حركات مرتبطة بالظاهرة الإسلامية، وإنْ اختلفت تسميتها؛ فأعتبرت سبباً ناجزاً لبروز تلك الظاهرة وبلورتها في زّيها الرسمي العامل في الحقل السياسي اليوم.

هذه حزمة من أسباب بروز "الظاهرة الإسلامية"؛ وربما هناك عوامل اخرى تحمل معنى الأسباب الثانوية أو الخط الثاني لبروز الظاهرة، وقد تكون محلية أو قطرية غير ذات تأثير، إلا إنْ هذه الأسباب تشكل جملة العوامل والمسببات لبروز هذه الظاهرة بشكل جلي.

***

---

[74] د. سامي زبيدة، الإسلام: الدولة والمجتمع، م. س، ص١٢.

[75] د. خليل علي حيدر، التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية، م. س، ص١٠.

الانبعاث السياسي للظاهرة الإسلامية

تُشكل الثورة الخمينية التي جاءت بحكم ثقرطي كاثوليكي من رجال دين ورهبنة في ايران على نمط "ولاية الفقيه" التي تجاوزت حدودها الجغرافية الفارسية لتشكل بداية لانبعاث المد الإسلامي[76] لكن هذا الانبعاث لا يعني بحال من الأحوال إنه سيغير الخريطة السياسية على مستوى العالم على الأقل في المنظور القريب، لأنه "صعود موضعي"، لم يكتمل بعد، لكن هذا الصعود رافقه نوعاً من التضخيم الإعلامي المؤدلج واللغوي مقصود ومبوب.

إذ إنْ التضخيم اللغوي فيما يتعلق بالمصطلحات التي يستخدمها الكُتاب والمحللون من قبيل "الإسلام السياسي،

---

[76] سمير مرقس، الأمبراطورية الأمريكية: ثلاثية الثروة، الدين، القوة من الحرب الأهلية إلى ما بعد ١١ سبتمبر، ط١، (القاهرة: الشروق الدولية، ٢٠٠٣)، ص١٥.

الأصولية، المتشددون، القطبية، المودودية، الخمينية، الإخوان المسلمون ووالخ" كانت تعبر عن حيرتهم ثم أصبحت تعبر عن قلقهم تجاه هذه الظاهرة٧٧، بما هي حركات وأفكار سياسية حديثة غالبيتها معارضة، تسعى إلى اقامة دولة إسلامية بما هي النموذج المستقى من "تاريخ مقدس" لمجتمع المؤمنين السياسي الأصلي الذي اقامة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في المدينة في القرن السابع واستمر في ظل الخلفاء الأربعة (رضي الله عنه)٧٨ وهذا هو جزء من منظومة "القلق الغربي" الذي يحاول أنْ يدشن لها ويؤصلها في المخيال الغربي عن طريق صبغ ذهنية الفكر الغربي بطلي الأدلجة كون الأصولية الإسلامية تريد مجتمع أصولي إسلامي سلفي (كلاسيكي) يعتقد الغرب إنه خطاب موجه ضدهم لا لغيرهم بالمرة.

وأنْ تزايد الوعي الإسلامي قد حُددت معالمة بصيغ مختلفة ووفرة وسيل من المفاهيم ذات الصلة بهذا المد أو الوعي مثل: "الإحياء" و"إعادة الميلاد" و"التزمت" و"الأصولية" و"الصحوة" و"الإصلاح" و"الانبعاث" و"التجديد" و"النهضة"٧٩ وبغض النظر عن التسمية أو تلك التي لا تعني شيئاً في ظل التأويلات التي كثر

---

[٧٧] فرانسوا بورغا، الإسلام السياسي: صوت الجنوب، م. س، ص١٨_١٩.

[٧٨] د. سامي زبيده، م. س، ص٧٩.

[٧٩] ريتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، م. س، ص٢٠.

الحديث عنها، فإن الانبعاث السياسي للظاهرة الإسلامية كان قد بدأ بالشيخ جمال الدين الأفغاني.

وكثيراً ما يبحث المنشغلين والمهتمين والمفكرين العرب والاجانب إلى الصحوة الإسلامية وثورة الإصلاح من أجل بلورة مشروع نهضوي قومي عربي شامل للعرب والمسلمين على الأرجح يكون قد بدأ بأفكار وطروحات الشيخ جمال الدين الأفغاني كتأصيل تاريخي لها.

وقد رُبط مشروع النْهّضة العَرَبّيّة الإصّلاحية الصحْوة بشخْص الشيخ الأفغاني (١٨٣٨ _ ١٨٩٧)٨٠، والذّي كان يرى بإنه لا بد من حركة دينية تكون جوهر اهتمامات العرب والمسلمين لقلع ما رسخ في عقول العوام ومعظم الخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقي، وبعث القرآن وبث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور وشرحها على وجهها الثابت من حيث ما يأخذ بهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والأخرة٨١، فكان

---

[٨٠] علي نوح، "العرب في صحوة إسلامية أم انتكاسة مجتمعية؟"، في: مجدي جماد، (وأخرون)، الحركات الإسلامية والديمقراطية: دراسات في الفكر والممارسة، ط٢، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١)، ص٣٥٠.

[٨١] د. محمد عثمان الخشت، الإسلام والعلم: بين الافغاني ورينان، ط١، (القاهرة: دار قباء للنشر، ١٩٨٩)، ص٩٩.

الأفغاني هو بمثابة الأب الروحي لظاهرة الإسلام السياسي، إذا شئنا أنْ نعطي للظاهرة أصولاً تاريخية أبعد من ذلك[82] والتي أمتدت لمرحلة ما بعد الأفغاني وصولاً إلى يومنا هذا كتدرج زمني تراتيبي أو سيرورة تاريخية.

وقد أستمرت المسيرة رغم اخفاقاتها وظلت تتمْظهر بأشكال متنوعة، كان أكثر ظهورها الحديث على شكل أحزاب سياسية ذات مرجعية دينية تحمل لواء الإصلاح الديني والمشروع النهضوي، إذ إنْ الظاهرة الإسلامية لا تنحصر في طبقة معينة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، وعلى الأغلب الأعم يقف إلى جانبها ويناصر ابناء العوام وابناء الطبقات الاجتماعية الدنيا والوسطى[83]، لذا تجد الدين يأخذ منحى "ظاهرة شعبية" تعشعشت في القرى والأرياف والأحياء الفقيرة من المدن والعشوائيات، وقد تجاوز هذا المنحى ليأخذ طابع سياسي متمثل بانبعاث الحركات الإسلامية إلى الواقع العملي ونفاذ الأسلمة إلى الأجهزة الإدارية للدول العربية، وتدّيينْها بعد النجاح المُبهر الذي حققته لتدّيين الشارع العربي، لذا فقد أخذت الظاهرة الإسلامية تُمثل

---

[82] د. سعيد بنسعيد العلوي، "الإسلام السياسي ظاهرة حديثة ولا ينتمي إلى زمن الإسلام الأول"، في: راشد الغنوشي، (وأخرون)، العلمانية والممانعة الإسلامية: محاورات في النهضة والحداثة، حوار: علي العميم، ط٢، (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢)، ص٣٩.

[83] ريتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، م. س، ص٢٠.

واقع بيئي واجتماعي طبقي كبير متمثل بقاعدة جماهيرية واسعة الانتشار ومندفعة بقوة لأستخدام السلاح؛ كطريقة تحاورية.

***

الحركات الإسلامية كأداة حكومية

في ظل البرّوز المُبهر والصعود السياسي لحركات الإسلام السياسي في العالم العربي متوافقاً ومتسقاً إلى حد ما مع الصعود السياسي للأصولية الدينية الإسلامية وغير الإسلامية، _ أو هو صعود ذاته وبعينه _؛ وتزامناً مع التدّفق القوي للقيم الماركسية والشيوعية خصوصاً في مرحلة ما قبل وأثناء الحرب الباردة عمدت الأنظمة العربية الحاكمة _ إضافة للمعسكر الغربي الرأسمالي _ إلى استعمال الحركات الإسلامية، كأداة طيعة بيدها للقضاء على الخطر الشيوعي والحركات القومية والعلمانية الأخرى، وإنها حققت توسعاً كبيراً لأن

النظم الحاكمة بدأت بتقديم الدعم ضمناً لهم بهدف الحد من فعالية القوى العلمانية أو التقدمية؛ فقد اعتبروا حلفاء ممكنين في مواجهة الشيوعية والخطر السوفياتي٨٤ إذ تدل الدراسات والتقارير والقراءات بخصوصة الظاهرة إلى إنْ الحكومات في معظم الدول الإسلامية ومنها تركيا واندونيسيا ومصر والأردن والكويت وسوريا وغيرها قد شجعت _ في مراحل مختلفة _ ظهور ونمو الجماعات الإسلامية؛ وأحياناً العنيفة منها لمكافحة الماركسية والقومية والليبرالية٨٥ فكان أحد أسباب نمو وبروز الظاهرة والحركات الإسلامية ومؤشر على التلاعب بورقتها كأداة لتحقيق مكاسب نفعية حزبية للسلطة والنخب الحاكمة.

والأخطر من ذلك كله استعمال أو جعل الإسلام السياسي هو البديّل للإسلام الكلاسيكي وعوضاً عنه، وتحويله إلى إسلام رسمي بفعل فاعل العمل المخابراتي المافيوي المنظم الذي يُريد تأصيلاً لإسلاماً مشوه يتبلور تحت عنوان العداء المقدس للإسلام؛ وهو أمر يصب في مصلحة النظم العربية الحاكمة _ والتي في أغلبها نظم

---

[٨٤] أبراهيم غرايبة، "قراءة في كتاب: نشوء الإسلام السياسي الراديكالي وانهياره"، في: الإسلاميون في الواقع السياسي العربي، تحرير: شفيق شقير، الملفات الخاصة، أعداد مركز الجزيرة للبحوث والدراسات، الدوحة، ٢٠٠٦، ص٥٩.

[٨٥] د. خليل علي حيدر، التصور السياسي، م. س، ص٢٥_٢٦.

علمانية _ حتى تبقى حجة لها في استمرار النظام العلماني على اعتبار إنْ الإسلام السياسي لا يستطيع حكم الدولة والمجتمع؛ وهو بهذا القدر من الأرهاب والتطرّف، والراديكالية؛ ومن هنا أختلق العداء للعرب وبرز ما يُسمى "الخطر الأخضر" كمقابل لل"الخطرالأحمر" كرؤية غربية عدوانية.

***

حقيقة الغرب: العداء المقدس

من المؤكد أنْ العداء الاستراتيجي للمسلمين كان موجوداً في أوروبا سواء بسبب قرب البلدان الأوروبية من العالم الإسلامي أو لأن أوروبا تقلد أمريكا في كثير من "الموضات" الاستراتيجية[٨٦]، أو ربما بحكم الحملات الاستعمارية للغرب على العالم العربي الإسلامي، وهذا هو السبب المرجح، فالاحتكاك العربي بالغرب كان في أكثر صوره ناتج عن حملات عسكرية أو حركات تبشيرية، فالغرب لم يأتنا

---

[٨٦] د. فريد هاليدي، الإسلام وخرافة المواجهة: الدين والسياسة في الشرق الأوسط، ط١، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧)، ص٢١٨.

كزائر أو ضيف أو لاجئ أو سائح على مر فترات التاريخ فغالباً ما كان يأتينا إما مُحتل أو جاسوس؛ ولهذا لعلنا نجهل الغرب جيداً، ونجهل المزايا الكثيرة المتوفرة لدى الشخصية الغربية الحديثة والمعاصرة، أو إنْ الغرب الاستعماري هو المُسبب في تلفيق وتشويه تلك الصورة للغربي في عيون العربي والمسلم، لأنها لم تأتنا بصورة المسيح المقدس أو اليسوعِ الوقور، وإنما جاءتنا بصورة الجندي الأمريكي المُحتل الذي يغتصب النساء في السجون ويقتل الأطفال في المدارس ويعدم الشباب في المساجد والطرقات، أو راعي البقر المُتخلف، أو البربري الرأسمالي السارق لثروتنا وثقافتنا.

يقول السير الفريد شيرمان المستشار الشخصي السابق لمرجيت تاتشر في مقال عام ١٩٩٣ بعنوان "اندفاعة الاسلام الجديدة في أوروبا"، هناك خطر على أوروبا المسيحية، وهو بالحقيقة خطر الإسلام، _ الذي أثاروا مخاوف الغرب منه وزادوا حيطتهم _ ومن أهم العوامل التي خلقت هذا الخطر هي[٨٧]:_

١_ سياسة الهجرة غير المسؤولة تماما في أوروبا الغربية والوسطى التي خلقت بسرعة اقلية تتزايد عداء تبلغ ١٥مليون مسلم.

٢_ إبعاد الجماعة الأوروبية لتركيا.

[٨٧] م. ن، ص٢١٨_٢١٩.

٣_ سياسة ألمانيا العدوانية في البلقان.

٤_ تأييد الفاتيكان لهذه السياسة.

لهذا تحول العداء الغربي للعرب والمسلمين "عداءاً مقدساً" يحمل طابعاً دينياً وصبغة عدوانية طائفية صرحت به أكثر الدوائر الرسمية سمعة واتزان مثل مقام حلف الشمال الأطلسي (الناتو) أو البنتاغون أو رئيس الولايات المتحدة أو رئيسة وزراء المملكة المتحدة، فقد أشار الأمين العام للحلف الاطلسي _ انذاك _ إلى إنْ الإسلام هو العدو المُحْتمل للغرب[٨٨]، وعبرت بنفس الطريقة رئيسة الوزراء البريطانية تاتشر ورئيس الولايات المتحدة جورج بوش، وصرح بذلك رئيس الوزراء البريطاني بلير وغيرها، وكأن قضية الكراهية للإسلام هي القاسم المشترك الذي تتفق عليه أوروبا الاستعمارية، وأُجمْع عليه الرآي العام الغربي النخبوي.

حروب البترول الصليبية

عندما وقفت أمريكا اثناء الحرب الباردة إلى جانب الدول المحافظة في المنطقة، دول الخليج تحديداً، أمام وقوف الاتحاد السوفيتي إلى جانب الدول الدكتاتورية الجمهورية _ بتعبير شاكر

---

[٨٨] السيد محمد حسين فضل الله، المدنس والمقدس: أمريكا وراية الإرهاب الدولي، ط١، (بيروت: دار رياض الريس، ٢٠٠٣)، ص٢٧.

النابلسي ـ في العالم العربي كان ذلك ليس حباً بالدول العربية لأي طرف؛ ولكن لأمتلاك هذه الدول مخزوناً كبيراً من البترول في العالم[89]؛ حيث كان الداعي هو البترول والمحرك الأساس لمصالح الدول في المنطقة التابعة والمتبوعة حتى، وهو القاسم المشترك لكل الأطراف الغربية الاستعمارية بخصوص تحديد علاقتها بالشرق الإسلامي.

كيف تحولت ثروة النفط من نِعّمْة إلى نَقّمْة على أهلها وشعوبها في ظل الهيمنة الغربية الأورو ـ أمريكية وهي تنتهج ثقافة استعمارية بربرية تعود لعصر المجتمع "اليانك" وثقافة رعاة البقر، .. كيف لا وأصبحت كل دولة "ثالثية"[90] ذات ثروة مرمى انظار الولايات المتحدة التي لا تستطيع العيش بدون الإغارة والهجوم على البلدان المستضعفة ـ بحكم بيئتها البربرية وطبيعتها الدموية ـ ، فبعد أكتشاف النفط في المكسيك في أوائل القرن العشرين وما ترتب عليه من تدخلات أمريكية، صدر عن الرئيس المكسيكي حينذاك (بيرفيريو دياز) مقولته الشهيرة: "مسكينة هي المكسيك ... لأنها بعيدة جداً عن الله وقريبة من الولايات المتحدة"، والآن أصبحت

[89] شاكر النابلسي، أسئلة الحمقى في السياسية والإسلام السياسي، ص٤٩.

[90] أي تنتمي لفصيلة دول العالم الثالث.

امريكا بفعل القواعد العسكرية وبفضل العولمة جاره للجميع[٩١]، والحال لا يختلف عنه في المجال العربي الإسلامي، وما نود قوله هنا هو: "مسكينة هي العرب إنهم تباعدوا عن الله واقتربوا كثيرا من مرمى المطامع الغربية الأورو _ أمريكية".

وإنْ أمريكا ومعها الغرب يريدان من منطقة الشرق الأوسط "بحيرة هادئة" وساكنة تنعم بالاستقرار والهدوء الذي يمكنها من تنفيذ مصالحها الاقتصادية بالدرجة الأولى فقط، وإضطرابات في المناطق التي تفقد فيها مصالحها، فالشرق الأوسط سوق تجارية واستهلاكية كبيرة[٩٢] لهذا فالولايات المتحدة تقاتل من أجل بقاء الشرق مفككاً، ومُقسماً، لإشغال مواطنيه بصراعاتهم الداخلية ليتسنى لها التفرّغ لنهب خيرات وثروات العالم العربي والإسلامي.

أن المؤسف هو: أنْ يهب الله العرب نفطاً وثروة وهم شعب ضعيف لا يمكنه الحفاظ عليها أو توظيفه، ولعدم قدرتنا الحفاظ على مكتسباتنا جعلت الدول الغامرة تفكر في احتلالنا واغتصاب ارضنا، فلا مبرر للاحتلال الأمريكي للعراق إلا بسبب الثروة النفطية الهائلة والعالية الجودة التي يمتلكها العراق، متزامنة مع رغبة صليبية في نزعة

---

[٩١] عبد الحي يحيى زلوم، حرب البترول الصليبية، م. س، ص١٣.

[٩٢] شاكر النابلسي، أسئلة الحمقى في السياسة والإسلام السياسي، م. س، ص٤٩.

السيد بوش باعتباره حامي الصليب ونائب اليسوع، وإنْ التدخل الإنساني المزعوم هو من أجل النفط الذي يُغذّي الحرب الصليبية التي يشنها الأسقف الراهب جورج بوش (الأبن) هو ليس من أجل سواد أعين العرب، وإنما من أجل البترول، وإلا ماذا يسمى التدّخل الغربي الاستعماري في ليبيا وإسقاط القذافي رغم شرعيته في السلطة؛ مقابل العزوف الكامل في حل موضوع اليمن الثورة، هو دليل واحد على إنْ ليبيا تمتلك مخزون نفطي هائل، بينما اليمن دولة فقيرة لا تمتلك ما تمتلكه ليبيا أو يمتلكه العراق.

الغرب: تنبؤا فأخطأت حساباتهم

أنْ التنبؤات السياسية التي خمنت بزوال ظاهرة "الإسلام السياسي" أو الظاهرة الإسلامية، أظهرت عدم صحة طروحاتها التي فدنها الواقع العملي المعاش، فقد اخطئ عالم السياسة الفرنسي (اوليفي وروا) عام ١٩٩٢ عندما توقع في كتابة (فشل الإسلام السياسي) بتلاشي هذه الظاهرة، كما اخطئ قرينة من بعده (انطوان

بسبوس) في كتابه (الإسلامية ... ظاهرة مجهضة) عام ٩٣٢٠٠٠ وجيل كيبل في كتابيه الجهاد عام٢٠٠٠ والفتنة عام ٢٠٠٤، واخطأ كذلك راي تاكيه ونيكولاس غفوسديف في كتابهما (نشوء الإسلام السياسي الراديكالي وانهياره) عام ٩٤،٢٠٠٥ وأخطأ اكثر عدد هائل من المفكرين بزوال ونهاية الحركات الإسلامية بعد احداث الحادي عشر من ايلول المجيد والمرير(!) وشن حملة الحرب على الارهاب أو بالاحرى هي حرب على العرب والمسلمين، لكن الواقع الحال يشير عكس ذلك تماماً.

لقد تنبأ الغرب وأخطأ التصويب، وأكثر لقد بان فشل النظريات المؤدلجة الساعية إلى الحط من قدر الإسلام، فقد أظهرت نظرية صموئيل هنتنغتون (صدام الحضارات) اصطدامها بالوقع المعاش وفشلها، وردها إلى صاحبها اليهودي الذي أراد من خلال التنظير النيل من سمعة ومكانة الإسلام، وأكثر السعي إلى التنكيل وتحشيد الدول الغربية لمهاجمة دول العالم العربي والإسلامي تحت عنوان "الخطر الأخضر"، ورغم اعلان تلك الحملة على يد حامي الصليب

---

[٩٣] سعد الدين العثماني، "الإسلاميون وأسباب الحضور الشعبي المتقدم"، في: الإسلاميون في الواقع السياسي العربي، تحرير: شفيق شقير، الملفات الخاصة، أعداد مركز الجزيرة للبحوث والدراسات، الدوحة، ٢٠٠٦، ص٣٢.

[٩٤] أبراهيم غرايبة، "قراءة في كتاب: نشوء الإسلام السياسي الراديكالي وانهياره"، م. س، ص٥٨.

والمسيح الجديد (جورج بوش الأبن) بتسمية الحرب على العراق إنها حرب صليبية مقدسة تأسياً بنظرية صديقة اليهودي هنتنغتون إلا إن الحرب أضحت دناستها ورجاستها وقبحها وعارها وقذارتها وبربريتها وهمجيتها من خلال ما قامت به مرتزقة الجيش الأمريكي من إبادة جماعية وتطهير فج للقيم الإنسانية في العراق وافغانستان، عاراً بكل المقاييس، فأين هي الحرب المقدسة من تلك الممارسات القذرة!!

لقد أخفقت كل الطروحات والتصورات الغربية بانهزام الإسلام أو تراجعه، إنْ الإسلام يعود بقوة، فهو عصر التطور، وهو "ربيع البشر"، و"طب القلوب" و"مُضاد التخلف" و"منبر الحرية"، و"منصة الرحمة"، و"دولة العدالة الاجتماعية"، و"صرخة الثورة التحررية"، و"عنوان السلام"، و"رسالة التسامح"، و"مدرسة الوسطية"، "منبع الديمقراطية"، و"مصدر المدنية"، و"مشروع النهضة"، و"قانون المساواة"، و"القاطرة الوحيدة لنقل البشرية من قبوّ الظلام إلى بارق أفق الحياة الهانئة".

رغم إننا نختلف مع الغرب والحركات الإسلامية في تعميم الظاهرة الإسلامية على إنها الإسلام، ومن ثم احتساب كل تقدم أو اخفاق هو من الإسلام لا من البشر، فالإسلام شيء والظاهرة الإسلامية شيء أخر، فالإسلام منهاج، والبشر تطبيق لذلك المنهاج،

وإنْ أخفق التطبيق لا يؤثر مهما تعالت الأصوات على منهجية وفكرة الإسلام الحقيقي.

الظاهرة الإسلامية والنفط العربي

كنا نسمع بإن النفط هو سلاح المعركة الذي رفعه العرب شعاراً ضد الكيان الصهيوني وأعداء المشاريع العربية النهضوية والتكاملية، وإنْ النفط هو الزراعة، والزراعة هي النفط في وقت الحصار، ولم يكن بحساباتنا _ وقتئذ _ بإن النفط ممكن أنْ يتحول إلى عقيدة أيديولوجية بنكهة الغازات، اليوم يعيش العرب عصر وفرة "النفط الديني" بعد إن كان في مرحلة ما "النفط السياسي" عاملاً وشاغلاً المخيال السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

من حيث أنْ الظاهرة الإسلامية ما كان ها أن تتدفق بهذه القوة المفرطة وهذا الحجم والصعود السياسي والوصول إلى سدات الحكم واعتلاء منابر وعروش وقادة وجيوش، لو لم يوظف لها رأسمال خاص وثروة ومشاريع استثمارية، بمعنى إنْ الظاهرة الإسلامية ما كان لها أنْ تنتشر لو كانت قد ظهرت في الصومال أو أرتيريا أو جُزر القُمر، لكنها تدفقت؛ بقوة كالسيَّل؛ لأنها ولدت من صميم الأبار النفطية والمنابع الغنية بالذهب والفضة والمعادن، وفي رحم مناجم الوقود

الباهضة الثمن، فولدت الظاهرة الإسلامية مُعافاة وقوية البُنية وسمْيكة الجسد ربيبة الأكتاف ترضع حليب أمومتها.

بمعنى إنْ الظاهرة الإسلامية هي أشبه بالطفل الوليد إذا كانت أمه متعافيه ولديها حليب كافٍ فسيكون الطفل مُعافى ومُدلل ومتربى على النعيم البركة، أما إذا كانت أمه ذو نهدان ضامران فاقدان للحليب فإنها ستعتمد على الحليب الأصطناعي فسيتربى تربية عليله ويبقى جسدة ضعيفاً غير ذي مناعة معرض لأي خطرٍ أو مرضٍ مُستعرض، والحال ينطبق على الظاهرة الإسلامية بالتمام والكمال.

إذ يقول روجية غاردوي إنْ منذ كذا سنة أصبح نفوذ العربية السعودية هو المصدر الهام والرئيس للأصولية الدينية في العالم العربي والإسلامي وذلك بفضل قوتها النفطية[٩٥]؛ إذ يلعب العامل الاقتصادي (الثرووي) دوراً هاماً في توجيه السياسات وليس في توجيه الديانات، على اعتبار إنْ الأصولية اليوم هي أصولية سياسية وليس دينية في أغلب جوانبها.

أذن فالنفط لم يعد اقتصادياً فحسب، فهو انتقل على أكثر من موجة على مر التاريخ، "نفط عسكري"، "نفط سياسي"، و"نفط ديني" والأخير هو أخطر أنواع النفط في العالم، إذ كيف يجتمع النفط

[٩٥] روجيه غارودي، الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، تعريب: خليل أحمد خليل، (باريس: دار عام الفين، ٢٠٠٠)، ص٧٣.

الحارق سريع الاشتعال بأيدٍ مراهقين ما زالوا عقولهم مخدره بأفيونهم (الدين) وفق الرؤية الماركسية؛ إنْ المشهد صعب تصوره أوالإحاطة به دون انفجار كارثة أو تحقيق أزمة فجة، وبالتالي فالظاهرة الإسلامية تعافت وتنامت في البلدان التي تشهد وفرة نفطية عالية ودخل فردي قوي، لكن هذه ليست نظرية فالتطرف والظاهرة الإسلامية _ أيضاً _ نشأت في بيئة فقيرة كمصر أم الأصولية الدينية، وأم الجماعات الإسلامية المسلحة، وقد ينشأ في بيئات مختلفة تماماً عما سبق ذكره أو الحديث عنه.

الغرب والظاهرة الإسلامية

لمصلحة من تصب الظاهرة الإسلامية ؟؟

في العودة إلى أبرز النظريات السياسية وهي النظرية البراغماتية، نحاول عرض الظاهرة الإسلامية عليها، لمعرفة المصلحة التي صبت وستصب فيها الظاهرة الإسلامية، فالنظرية البراغماتية تنْظر للنتائج لا إلى الشعارات والأهداف، ومن خلال المشاهدة والمعاينة وعرض الظاهرة الإسلامية على سونار النظرية البراغماتية تظهر لنا بعض الحقائق التي لمسناها من خلال النظرية ومن خلال إطلاعنا وتعمقنا في قراءة وتقييم الظاهرة الإسلامية، ومن أبرز تلك الحقائق والمسلمات هي:_

أولاً: أنْ الظاهرة الإسلامية هي ليست الإسلام وإنما هي الفكر الإسلامي، ومن الخطأ الفادح تعميم الظاهرة على إنها هي الإسلام، لأن النتيجة وخيمة وجارحة ومؤلمة على الإسلام، ونافعة للغرب وللإسلاميين.

ثانياً: أنْ الظاهرة الإسلامية مؤامرة على الإسلام والعرب والمسلمين، لأنها أعلنت جهاد الكفار وانتهت بذبح العرب والمسلمين.

ثالثاً: أنْ الظاهرة الإسلامية قد أظلت طريق الإسلام، حولته من طريق الوسطية إلى "جادة التطرّف"؛ ومن الرحمة إلى القتل، ومن الأمن إلى الفوضى، ومن العبادة إلى العادة.

رابعاً: أنها ظاهرة تسير بالأتجاه الخطأ للإسلام، ذلك بحكم بشريتها، لأنها أجتهدت لكنه كان أجتهاداً خوارجياً أرادت تطبيق حاكمية الله وانتهت بقتل أعز صحابة الله (عثمان بن عفان) و(علي بن أبي طالب).

خامساً: إنها تحاول تطبيق "النص الديني" دون مراعاة الواقع المعاش والمعطيات المطروحة على أرض الرهان والواقع؛ وبالتالي نفرت المسلمين منهم وأبعدت بعضهم عن الإسلام إلى خانة الإلحاد، والإسلاميين هم المحاسبين أمام الله عن تنامي ظاهرة

الإلحاد، لأنهم فقدوا بوصلة الحوار وقلبوا الطاولة ولم يفلحوا في استقطاب الناس بالكلمة الطبية والأسلوب الناجح، بمنعى إنها حركات ينقصها الأسلوب في التعامل مع الناس.

سادساً: إنها أعتمدت على كُتيبات صغيرة لمشايخ ووعاظٍ ومفتين وتركت دستور الإسلام العالم (القرآن الكريم)، فالمعلوم إنْ الجماعات الإسلامية تعتبر كتاب (معالم على الطريق) للشهيّد المغفور له سيّد قطب هو دستور الجماعة، فكيف لها أنْ تعتمد كُتيب من اجتهاد بشري وتترك نص الإسلام وثوابته.

سابعا: إنها تمسك بالقشور والمظاهر والديكور من زّي ولحية ومسبحة وسِواك، وتناست الإيمان في النفوس وغرس بذور الحس الروحي لدى الفرد، فأختلفت وتقاتلت على عدم تطبيق سُنة أو قضية ثانوية في حين أغفلت نصوص دينية بأكملها، وهو ما ينطبق عليها إنها: أمنت ببعض الكتاب وكفرت ببعض، لقوله (تعالى): ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[٩٦].

ثامناً: إنْ الظاهرة الإسلامية هي حركة سياسية حزبية الهدف منها السلطة والكرسي وليس الله، وبالتالي إنها خلطت الديني بالسياسي، والمقدس بالمدنس، الأمر الذي من شأنه قد يشوه ذلك المقدس؛ عن جهلٍ أو عن قصد.

---

[٩٦] سورة البقرة (٨٥).

تاسعاً: إنها تحتكر المؤسسة الدينية، رغم إنها تحولها من مؤسسة روحية مهمة إلى حزب سياسي ومنظمة خدمية تتخفى بشعارات عاطفية لتحقيق سياساتها ومراميها.

عاشراً: إنها قائمة على منطق "الفرقة الناجية" وبالتالي إنها تكفر سبعون فرقة وتعتبرها هالكة، وبالتالي لم يتقر بحقوق وشرعية البقاء والعيش إلا لأنصارها واعضاء حزبها، والباقون على كثرتهم المليارية هم كفرة وملحدون وواجب قتلهم والتمثيل بجثثهم.

أحد عشرة: ترفع شعارات (الإسلام هو الحل)، (تطبيق الشريعة)، (القرآن دستورنا)، لكنها تتجاوزها في مرحلة ما بعد أعتلاء عرش السلطة، فمنذ عقود تلت نحن نسمع بطحين تلك الشعارات ولا نلمس دقيقاً.

إثنى عشرة: هي أقرب للفنتازيا واليوتيوبيا من الحقيقة.

ثلاثة عشرة: نقر بإن الظاهرة الإسلامية _ بعيداً عن جذورها وارتباطاتها وشبهتها _ بإنها حركة إصلاحية دينية أجتهدت فاخطأت السبيل.

وبلا شك فنحن هنا نسعى لعودة تلك الظاهرة إلى طريق الإسلام الحقيقي، ففي النهاية إنْ مسلم وكل عضو من أحزاب وحركات هم أبناءنا وأخوتنا واقربائنا لا نريد أن نفرط بمحبتهم وسلامة أرواحهم وعوائلهم، نحن نرفض معاملتهم بالقتل أو الحرق أو الذبح

على طريقة هوليويود، لأننا إنْ فعلنا ذلك فقد حققنا هدف المشروع الغربي الماسوني الذي يُريد أن نكفر بعضنا لنقتتل على كعكة السلطة باسم الإسلام، فمن الجنون الإساءة إليهم وإنما دعوتهم للحوار والتصالح على طاولة مستديرة تضم أشد الإسلاميين تطرّفاً، والغرب يسعى إلى قتال بعضنا، ونحن هنا نسعى إلى تصالح بعضنا فالمسلم مهما بلغ من درجة التطرّف فبالنهاية إنْ الحوار والتسامح والعفو عند المقدرة كفيلة بالعودة إلى دائرة التسامي والتآخي، فهذا هو هدف الإسلام الرحمة والمساواة والتآخي بين جميع المكونات والأطياف والعقائد والأديان.

***

الفَصّل الخَامس

الإسَّلامُو فُوبَّيا:

وَهَم الأيّديوُلوجيَّا الخَضَرَاء

مدخل

لقد أصبح هاجس الخوف من الإسلام حقيقة ملموسة في الوجدان الغربي [أو أُريد لها أن تكون كذلك] حتى بات المواطن الغربي حذر من كل ما هو عربي وإسلامي، صار أسم عبد الله أو عمر أو علي أو محمد يُثير مخاوف الغربيين، لأنه يُعد "إنذاراً مُبكراً" بعودة البربرية إلى الغرب التي قاتلوا وضحوا من أجلها.

إذ أصبحت صورة العربي والمسلم مشابهة لصورة لدموي، "وجهٍ قبيح"، لدابة في الأرض، صاروا يزجرون المسلمين وينبذونهم لأن العقل الغربي صار "عقلاً مخابراتياً" تجسسياً أكثر مما هو

أكاديمياً، بفعل المؤامرة التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وحفلاءها التقليديين في أوروبا والعالم.

أنْ الإسلاموفوبيا أو الرّهاب الإسلامي هو كذبة بيضاء لن يصدقها العقل السليم، لكن قد يصدقها "العقل الأصولي" "العقل المخابراتي"؛ لأنه عقلاً مشكوكاً في سلامته؛ وبالتالي فإننا نهبط إضطرارياً لتفكيك مفهوم الإسلاموفوبيا وتبرئه ساحة الإسلام من الإرهاب ليس لأننا مسلمون وإنما لأننا موضوعيون وحياديون وأكاديميون نسعى لتقديم صورة ناصعة للحقيقة، تُليق بسمعة الإنسانية والحق الأخلاقي لقيمنا وتعاليمنا الروحية.

من هنا سنحاول تقديم تعريفات للإسلاموفوبيا وللصحوة الخضراء، وتوضيح أسباب العداء الغربي للإسلام، كل هذا سنتواصل معه في تفاصيل هذا الموجز الكتابي.

"الرّهاب الإسلامي" أو الإسلاموفوبيا

نُشر تقرير صادر عن "رونيميد ترست" عام ١٩٩٧ بعنوان "الاسلاموفوبيا: تحدٍ لنا جميعاً" والذي عُد بمثابة أول محاولة شعبية تقرها دولة غربية، لتعريف الإسلاموفوبيا وتحديدها، وكانت المنظمات الإسلامية وجماعات مراقبة حقوق الإنسان والسياسيون أول من تبنى هذا المصطلح، ومنذ ذلك الحين أصبحوا من أهم المدافعين عنه

قائلين إنه يجب معالجة الزيادة الكبيرة في الشعور بالكراهية ضد المسلمين[٩٧].

إذ يُشار إلى إنْ الرهاب الإسلامي (إنجليزية: إسلاموفوبيا Islamophobia) هو مصطلح ظهر حديثا في المجتمعات الغربية معناه هو "التحْامل والكراهية" تجاه المسلمين، أو الخوف منهم أو من الجماعات العرقية التي ينظر لها على أنها إسلامية[٩٨]، وهذا التحامل هو بمثابة نزعة أيديولوجية عدوانية نفسية، مجرد توجس نظري لم يجد صحته على أرض الواقع أو أن يُلامس حقيقته، وغالباً ما يكون أصل هذا التحامل هو على الأرجح التعميمي يكون مبني على "معلومات مخابراتية"[٩٩] تقوم بها إحدى المنظمات التجسسية الاستخباراتية المخصصة على تعقب وتشويه والتنكيل بالإسلام ومن الدوائر المخصصة بالرّهاب الإسلامي ـ كما هم يسموه ـ وليس نابعاً من مراكز بحوث ودوائر بحثية وعلمية؛ ومن هنا انطلقت النظرة العدوانية والتوّجس والتحامل على العرب والمسلمين وفق هذا التنظير، وهذه هي مشكلة الإسلاموفوبيا كونها صادرة من جهات

[٩٧] د. فواز جرجيس، "الإسلام السياسي وأمريكا، م. س، ص٣١.
[٩٨] الموسوعة العالمية، ويكيبيديا، في ٧/١٠/٢٠١٤ يوم الثلاثاء/ العراق/ مساءاً، على الرابط التالي:ـ
http://ar.wikipedia.org
[٩٩] لا علمية أو بحثية أكاديمية، بعيدة عن من منطق المعرفة المنهجية.

ومنظمات أمنية وسياسية _ لا علمية وبحثية _ ومبنية على تقارير استخباراتية وعيون أمنية؛ وهو الأمر الذي يدفع بالتشكيك بحقيقةالمفهوم أو صدقية ما يُشاع ويُضخم حوله من إدعاءات وإفتراءاتٍ وأقاويل مزيفة وملفقة.

بالرغم من وجود اعتراف واسع بذلك المصطلح وشيوع استخدامه، فقد تعرض المصطلح والمعنى الذى يتضمنه لانتقادات، كونه أقرب إلى الفهم للشروحات الأمنية مما هو مبني على الشروحات العلمية والعملية، كذلك يشير المصطلح المثير للجدل إلى الممارسات المتعلقة بالإجحاف أو التفرّقة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين في الغرب، ويُعَرفه البعض على أنه تحيز ضد المسلمين أو شيطنة للمسلمين[١٠٠]، ونظراً لغياب الباحثين والمكافحين ضد مفهوم الإسلاموفوبيا وتفكيكه وتعريته فقد ظل مفهوماً متداولاً في الأوساط الغربية دون العربية والإسلامية، ولم نجد باحثاً أو مفكراً عربياً أو إسلامياً يُشهر به ويرفضه لإقامة ممانعة له، فإنه ستشهد الأيام المقبلة بوفرة هذا المصطلح وشيوعه وتناوله خصوصاً بعد تنامي المد الإسلامي وحركاته وتياراته المتعددة والمتنوعة.

---

[١٠٠] الموسوعة العالمية، ويكيبيديا، في ٢٠١٤/١٠/٧ يوم الثلاثاء/ العراق _ السليمانية/ مساءاً، على الرابط التالي:_
http://ar.wikipedia.org7

وقد عمل صعود المد الإسلامي من جهة، والسقوط الاشتراكي من جهة أخرى، على بعث الرواسب الأوروبية المعادية للإسلام، وعدّ الإسلام العدوَّ الجديد _ أو الجديد القديم _ وفق النظرية الأمنية التي وضعها تيار المحافظين الجُدد [المسيحية الصهيونية] واعتبار العالم الإسلامي: إمبراطورية الشر التي ورثت إمبراطورية الشر الشيوعية أو حلت محلها١٠١، فصار الإسلام وفق المنظور الغربي الاستعماري هو الخصم الجديد الذي لا بد من عد العدة للحرب عليه، ومن هنا جاءت عملية شرعنة قانون مكافحة الأرهاب، الذي هو بالأساس قانون مكافحة العرب والمسلمين جميعاً.

لكن ليس هناك من شك إنْ الإسلاموفوبيا هي بالحقيقة أيديولوجيا خاصة طرحتها الدوائر الغربية المخابراتية إعداداً لمخطط بعيد الأمد من أجل ضرب الإسلام بالإسلام عن طريق التمويل والبذخ المالي والمادي والتسقيف الغربي لخطر مفترض لا حقيقة له، ألا وهو خطر الإيديولوجيا الخضراء (الإسلام)، وستكون الحجة الجديدة بيد الغرب ضد العرب والمسلمين، أي بمعنى إنْ الإسلاموفوبيا ستكون في المستقبل القريب عماد الاستراتيجية الغربية١٠٢، ومن هنا

[١٠١] عدنان زرزور، جذور الفكر القومي والعلماني، ط٣، (بيروت: دار المتكب الإسلامي، ١٩٩٩)، ص١٥.

[١٠٢] عبد الغني سلامة، "عصر الثورات العربية: الأسباب والخصائص والتداعيات"، مجلة شؤون عربية، القاهرة، العدد ١٤٨، ٢٠١١، ص٥٦.

اتخذت الدوائر الغربية من احداث ١١/٩/ ٢٠٠١ (غزوة مانهاتن) نقطة البداية والأرضية المناسبة لطرح هذا المفهوم على وسائل الإعلام ومن ثم البدء في المرحلة الثانية من أجل تطبيقه منهجاً وسلوكاً حتى تُشبع به الذائقة الغربية لتبلور أكبر تجمع عالمي ضد الإسلام وقيمه الحضارية، إنْ الإسلام أكبر حضارة عالمية تنافس أو تتحدى الحضارة الغربية الكولونيالية _ الكابوية القائمة على الكذب والبطش والتزييف.

الصحوة الخضراء

يُعد الحديث عن بدايات نشوء الصحوة الدينية (الإسلامية) مثار جدّل حول منطلقاتها الأولى ولبناتها الأساسية، حيث يعود المفكر هادي العلوي ببدايات الصحوة إلى الإمام الخميني وثورته الإسلامية التي أطاحت بنظم كانت تمارس نوع من الحياة المدنية أو اللا دينية، وتحاول أنْ تزرع في الجسد الإسلامي "زرعاً ثقرطياً"، باسم الدين والمقدس، وهو ما أثار حفيظة الغرب وبعض العلمانيين وفهم هذه الصحوة على إنها عودة إلى الأصول، لأن العودة إلى الأصول_ وهو أمر غير ممكن باعتقادنا بالزمن القريب على الأقل غير وارد ومستحيلاً _ والتي تعني ردّة سلفية تقوم على سياسة الفتح المُضّاد، _ وهي كذلك باعتقادنا _ إلا إنْ أهم ما يمكن قوله على لسان هادي

العلوي إنه يرى إنْ الجميع اتفقوا _ خصوم الثورة الخمينية وأنصارها _ على إنْ الثورة حدثت بفعل نزعة التدّين المُفرطة[103] أو غير المنضبطة بإطار ديني (الشريعة) أو إنساني (الأخلاق)، ولم تكن ناجمة عن عمق إيماني حقيقي أو تدّين صادق، وهذا أمر ينسحب إلى كافة الحركات والثورات الإسلامية المعاصرة بشتى عناوينها ومسمياتها وصنوفها وأصولها.

وإنها _ أي الثورة الأصولية _ الإيرانية وغيرها أو أي ثورة ذات امتداد ديني "مترّدكل" التي أكدت بروز الإسلام السياسي في السياسة الشرق أوسطية والدولية الراهنة[104]، فهي تتساوى مع الطائفية التي هي بالأساس ناجمة عن التدّين المُفرط أو عن الغلو الديني، والتشدد بالإيمان في غير موقعه، لأن الطائفية مستحيل أنْ تكون سياسية بدون قدر من الخميرة الدينية، ولو كانت سياسية لوحدها لما أسميت سياسية بل لكانت أقرب إلى الدكتاتورية أو الاستبداد والقمع السياسي، وإذا كانت الطائفية مجرد مسألة دينية لم تدخل أو تتداخل مع السياسة لأصبحت طائفية شعبوية عشوائية مطمورة في المساجد والبيوت والعشوائيات لم تنبعث سياسياً أو ترتق لهرم السلطة أو تُصبح قضية رأي عام.

---

[103] هادي العلوي، في الإسلام المعاصر، م. س، ص١٤.

[104] د. سامي زبيده، م. س، ص٨٣.

لقد امتدت الصحوة الإسلامية إلى دول وأقطار ليس فيها وجود لجماعات إسلامية منظمة، كما شملت فئات من المجتمع ليس من بينها في العادة من ينتظمون في الجماعات الإسلامية[١٠٥] لتصبح قضية أيديولوجية أكثر مما هي قضية إيمان واعتقاد ديني روحي ورمزي، حلقت بها إلى السماء الطلق والفضاء السياسي بجناحين أحدهما سياسي والأخر أيديولوجي.

أنْ أخطر الأيديولوجيات اليوم التي تعمل في فلك السجال العربي _ الغربي، أو الحوار الإسلامي _ المسيحي هي مسألة الظهور المفاجئ للإيديولوجيا الإسلامية المتسمة بالمذهب المتطرّف والمرتبطة بالإرهاب سواء رغب العرب ذلك أم رفضوا فهم لا يأكلون على موائد طاولات الحوار الأممي، وإنما مجرد يتلقون أنباء الاجتماعات السرية وما يتمخض عنه اجتماعات وجلسات مجلس الأمن أو أحد الدول الاعضاء البارزة، فقط يتلقفون الأخبار وهم يقضمون فاكهة صمتهم وخوفهم بأنياب من حديد.

الإرهاب الإسلامي الراديكالي

[١٠٥] أبراهيم غرايبة، "قراءة في كتاب: نشوء الإسلام السياسي الراديكالي وانهياره"، م. س، ص٦٠.

لا أدري كيف يتم للغرب أنْ يفرض على عقولنا وجوارحنا مفهوم "الإرهاب الإسلامي"، ولا يقبل ذلك على نفسه، بمعنى أدق إنْ القارة الأوروبية المسيحية شهدت أكبر حملة عسكرية بربرية همجية في التاريخ سميت بـ"الحروب الدينية المقدسة" قتل فيها من قتل بألاف، المفقودين والجرحى والمشوهين بطريقة أكثر وحشية، يفوق ما فعلته الجماعات الإرهابية الإسلاموية، بالكثير الكثير وبإقرار إجماع الأوروبيين وقت إذ، ولم يشر الغرب إلى ذلك، بل ولم يطلق الكتاب الغرب على ذلك وتسميته بـ "الإرهاب المسيحي"؛ كمفهوم موازي للإرهاب الإسلامي بمعناه اليوم؛ رغم إنْنا لم نعترف الفعل الإرهابي الإسلامي ونعنفه وننبذه ونجهر بمحاربته في السر والعلن.

وإلى أبعد من ذلك إنهم يتغافلون إنْ مفهوم "الهولوكوست" بما هو نتاج مسيحي أوروبي غربي هتلري بأمتياز، ومحارق نيرون، والغزو الاستعماري للعالم الشرقي، وثم ينبرون إلينا بالحديث عن الإرهاب الإسلامي، الذي لم نقره ولم نعترف به نحن عوام المسلمين ونخب المسلمين والكوادر المتقدمة من التيارات المدنية والدينية في غالبيتها، في حين إنهم يتفاخرون بالحروب الدينية المقدسة، ويهتفون ويهلهلون ويطبلون للغزو الاستعماري للمنطقة العربية الإسلامية، أيجدر بهم إصلاح انفسهم قبل إصلاح الأخرين، انا شخصياً لا يحق لي الدعوة لإصلاح حال أوروبا ومجتمعنا يعاني مشاكل اكبر من

تلك الموجودة في أوروبا، فنحن أحوج بذلك من غيرنا، والإصلاح يبدأ من الداخل وليس من الخارج، وأمريكا والغرب الاستعماري أحوج بالاصلاح من العرب والمسلمين.

وبالتالي؛ فالحرب على الإرهاب حسب مفهوم الرئيس الأمريكي جورج بوش (الأبن) هي التي ستمحوا الإرهاب الإسلامي الراديكالي الذي يعدو أنْ يكون إلا مصطلحاً مضخماً ومبالغ به، أو كما عبر عنه الدكتور فواز جرجيس بإنه مصطلح جديد ومهلهل وغير دقيق١٠٦، ومن هنا صار هذا المفهوم هو ابتكار ماركة مُسجْلة باسم الرئيس جورج بوش الأبن ومنسوب إليه بكل تعصب وهمجية وتطرف.

الإسلام: صناعة العدو الافتراضي

بعد إنْ أصبح الإسلام يشكل ثقلاً حضارياً وثقافياً، ورقماً صعباً في المجال العام في حياة البشرية جمعاء، وفي مشروع المعادلة الحضارية السامية، درجت الولايات المتحدة الامريكية من خلال لوبيها الصهيوني إلى العمل على تقييد المشروع الإسلامي١٠٧

---

[١٠٦] د. فواز جرجيس، الإسلام السياسي وأمريكا، م. س، ص٣٢.

[١٠٧] نحن هنا لا نتحدث عن مشروع إسلامي ذلك الذي تعنيه وترفع شعاره الحركات الاسلامية او ما يسمى بحركات الإسلام السياسي، بل اننا نتحدث عن اسلام اصولي، _ شرط ليس بتلك الأصولية التغريبة للوجدان العربي اليوم او

وإحاطته بمثبطات تعيق نشاطه، والعمل على ترقيمه بالإرهاب والتطرّف والعنف الديني والطائفي، وهو ليس من خصاله وثوابته مطلقاً، بقدر ما هي أستراتيجية دأبت عليها الولايات المتحدة الأمريكية من أجل التنكيل بالإسلام وتشويه معالمه.

فيقول نعوم تشومسكي في كتابه "صناعة القبول": "إن الحاجة إلى صناعة العدو تزايدت عند الولايات المتحدة في العقود الثلاثة الأخيرة .. لا بد وأن يعمل الغرب على تشييد صورة وهمية لعدو من نوع جديد كي يبرر دفاعه عن نفسه .. وإن روسيا أو الشيوعية كانت ذلك الوحش أثناء الحرب الباردة، والعدو اليوم هو العرب أو الإسلام"[١٠٨] ويضيف اليهودي هنتنغتون بالقول إنْ حدود الإسلام

تلك الاصولية التي تطرحها الحركات الإسلاموية أيضاً _ بل الإسلام الرسولي، المبكر، الحقيقي، الأولي، الراشدي، الذي يحمل مشروعاً لا يتعارض مع تطورات العصر ويواكب تطلعات الشعوب وارهاصاتها الفكرية من حداثة وعلمنة وديمقراطية وحماية حقوق الإنسان والاقليات، شرط ان تكون هذه الارهاصات مجرد من ارتباطات الغرب والتغريب، وبعيدة عن النزعة (الكولونيالية) الاستعمارية بل يجب ان يكون المشروع الإسلامي مشروعاً مجرداً من الإيديولوجيا التي تفسد نفسها عند لا تجد ما تفسده!

[١٠٨] نقلاً عن: د. عماد علي عبد السميع حسين، تَجْديد الخَطَاب الدَّيْني بما يَتَناسب مَع رُوحِ العَصر، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤)، ص٤.

دموية وكذلك الأحشاء[١٠٩]، وهناك الكثيرون ممن روجوا ودافعوا واقتربوا من أفكار هنتنغتون بحسن (أو سوء نيه)، وهذا هو التفكير الاستراتيجي المُمنْهج إزاء العرب والإسلام، فكنا القيام بعملية تخويفه أمر مهم من أجل اشغال الناس وتجميعهم حول الدولة للحصول على الثقة والقبول، وبفضل صناعة العدو أصبح الإسلام لدى الغرب هو الوجه الآخر للإرهاب، بل أصبح كله إرهاباً وارتسم في ذهن الغرب نتيجة لذلك أنْ في اعماق كل مسلم ارهابياً متطرّفاً يتحين الفرصة للانقضاض عليه[١١٠].

إذ لم تنفك الولايات المتحدة من الحديث عن الإسلام وعن الإرهاب، وعن إيجاد علاقة عضوية مفبركة بينهما، والسعي من أجل صناعة الإسلاموفوبيا، كعدو افتراضي تُرسم الخارجية الأمريكية بالتواطؤ والسعي الدؤوب مع المنظمات الصهيونية المتشدّدة، كمنظمة إيباك الراديكالية المتواجدة في أمريكا، ذلك لتفويت الفرصة الحضارية على العرب، وإتاحة مساحة اوسع للتحرك الصهيوني في

---

[١٠٩] نقلا عن: د. إسماعيل الشطي، الإسلاميون وحكم الدولة الحديثة، م. س، ص٢٢٢.

[١١٠] إبراهيم نافع، جنون الخطر الأخضر وحملة تشويه الإسلام، م. س، ص١٠١.

المنطقة لترسيخ دولة بني صهيون في العمق العربي والحفاظ على ذلك التفوق حتى نهاية التاريخ الذي تحدث عنه فرانسيس فوكاياما.

أصل العداء للإسلام

في الوعي الثقافي الغربي صورة ما للإسلام؛ وهذه الصورة ترجع لعدة أسباب منها _ كما يقول الباحث سعيد بنسعيد العَلوي _ منها محضيات اقتصادية لتصبح عناصر استراتيجية فاعلة في صنع القرار السياسي كما هو الشأن في مادة البترول، ومنها أيضاً معطيات تتعلق بأوضاع المهاجرين في البلاد الأوروبية والجدل المُحتدم حول ما يوصف في الغرب الأوروبي أساساً بظاهرة "الإسلام السياسي"؛ .. إلا إن الباحث يعود ليؤكد إنْ تلك الصورة ترجع إلى جذور ثقافية تضرب في الثقافة الغربية بعيداً، وتعود إلى مكونات باطنية وقديمة جداً[١١١].

أي بمعنى أخر: إنْ أصل العداء الغربي للإسلام تحدده مجموعة من القضايا الهامة تتمثل في مختلف المستويات، وأبرزها الإرهاب، والتوسع الديموغرافي، التطويق الاستراتيجي، قهر المرأة، والقذارة شواغل مشتركة، لذا فالأمر لا يثبت وجود عداء واحد

---

[١١١] د. سَعيد بنسَعيد العَلوي، أدْلجَة الإسّلام بَيّن أهلهُ وخُصوْمة، تقديم: د. محمود إسماعيل، ط١، (القاهرة: دار رؤية للنشر، ٢٠٠٨)، ص١١٢_١١٣.

للمسلمين، بل الأمر يوحي بكيفية انتشار أفكار أخرى وفرتها وسائل الإعلام الدولية إلى جانب أفكار ولدت في سيّاق محدد[112] وهو عداء منسحب من تصرفات المسلمين (بعضهم أو كلهم) كما يعتقد ذلك هاليدي، إلا إني أرى إنْ المنطق يقول إنْ أصل العداء الغربي للإسلام سببه الإسلام ذاته وليس ناتج من تصرفات بعض المسلمين، (بعضهم أو كلهم)، بمعنى إنْ حقد الغرب للإسلام ناجم عن ثقافته وحضارته وأصالته التي ضربت في جذور التاريخ وأثبتت للغرب قبل الشرق إنْ الإسلام هو الحضارة التي جاءت تامة وكاملة وصالحة لكل عصر وزمان، بل إن نهضة الحضارة الغربية كان جزء كبير منه بالاعتماد على ثقافة وحضارة العرب والمسلمين، وهو ما وضحه عباس العقاد (أثر العرب في الحضارة الغربية) وغوستاف لوبون في مؤلفاته، فليس تصرف جماعات متشددة هو سبب العداء الغربي للإسلام لأنهم يدركون جيداً، إنْ ليس هو الجماعة، وإنْ الإسلام دين رحمة ومساواة؛ وإن الإسلام ينبذ العنف والتطرّف لكن الأدلجة والتوظيف السياسي للأفكار والتوجيه الإعلامي المضلل والمزيف جعل الغرب يكني العداء للعرب وللمسلمين.

وهو ما روجت له الدوائر الغربية وأسست له تأصيلات في مراكزها البحثية المدعومة من مراكز مخابراتية معلومة، فالمعروف إنْ

---

[112] د. فريد هاليدي، الإسلام وخرافة المواجهة، م. س، ص٢٣٠.

تصرفات الإسلاميين أو المحسوبين على الإسلام لم تصب أو تطال في غالبيتها إلا أموال المسلمين، وأرواح المسلمين، وأعراض المسلمين، والواقع يدلل على ذلك بلا ادنى شك، في إنْ غالبية ضحايا الإرهاب الإسلامي _ كما يسميه الغرب _ هم مسلمين، وليسوا مسيح أو نصارى من حزب جورج بوش أو جون كيري.

لكن التأصيل للعداء لا يبدا بتاتشر أو جورج بوش أو اوفاديا يوسف أو صموئيل هنتنغتون أو مادلين أولبرايت أو كوندليزا رايس، وإذ يرجع الدكتور محمد عبدة التحامل هذا في كتابه (العداء الغربي للإسلام والمسلمين): إلى أنْ أصول هذا العداء يرجع إلى صدور الإسلام والفتوحات الإسلامية الأولى، مبينا أنْ الحروب الصليبية التي انتهت عام ١٢٩١ على يد السلطان المملوكي الاشرف خليل، كانت مرحلة من مراحل العداء الذي تغذيه الصهيونية بشكل مستمر[١١٣]، وهي تلك بدايات صناعة الكراهية خصوصاً بعد توفر المواد الأولية التحضيرية لخلطة الصناعة ألا وهو الدّس الماسوني الصهيوني الذي أحدث نقله نوعية في العداء للإسلام والعرب، وإنْ الإسلاميون قد رأوا في الصهيونية طيلة عقود عنصراً رئيسياً في

---

[١١٣] "العداء الغربي للإسلام والمسلمين" .. دراسة توثيقية للحملات التي شنها الغرب على الإسلام،" جريدة الدستور، الأردن، العدد ١٦٩٨٢، ١٩/تشرين الأول، ٢٠١٤.

المؤامرة المعادية، وإنْ زرع كياناً صهيونياً يهدف إلى نزع ملكية المسلمين وقهرهم١١٤.

حتى جاء الحدث الأكبر الذي أعطى للعداء زخماً أخر، _ والذي لا نستدعي وجود أصابع اجنبية _ صهيونية تحديداً فيه صياغته _ حيث ارتفعت وتيرته كثيرا بعد اليوم المشئوم، يوم ١١ أيلول ٢٠٠١، الذي لفقّ المتصهينون الأمريكيون أحداثه ليبرروا تنفيذ مخططاتهم في ديار الإسلام، وضد المسلمين في عُقد دارهم، مما ادخل العالم في دوامة لا أول لها ولا آخر بحسب رأيه١١٥ فكنت الكراهية صناعة غربية في معامل أمريكية والعمال والموظفين صهاينة بأمتياز، الأمر الذي غذى العداء سم كامل الدسم بأثداء الصهيونية الراديكالية.

فبالرغم من أن التحدّي الديني والفكري للإسلام يستمر في الاستحواذ على اهتمام كثير من الناس في الولايات المتحدة _ دون استثناء الغرب الأوروبي من ذلك _ إلا إن الأمن والمضامين الاستراتيجية في الإسلام السياسي هي التي تتردد في أذهان كثير من الأمريكيين١١٦ بل إن الدين يكن هنا ليس إلا معوّل تشد به

---

[١١٤] د. فريد هاليدي، الإسلام وخرافة المواجهة، م. س، ص٢٢٣.

[١١٥] "العداء الغربي للإسلام والمسلمين" .. دراسة توثيقية، م. س.

[١١٦] د. فواز جرجيس، الإسلام السياسي وأمريكا، م. س، ص٣٠.

الولايات المتحدة الأطراف من أجل بلورة هالة مقدسة على سياساتها وتأليها، بمعنى إن الحرب الأمريكية ضد الإسلام هي ليست بدافع الشعور الديني فقط لدى السلطة النخبوية التي تمتلك المال والثروة وتتحكم بالرأسمالية، بل لأن الأطماع هي العامل الذي يحرك هذه النخبة١١٧، ذلك لأن الدين هو المهماز الذي يقد المسافات من أجل اكتساب الوقت والغلبة الجماهيرية لزّجهم إلى جانب القوى الاستعمارية من خلال التضليل والإيهام والأكاذيب الملفقة.

ومن الضرورات البالغة هو ينبغي علينا أنْ نميز بين لونين من العداء للمسلمين، ويمكن أنْ يسميا عداء استراتيجي، والأخر عداء شعوبي، يرتبط أحدهما (الاول) بقضايا الأمن، الأسلحة النووية، امدادات النفط، الإرهاب، في حين يتعلق الأخر (الثاني) بوجود المسلمين داخل المجتمع الغربي من قبيل الهجرة، الاستيعاب، والعنصر والحجاب وما إلى ذلك ويرتبط الاثنان معاً في "خطر" عام لا زمني١١٨، ومن هنا تتبلور لدينا فكرة أو مقولة الغرب "خطر الإسلام" التي نعتقد من جانبنا إنها خطر على الإسلام؛ وليس خطر الإسلام بعينه.

[١١٧] عبد الحي يحيى زلوم، حرب البترول الصليبية، م. س، ص٧.

[١١٨] د. فريد هاليدي، الإسلام وخرافة المواجهة، . س، .؟؟؟؟؟

خطر الإسلام أم خطر على الإسلام

في البداية يجب أنْ يُفهم إنْ صورة الخطر الإسلامي هي صورة مُضللة بطريقة أخرى أو بأخرى، وفي قلب هذا الصراع هناك تشويشان: الأول قد خلطت حقيقة وجود شعوب "إسلامية" بمعنى ديني وحضاري يتبلور في حقيقة اعتناق معتقدات سياسية توصف بالدقة إنها إسلامية، والأخر إنْ معظم المسلمين ليسوا من أنصار الحركات الإسلامية[١١٩]، وهو تشويش متعمد من جانب الدوائر الغربية لتأجيج الموقف إزاء الإسلام بالعداء والشرور والكراهية وبلورة أكبر تجمع من المعادين والمناوئين للعرب وللإسلام، ولا ضير في ذلك من صناعة عدو من الداخل الإسلامي، من أولئك المندسين والمحسوبين على الإسلام بهوياتهم وبطاقاتهم الشخصية وبلحاياهم وملابسهم وعمائهم ومحابسهم وسِواكاتهم، لكن قلوبهم كافرة ومشركة وملحدة ومجوفة من الإيمان.

أنْ الفرق بين الأثنين كبير وعلامة فارقة، والهوه شاسعة، عَمْدت الدوائر الغربية على تضليل المفاهيم وفبركتها لتشويه صورة الإسلام الأصولي بمحاصرته بإسلام أمريكي (فسره الشيخ سيد قطب)، وإسلام أصولي جامد الفكر، إسلام سياسي موظف للمقدس

---

[١١٩] م. ن، م. س، ص١٢٨.

في حقل المدنس، وإسلاميات هي من صنع الغرب الاستعماري؛ كأضداد نوعية لا غير.

فمنذ أواخر السبعينات _ أي منذ قيام الثورة الإيرانية بين ١٩٧٨ و١٩٧٩ ولدت من الخرافات قضية "الخطر الإسلامي" كإحدى قضايا العلاقات الدولية، وأصبحت قضية "الإسلام" وتحديه المفترض "للغرب" شاغلاً دولياً ومستمراً، وهو شاغل اختار ابرازه ساسة في الدول الأوروبية الغربية، فضلاً عن عدد من الإسلاميين[١٢٠]، الذين تقاربت أعمالهم من أهداف الغرب، بمعنى إنْ الشعارات لكليهما مختلفة، لكن الأهداف متقاربة نوعاً، _ ربما دون قصد من الحركات الإسلامية _ لكن بلا شك كان أمراً مُبيتاً وعن قصد من قبل الغرب الاستعماري الرأسمالي الكولونيالي الذي وظف الغالي والنفيس من أجل إظهار الإسلام بتلك الصورة المُشينة والمُخدشة للحياء الإنساني.

وقد أعتبر القلق الأوروبي الغربي "الخطر الإسلامي" بما فيه قضية الهجرة إلى أوروبا الغربية بديلاً أيديولوجياً للحرب الباردة[١٢١] وهو ما أوضحه صموئيل هنتنغتون بإن الخطر الأخضر _ إشارة إلى الإسلام _ بدأ يحل محل الخطر الأحمر _ إشارة للشيوعية _ حيث

---

[١٢٠] م. ن، ص١٢٨.

[١٢١] م. ن، ص١٣٠.

يقول الدكتور مايكل سابا: "في مقالة نشرتها صحيفة "واشنطن تايمز" كتب سياسي تركي مسلم بارز أن حلف شمال الأطلسي "ناتو" قد بدل المناطق الحمر التي تشير إلى العدو السوفيتي (السابق) باللون الأخضر الإسلامي على خرائطه"[١٢٢] فرآى هنتنغتون بإنْ على الغرب إنْ يعد العُدّة لمقاتلته ومنازلته، لأن الهجرة إلى أوروبا صارت "هاجس" الكثير من الدوائر الغربية خصوصاً تلك التي تُقيم علاقة عاطفية مشبوهه مع المنظمات الصهيونية التي لا تريد صوتاً للمأذن في أوروبا، أو معالم للإسلام أو مراسيم للصلاة هناك .

شيراك أذهب إلى مكة !

هل الرئيس الفرنسي جاك شيراك هو مسلم الديانة، أو عربي الهوية .. ولماذا هذه المقولة بالتحديد؛ وما هو المغزى منها (؟؟)، ففي بلد العلمنة والتنوير فرنسا مَوُطن الكاثوليكية ردّحاً من الزمن، ومَوُطن العَلمْنة رّدحاً أخر من الزمن، بلد الثورة الإصلاحية، والانفتاح والحداثة والتجرّد والحيّادية والسلام والأمن وملاذ المفكرين العرب والباحثين بل وكعبة المهاجرين، فيها ومنها انطلقت اكبر ثورة للتحرير من العبودية ونشر القيم العلمانية والمدنية ومرتكز الديمقراطية ألا

---

[١٢٢] نقلاً عن: عدنان زرزور، جذور الفكر القومي والعلماني، مرجع سابق، ص١٥.

وهي الثورة الفرنسية عام ١٧٩٨، البلد التي يرتادها العرب اكثر مما يرتادوا الكعبة ذاتها.

أنْ العداء للعَرَب ليس مُتبّلور في موقف بريطاني أو ألماني أو امريكي، فالمسألة نسبية وفي كل الدول الأوروبية، _ وقد تكون شخصية في بعض جوانبها _، والعداء أصله كراهية للدين وللعرق وليس للشخص، بمعنى حتى لو كنت مواطناً مسالماً ستكون مسالماً في حدود معينة، لكن تبقى تساوي "فأرة" في نظر بعض انصار التيار اليميني المُتطرّف، أو حيوان مُتوّحش في نظر أقرانهم الأخرين، أو تساوي كلب نافق في نظر الأخر.

أنْ العداء للعرب ليس مصدره المثقف الغربي التنويري، فـ "الأنتلجيسيا الغربية" تبلغ مرام عالي من الثقافة والحيادية والأبداع، وانفتاح العقل وحداثة التفكير، لكن العداء صادر من المُتعصبين والمتشددين اصحاب الطروحات الرادّيكالية والأصولية الدينية (المسيحية أو اليهودية)؛ فالتنديد بالمرشح الفرنسي المحافظ جاك شيراك من قبل جماعة يمينية متشددة في حملته الانتخابية هاتفين "شيراك أذهب إلى مكة" وهو تدليل كافٍ على إنْ العداء للعرب هو ذاته عداء للغرب التنويري وللغرب المحافظ، والغرب المتمْدن، والمتعلمْن من قِبل الجماعات الراديكالية والأصولية في الإسلوب والتفكير.

فشيراك لم يَسّلم أو يُصّلي ولم يَحُج إلى مكة أو يَعتمْر في مواسم العمرة والحجيج، لكنه بمحافظته واعتداله عُد في نظر المتشددين إنه "عربي مسلم" _ إشارة إلى كونه بدائي التفكير ومتطرّف وحاقد ومنبوذ ومكروه؛ وهذا سلوك منبوذ بالنسبة لديهم، وهناك كم هائل من الأقاويل المنددة بالعرب وبالإسلام، ومنها: يقول سياسي يميني "فيفيان فرانزين": "كم سيمر من الوقت قبل أنْ يركع الأطفال السويديون في مكة؟"، .. وتقول إحدى النساء الثلاثينيات: قال لي أبي: "العرب أسوأ من الفئران"، وأخر يكتب على باب المطعم في ألمانيا: "ممنوع دخول الكلاب والعرب" وسيل هائل من الأقاويل والتفاهات النازية _ البوشية _ الهنتنغونية؛ وهو سلوك اقنعنا به الرئيس الأمريكي الأسبق حينما قال في كتابه الأخير (ما وراء السلام): "تم توجيه كل مدفعية العداء والكراهية إلى المسلمين"[١٢٣] وهو تصور واضحة لنفسانية الذات الغربية الاستعمارية التي تنظر بشرور لعروبتنا وإسلامنا.

وما يجب قوله من الضروري أننا لا نعول على كلام وطروحات "المتشددين الغرب"، بل نأخذ من أفواه المتعلمين والمثقفين، لأن المتشددين الغرب لا يمثلون إنتليجسيا غربية أو طبقة مرموقة من المجتمع الأوروبي، بل هم من أدنى المستويات العلمية وأقلهم

---

[١٢٣] إبراهيم نافع، جنون الخطر الأخضر، م. س، ص٢٢٠.

حظوظاً في التعلم، وأكثرهم حظوظاً في الأمية والتردّي الثقافي، وفي مقدمة الطبقات ذات التعليم الرديء_ خصوصاً الديني منه _، وجمع غفير من العشوائيات، فالتشدد مرفوض في الإسلام وخارجه، ومثلما لدينا متشددين لديهم بنفس الحجم والقياس، فالأصوليات الدينية كلها تتشابه من حيث المنهج والتطبيق مع فارق الشرائع والنصوص الدينية، فالعرب المتحمسون يرمون الولايات المتحدة بالمجتمع الكاوبوي المتخلف، وايران الإسلامية تلفظ تسميه أمريكا بالشيطان الأكبر (شعار الثورة الإسلامية الإيرانية)، وإلى ما شابه ذلك من مفاهيم ومصطلحات معادية للغرب، بمعنى لكل فعل ردّة فعل، ومن الضروري للحفاظ على علاقة حميمة بين العرب والغرب، الإسلام والمسيحية تجاوز تلك الألفاظ وعدم وضعها في سُلم أولويات الإنتلجسيا العربية والغربية، كبادرة حسن نية؛ فالإسلام والمسيحية ليس بالضرورة أنْ يمثلانهما ثُلة رجال دين متشددين يُكفرون ويقتلون حتى ذويهم.

إشكالية "الخوْف من الإسلام"

بحث في الأسباب

تُعد المناقشات العنيفة والمخاوف من الإسلام السياسي سمة دائمة في صناعة السياسة الخارجية الأمريكية على مدار الأعوام الستين الماضية[١٢٤]، ولا تختلف عنها في السياسة الغربية الأوروبية المتوافقة إلى حد ما مع السياسة الأمريكية المشتركة بالحملات العسكرية من حيث المنهج والتطبيق والأهداف، أو تلك التي ترتبط بالولايات المتحدة بـ "رّباطٍ مُقدّس" مُتمْثل بـ"التحالف الاستعماري" للعالم ضد دول الحضارات القديمة العربية والإسلامية والهندوكية والكونفوسوشية.

وأنْ الحديث عن "فوبيا الإسلام" أو إشكالية الخوف من الإسلام عند الغربيين هو أكبر دليل على إن الإسلام يحيا من جديد، وإن الإسلام يتقدم، وإن الإسلام أصبح قضية رأي عام لا يمكن حتى لغير المسلم أن يتجاهلها، برغم التهويل الإعلامي والتضليل المونتاجي "التوليفي" المُضلل، إلا إن الإسلام بات يُهدد قلب أوروبا، نحن لا ندافع عنه كغزو أو رّدة فعل على الاستعمار متمثلة بجماعات رادّيكالية عنفوية همها السلطة وليس الدين، مطلقاً، وإنما نتحدث عن قيم حضارية ومشروع انساني قبل أنْ يكون ديمقراطي وحضاري ألا وهو مشروع الإسلام الإنساني والتنموي الذي تناول كل جوانب الحياة، والذي يدعو للتعددية الدينية والسياسية، وحرية الرآي

---

[١٢٤] د. فواز جرجيس، الإسلام السياسي وأمريكا، م. س، ص٣٠.

وأحترام الاخر، دون تفضيل لأبيض على أسود، وإشاعة روح التسامح والتآخي، والعفو، وتلك أسمى قيم الإسلام التي ربما لا يعلمها الغرب، أو إنه أُجبر تحت وطئه الأكاذيب المُلفقة والإدعاءات الزائفة حيال الإسلام أنْ يفهم الإسلام عكس ذلك، (إسلام بالإتجْاه المُعاكس)؛ فالإسلام من السلام والتوّعية والتسليم لأراده الخالق الذي هو رب البشرية كلها دون منازع أو شريك، وهذه القيم السامية للإسلام دفعت أوروبا للتسليم بها وهي كل يوم تصحى على اعتناق العشرات من الأوربيين ودخولهم "ربيع الإسلام"، بعد خريف الصهيونية الاستعمارية التخريبية، وهو ما بعث الخوف على أوروبا من تلك الأيديولوجيا الخضراء.

وإنْ الحديث عن خطر أخضر، جماعات متشددة، إسلام سياسي، إرهاب اسلامي، طائفية وقتلٍ وترويع للأمنين هو حديث وسائل إعلام تشوه صورة الإسلام وربّطة بمنظومة الإرهاب والعنف لتبرير تحشيد الرآي العالمي على إنكار الإسلام وتحديد نشاطه وتقويضة، فالفوبيا ليس لها أصل عندنا، فالإسلام لا يُكره أحد على ترك دينه، لكن الإسلاميين يفعلون ذلك، وشتان ما بين الإسلام والمسلمين، إنه كالفرق ما بين الحق وادعاء الحق دون لمس شيئاً من ذلك الحق المُدعى!

أذن فالغرب يرى إنْ الإسلام ما زال يسعى لخوض معركة حسمت في القرن الماضي، وإنْ الإسلاميين يسعون للعودة إلى نظام العصر الوسيط الذي شهد صراع الديانات مستخدمين خطاباً سياسياً بائداً أقترن بنظاماً بائداً١٢٥؛ وهو فعل برئ منه الإسلام لكن لا نستطيع أنْ نُبرى منه الإسلاميين بما هم حركات وجماعات مسلحة تشهر السلاح من أجل السلام.

يرى الإسلاميون إنْ الخوف من الإسلام هو جزء من التكوين الثقافي الغربي وناتج عن الصراع الموغل في القدم بين الإسلام والغرب وعن ذكريات الحروب الصليبية وتهديدات المسلمين للحدود الجنوبية والشرقية لأوروبا وتحويل إسبانيا وجنوب ايطاليا إلى حواضر إسلامية وسقوط الأندلس١٢٦، بمعنى إنْ الغرب هو الوحيد الذي يحمل "عقدة نفسية" تجاه العرب والمسلمين سواء على صعيد الإدارات الرسمية أو على صعيد الكثير من الشعوب التي تختزن الحقد والعنصرية والفكرية والدينية والانسانية ضد المسلمين بهدف تحويل المجتمع الإسلامي إلى سوق استهلاكي١٢٧، لكن ليس هناك نسق واحدة لهذه الإشكالية، أو هناك خط أوروبي وتصور ثابت للخوف من الإسلاميين بنفس الدرجة، فهي قد تكون عالية في أمريكا

---

[١٢٥] د. إسماعيل الشطي، الإسلاميون وحكم الدولة الحديثة، م. س، ص٢٢١.

[١٢٦] م. ن، ص٢٢١.

[١٢٧] السيد محمد حسين فضل الله، المدنس والمقدس، م. س، ص٢٧_٢٨.

وأقل في بريطانيا وأقل في فرنسا، وأكثر في ألمانيا، فالمسألة نسبية وليست مطلقة، كما وليست نظرية متسقة ذات نتائج ثابتة، إنها مسألة تعتمد برأيي البسيط على توجهات البلد نفسه وتعتمد تلك التصورات بناءاً على المصالح العليا للدولة، فحينما يكون هناك انسجام مثلاً بين ألمانيا وتونس بلا شك ستحترم الدولتان الخصوصيات الدينية والعرقية لكلا البلدين، وعندما تكون هناك مصلحة ألمانيا مع الولايات المتحدة ضد دولة عربية أو إسلامية فإنها ستتخذ موقف عدائي قد يصل لحد التسويق العدائي الدعائي لتلك الدولة، بمعنى أدق إنْ قضية العداء بين الأطراف غالباً ما تعتمد _ وبالدرجة الأساس _ على موضوع المصلحة العليا للدول؛ وعلى أثرها ينشب الصراع الحتمي _ كما يعتقده منظر الصدام بين الحضارات وداعية الشقاق والنفاق بين الإسلام والغرب صموئيل هنتنغتون _؛ وكأن كتابه (صدام الحضارات) نص ديني مقدس من السماء مُنزل لا يمكن التلاعب به أو عصيانه، أو نكرانه أو نقده أو التشكيك بمحتواه ومضمونه.

***

هنتنغتون والواقع

كان للمحافظين الجدد نظرتهم العالمية المنظمة والمنسقة عندما دُمر البُرجان التوأمان في ١١/سبتمبر/٢٠٠١ وبدت لديهم

إنها إثبات لـ "صدام الحضارات" قد بدأ فعلاً في عام ١٩٩١ أعطت الشرعية والحجة لتدخل عسكري استباقي ضد دول معادية لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية والتي تسعى لأمتلاك أسلحة دمار شامل[١٢٨] كان صموئيل هنتغتون عراب الفكرة، رغم أنهُ ليس الأول لكنهُ صاحب الفضل في جعل صدام الحضارات استراتيجية أمريكية على صعيد العلاقات الدولية.

أنْ نظرية هنتنغتون تمثل هزيمة أمام الواقع ولا وجود لصحتها، بل أثبتت فشلها أمام أول محاولة للتجريب على أرض الممارسة العملية، ويلخص أحد الباحثين اسباب الصراع التي تحدث عنها هنتنغتون باعتبارها ثمة نتائج وهي[١٢٩]:_

١_ أنْ هنتنغتون لا يؤمن بالتعددية الثقافية ولا الهويات المستقلة عن الهوية الثقافية الغربية، ويعتبر الثقافة العربية الإسلامية معادية للثقافة الغربية ومنافسه له بالضرورة.

[١٢٨] د. جيرمي سولت، **تفتيت الشرق الأوسط: تاريخ الاضطرابات التي يثيرها الغرب في العالم العربي**، ترجمة: د. نبيل صبحي الطويل، (دمشق: دار النفائس، ٢٠١١)، ص٤٠٧.

[١٢٩] **كاي حافظ، الإسلام والغرب، م. س، ص٩_١٠.**

٢_ إنهُ لا يؤمن بحق الاختلاف الثقافي، ولا يؤمن بوجود ثقافات كونية بخلاف الثقافة الغربية، ويرفض إدعاء الحضارة الإسلامية بالعالمية.

٣_ يعتبر كل صراع وإنْ صغر حجمة على إنه استمرارية والحرب حرب حضارية أزلية لا تنتهي إلا بنهاية التاريخ.

٤_ إنهُ يقضي على كل بارقة أمل في التقريب بين الحضارتين ويتجاهل تاريخانية العلاقة الطيبة والودودة بينهما.

٥_ يباعد بين الحضارتين ولا يعترف بدرجة قرابة تسمح بتفادي الصراع الحضاري بينهما.

هذه جُملة أستنتاجات طروحات هنتنغتون بشأن الصراع بين الحضارات الغربية والإسلامية والشرقية (على وجه التعمْيم) ، وكإنه يتكلم عن "منبر أمني" أو "ناطق باسم احد اجهزة المخابرات المعادية للعرب والمسلمين" أو إنه قس في كنيسة أو حاخم في معبد" فطروحات لا تُشير إلى منهجية علمية أو معرفية أو رؤية أكاديمية؛ كيف لا وهو يعمل للبيت الأبيض والبنتاغون والـ c.i.a بصفة "مُخبر سرّي" أو "جاسوس موالي"؛ فلا نجد في طروحاته أي نزعة علمية أكاديمية معرفية؛ فهو ينطبق عليه صفة "مفوض أمن" لا مفكر سياسي.

إنهم يدعون علينا ما لم نعترف

أنهم يتهموننا بالإرهاب، ويرموننا بالتخلف والهمجية والبربرية، والتردّي والانحطاط، وهم يتغابون عن العنف الأجتماعي والسياسي في بلد هو "أم الديمقراطية" المزعومة و"راعية السلام" في العالم ألأا وهي امريكا، انهم يمنعون الشعوب من امتلاك اسلحة دمار شامل حتى للأغراض السلمية، وهم ليس فقط يصنعون الدمار الشامل من اجل الدمار والتخريب القاري، بل هم استخدموه فعلا في فترة من الفترات التاريخية وقادرون على استعماله مجدداً ضد اي خطرٍ داهم، بل إنهم جربوه في كارثة العالم اجمع "هيروشيما" و"ناكزاكي"، وقادرين على تحويل أي منطقة في العالم إلى "ناكزاكي جديدة"، هم يختاورا توقيتها ومكانها وساعة الصفر لإعداد مشروع الجريمة !! .. ثم يسموننا برابرة وثتلة ومارقين ويعدوننا بـ "المارد العربي"، ولم أسمع بـ "براعي البقر" أو "سفاح هوليوود" أو "جزار الفاشية"، أو "سيّاف النازية" وأصل كلمة برابرة هي أوروبية غربية، إنهم يمارسون الإرهاب بشعوبنا وبلداننا، ويريدوننا أنْ ننبطح لسياساتهم وفق إجراءات "العولمة الرّثة"، .. فهل يعقل للإنسان الحر أنْ يُسلم مفاتيح وطنه لمحتل وغازي بربري، ماذا لو كانت بريطانيا مكان العراق واحتلتها

أمريكا، هل ستفتح لهم أبواب قصر بكنغهام، أو تغسل أقذار الجندي الأمريكي "المرتزق" بمياه نهر التايمز!

يتهموننا بالاستبداد .. ولا أدري أي حرية قدمتها أمريكا وحلفها المشؤوم لأحتلال أوطان العرب والمسلمين، هل هي حرية الري، حرية الترهل الاخلاقي وبروز الأجيال السالبة، أم حرية الدم في الشوارع وانتهاك المحرمات واغتصاب الحرائر وإنتهاكات السجون باسم راعية حقوق الانسان، فما الذي قدمته الديمقراطية الامريكية المجوقلة للعراق سوى الطائفية والقتل والتشرّد، .. سوى تمزيق الشعوب في ليبيا، وهلاك سوريا ودخولها في نفق مرعب لا نهاية لها، إنْ الحدث عن القمع والانتهاكات الامريكية في العالم لا يمكن سرّدها في بحث علمي أو دراسة أو تقرير منظمة أممية، فالجرح أكبر من الضماد.

وبالتالي فإن مصطلح الإسلاموفوبيا مُصطلح شائه ومُضلل ومفبرك ومفهوم بالوني الحجم لا يتخلله إلا الهواء الاصطناعي المزيف، ولا حقيقة له، وحتى أحداث مانهاتن هي أكذوبة مزيفة من أكاذيب المخابرات الأمريكية ما زلت غير مُصدقٍ لها، إنْها تندّرج تحت لائحة: "البحث عن عدو افتراضي"؛ وأفتراضي من أسمه تدليل على إنه عدو وهمي، خيالي، فنتازي لا يمكن للعقل السليم أنْ يُصدقه أو ينقل تجربته على أرض الواقع العملي للإثبات والتحقق.

وملخص القول إنْ الإسلاموفوبيا صنيعة الدوائر الغربية بالتعاون والتوافق مع بعض "شيوخ الإرهاب" الذين احتضنتهم المؤسسات الغربية ووفرت لهم العُدة والسلاح والأفكار والفتاوى المدسوسة والقيّافات الفولوكلورية بحُلةٍ جديدة ليظهروا إلينا مظهراً شكلياً مقبولاً أول الامر لنصدق أقاويليلهم وأحاديثهم بطريقة هوجاء دون مراجعة وتمحيص، أي بمعنى إنْ الإسلاموفوبيا مؤامرة الغرب على العرب بمباركة "البعض الإسلاموي" الذين قبلوا فكرة التطرّف والإرهاب وقتل الأبرياء؛ خلافاً للنص القرآني وتجاوزاً على عقيدة نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم).

***

الفصل السادس

الفَتْنَّة وصناعة الخوف

"دولة شيوخ الموّدرن"

مدخل نظري

لسنا مع القول الذي يذهب إلى الجزم بإن الفتنة تبدأ نهاية كل عصر، فهي موجودة وكامنة تحيا؛ كالجمر تحت الرماد تحتاج من ينفخ فيها أو يعرّي الرماد عنها بعاصفة أو صرخة مدوية، لكننا نتفق مع القول أعلاه إنها فعلاً تتحقق شروطها نهاية كل عصر، لأن نهاية العصر ناجمة عن قيام الفتنة ووقوفها على أقدامها بشراسة، لا ينتهي أي عصر سياسي إلا بالقوة أو بالفتنة أو الصراع، فعصر أزدها الإسلام أنتهى بالفتنة الكبرى، وعصر الخلافة العثمانية أنتهى بفتنة "الدول القومية"، وعصر الدول القومية أنتهى بفتنة "الحركات الإسلامية" وعلى هذا المنوال تسير تراتيبة العالم وسيرورة التاريخ وحتميتهُ.

فما كان للإسلاموفوبيا أنْ يتحول إلا معوّل يضرب رؤوسنا بشراسة لولا قيام الفتنة الدينية في الداخل العربي الإسلامي، بمعنى إنْ الغرب لن يكون ذئباً علينا لو لم نكن نحن خراف تحت رحمته، قوتنا ووحدتنا وتوحدنا ورباطنا المقدس كان كفيل بوقف مهاترات الغرب الإستعماري، لكن كيف يتم ذلك ونحن نُكفر بعضنا، ونستبيح حرمات بعضنا ونهتك ونمارس الرذّيله بمحرماتنا، فما أهوجنْا وأذلنا

نحن اليوم مما عليه من "إنخرام أخلاقي" وثقب في الضمير أسود العربي صار عاهتنا وعلامتنا الفارقة!!

ما يتوجب علينا نحن العرب والمسلمين هو إنْ نعمل ونجاهد على إطفاء الفتنة بين المسلمين، ونوقف نزيفها، حتى نفوت الفرصة على الغرب الإستعماري، لأن الفتنة المُعمْمة اليوم هو جوهر إشكالنا، وأس بروز مصطلح الإسلاموفوبيا.

***

الفتنة المُعمْمة

عندما بدأ الإسلام العقيدة (الدين) يتحوّل الى الإسلام السياسي (الأيديولوجيا) عمد بعض المسلمين على تفسير النصوص الدينية حسب أدلجتهم الخاصة وإنتزاع آيات من سيّاقها النْصي والتاريخي لتسويغها حسب ميولهم الحزبية والفردية، والتلاعب بالنص الديني ومن ثم خداع والتلاعب بـ "العقل العربي المسلم" حيث كُفر الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بأستعمال الأيه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[١٣٠]؛ في حين كُفر الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) باستعمال الآية الكريمة ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[١٣١]؛ وإنْ الخليفة عثمان قتل باستعمال النص الديني؛ كمبرر شرعي لتكفيره، واستخدمت الآية الكريمة ضد الامام علي؛ كمسوغ ديني لتكفيره[١٣٢] وهو ما أحدث ما يمسى بـ "الفتنة الكبرى"، والتي تعني بتجريدها وبفهمها العام إنها تجمع بين متناقضات لا تهدأ ولهذا

---

[١٣٠] سورة المائدة، (٤٤).

[١٣١] سورة يوسف، (٤٠)، وكذلك سورة الأنعام (٥٧).

[١٣٢] المستشار محمد سعيد العشماوي، الإسلام والسياسة، ط١، (بيروت: دار الانتشار العربي، ٢٠٠٤)، ص١٦٢.

يسهل نفاذ فعلها وتسعيرها لحدث ما قد يثير تعصب الأخرين[١٣٣] وهي في المضمار العربي الإسلامي تعد فتنة ارتدت قيافة القدّاسة وصارت ممارسة يضفي عليها طابع الهيبة والمقام العالي، والتآليه لاقتناع كل اطرافها بإنهم هم على صواب وغيرهم خطاؤون وإنهم وحدهم يملكون الحقيقة.

أنْ جميع الحركات الاسلامية المنشغلة والمهتمة بالشأن السياسي ترفع شعار الإسلام هو الحل، وتنادي بتطبيق الشريَّعة الإسلامية وعودة الخلافة الإسلامية ليكون يافطة على مقراتها الحزبية وفروعها في البلدات النائية، لكن نتسأءل اليوم اين هو ذلك الشعار منذ أحدى عشر عاماً على إسقاط نظام مارس العلمانية صراحة _ رغم انه لعب بورقة الدين لقضايا ومرام سياسية دللت على فشله السياسي والامني _، وقيام نظام الحكومات الإسلامية (دول العمائم) في كذا دولة عربية وإسلاميَّة، وصعود مُفاجئ لكم هائل من الحركات الإسلامية في العالمين العربي والإسلامي، فهل تحوّل الإسلام الى حل كما ردّدوا من هتافات له، وهل عادونا الى عصر الخلافة أم الى الخلاف والاختلاف الحاد والعقيم وغير المجدي.

إنْ الإسلام بلا شك هو الحل، ولن يكون غير ذلك، لكن "شيوخ المودرن" المصطفين وراء طوائفهم واحزابهم الدينية جعلوا منه

---

[١٣٣] أبراهيم محمود، الفتنة المقدسة: م. س، ص١٨.

مشكلة يعاني منها المحكومين (أفراداً وجماعات)، ألبسوا الباطل رداء حق، والوهم قيافة كذب، وارتدى العمْامة من لا يصوم ولا يُصلي ولا يترسخ في قلبه الإيمان الحقيقي، وأين "الإسلام الحقيقي" في عهد جوقة الفتنة وشيوخ المودرن؛ والمسلم يَغتال اخيه المسلم لمجرد الاختلاف الفقهي بينهما، وأحياناً لمجرد الأختلاف حديث ضعيف، أو على مسألة ثانوية من مسائل العقيدة، وهدم الكعبة اهون على نبي الرحمة من قتل أمرءٍ، .. وهل الإسلام دين عنفي _ كما أرادت الادارة الأمريكية أنْ تصوره ذلك للعالم وتشوه تلك الصورة بعد أحداث الحادي عشر/ايلول ٢٠٠١ _؛ يتوّق للقتل وإنتهاك الحقوق وإستباحة الحرمات.

إنْ الإسلام الحقيقي وقف عصيّاً من الاختراق الماسوني العولمي، رغم الممانعة القوية إلا أن تلك المحاولات لم تنته أو تثبط، فنجح الغرب بمسألتين:_

الأولى: اختلاق خصم ند للحضارة الغربية يضفون عليه مسميات الإرهاب والعنف والفوضى وهو ما أسماه صموئيل هنتمغتون بـ"الخطر الأخضر".

الثانية: أوجد جماعات الإسلام السياسي وتغذّيتها بمُغذّي العنف والتكفير لتكون للإعلام العالمي والرآي العام انها هي الإسلام ذاته، ومن ثم ضرب الإسلام في عقر داره، ودك مضجعه، وفق آليات

وسياسات "الضد النوعي"، ونجحت بذلك، حتى أصبح المشروع الحضاري الإسلامي الذي تنادي به حركات الإسلام السياسي غير مرحب به وغير مقبول على ارض الواقع، لأنه مشروع لا يمثل إلا اقلية بشرية تدعو للتطرف والعنف تجاوزاً وتحايلاً على ثوابت الإسلام وقيم التسامح الروحي والأخلاقي، فيقول علي الدكتور حرب في مؤلفه "تواطؤ الأضداد": هل نأمل بعد بحل إسلامي بعد حرب الجوامع والمراقد في العراق التي هي فضيحة لهذا المشروع وأكذوبته، وإنْ المشروع الإسلاموي _ الذي عبأ افكاره المنشط الأمريكي _ فقد مصداقيته على ارض الواقع؛ وفي ضوء التجارب المريرة[١٣٤] وتحوّل الى مشروع "مقاولة ربحية" تُريد التعويض بهذا التخريب الوصول الى السلطة والهيمنة والنفوذ بأي طريقة مُذلة.

الفاشية الإسلامية

تعد الأصولية بكونها "تعبير عن جماعة دينية ترى إنها الوحيدة التي يحق لها تفسير النصوص الدينية وإرجاعها إلى أصولها، ولا يحق لسواهم الرجوع إلى تلك النصوص، وهم بذلك يعزلون كثير من المسلمين عن الإفتاء أو الحديث عن الإسلام، وأكثر فإنهم يكفرون

---

[١٣٤] علي حرب، تواطؤ الأضداد: الألهة الجُدد وخراب العالم، ط١، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨)، ص١٧٩.

من ينتقد سياساتهم وتصرفاتهم، أذن فالأصولية هي العودة إلى المنابع والأصول لكن بطريقة غربية كنسية وليست إسلامية"[135]؛ بمعنى إنْ الأصولية نتاج كنسي أوروبي وحدث تاريخي غربي وليست سيرورة تاريخية أو حتمية إسلامية.

ولذا تعتبر الأصولية بإنها المرجع الأساس للتيار الإسلامي[136]، والأب الروحي لحركات الإسلام السياسي، والقائدة الفذة لتنامي الراديكالية الدينية، والأسس واللبنات الأولى لتنامي الطائفية سواء بعوامل من داخل بُنيتها أو بفعل البيئة المحيطة بها (فعل خارجي)، وتنطوي الشخصية الأصولية على كثير من ملامح الفاشية، وهذه الفاشية تفيض مباشرة من الشخصية الاستبدادية للتعاليم والتوصيات المستمرة لإحداث تحول جذري في المجتمع، ومن هنا كان اهتمامهم الشديد بالقوة وسعيهم إلى السيطرة السياسية والاقتصادية[137]، وإنْ ما يُمارس ويفتعل باسم الإسَّلام والقيم الروحية الدينية هو من قبيل الإسلام السياسي ولا يمكن قبوله على إنه إسلام الرسول وخلفائه الراشدين، لأن الإسلام اليوم أصبح "سلاح

---

[135] راجع كتابنا: حسام گصاي، نقد النظرية الثيوقراطية السياسية، (عمان: دار أمواج للنشر، ٢٠١٥)، ص١٠.

[136] فرانسوا بورغا، الإسلام السياسي: صوت الجنوب، م. س، ص٤٣.

[137] ريتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، م. س، ص٦٠.

الجميع ضد الجميع"، وحق الجميع إشهاره بوجه ذلك الجميع، ذلك لأنه دين مإشاع للجميع ومتاح للكل، فصار هذا الجميع يمارس نفس الطقوس والآليات لمقاتلة خصمه الذي هو بالأساس شريكه وأخوه في رَحبّة الإسلام والإيمان والعقيدة، وهنا صارت الأصولية تبعية لدول ولم تعد تبعية لله (عز وجل)، والولاء هنا وهناك أصبح سياسياً ولم يعد دينياً[١٣٨] إذ لم يعد الدين ولا القومية ولا العادات ولا التقاليد ولا مناهج التعليم يمكن أنْ تسبب صدام بين الشرق والغرب عموماً، بقدر ما يسببه احساس أمريكا والغرب بإن أكبر مصادر الطاقة في العالم مهدد بالإرهاب من قبل الأصولية القومية والدينية على السواء[١٣٩]، بمعنى لو كان العرب بلا نفط أو ثروات وكان موقعهم الجغرافي غير ذي أهمية، في رقعة معزولة عن نقطة مواصلات العالم فلن يعير له الغرب الاستعماري بالاً، حتى لو أحترقت بالكامل، أو أُبيد على بكرة أبيها، أو تحولت إلى هولوكوست مُحرم جديد، لأن النفط أساس اتهام الغرب للإسلام والعرب بالإرهاب لتبرير تدخلاته تحت غطاء مُشرّعن.

---

[١٣٨] د. مصطفى محمود، الإسلام السياسي، م. س، ص٢٥.

[١٣٩] شاكر النابلسي، أسئلة الحمقى في السياسة والإسلام السياسي، م. س، ص٤٩.

لذا فقد دشن الرئيس الأمريكي جورج بوش (الأبن) مفهوم "الفاشية الإسلامية" من خلال احدى خطاباته التي جاءت بعنوان "الفاشيين الإسلاميين" واضعاً كل الإسلاميين (معتدلين ومسلحين) صقور وحمائم في خانة الفاشية الإسلامية على السواء، داعياً إلى شن حرب على الإرهاب[١٤٠] بنفس ما اتجه إليه كاتب بريطاني هو "كلير هوليجورث" بالقول إنْ الأصولية الإسلامية أصبحت بسرعة الخطر الرئيسي على السلام والأمن العالميين كونها سبباً للاضطرابات القومية المحلية من خلال الإرهاب، وإنها قريبة من الخطر الذي اثارته النازية والفاشية في الثلاثينات، ثم الشيوعية في الخمسينات[١٤١]؛ وهم يربطون الإسلام بالافعال الإجرامية التي هم نفذوها بحقنا أو بحق عوام البشرية.

وهو بالأساس لا يُفسر إلا حرباً على العرب والمسلمين، لأنه تحدث في خطابه عن الإسلام ثم دعا إلى شن حرب على الإرهاب، معتبراً إنْ العرب والمسلمين هم مصدر الإرهاب، ولا بد أنْ تُشن الحرب ضدهم، في الوقت الذي يقول فيه هنتنغتون إنْ المشكلة الحقيقية للغرب هي ليست الأصولية الإسلامية وإنما الإسلام هذا

---

[١٤٠] د. فواز جرجيس، الإسلام السياسي وأمريكا، م. س، ص٣٢.

[١٤١] نقلاً عن: د. فريد هاليدي، الإسلام وخرافة المواجهة، م. س، ص٢١٩.

الدين ذو الحضارة المختلفة١٤٢ فهم يخشون الإسلام لا الأصولية ولا الإسلام السياسي وإنما اختلقوا تلك الأصولية وساعدوا على ظهور الإسلام السياسي ليتسنى لهم تبرير هجمتهم البربرية وتعمْيم الظاهرة للعالم وإيهامه بإن كل فعل اجرامي يقع في واشنطن أو برلين أو مدريد هو فعل الإسلام الدين حتى يتسنى لهم ضرب الإسلام الدين تحت مُسمى الإرهاب والتطرّف والفاشية الإسلامية.

الفاشية المسيحية: لماذا السكوت عنها

لقد دأبت السياسة الخارجية الامريكية على مر العهود الرئاسية المتعاقبة على عرش الولايات المتحدة والعالم إلى التعامل وفق سياقات وفكرة محورية تحكم السياسة الأمريكية مع العالم الأخر ألا وهي: "إن قيم أمريكا ومؤسساتها وآلياتها لا بد وأن تمتد إلى العالم كله"١٤٣ومن هنا بدأ التطرّف والإرهاب يسود السياسة الأمريكية وتعاملها مع الأخر المختلف، لأنه قائم على رؤية آحاديه إقصائية ترفض رآي الأخر وانتماءه وعقيدته، وبلا شك إنْ هذا التعميم

---

[١٤٢] صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، مراجعة: صلاح قنصوة، ط٢، ط٢، (نيويورك: سطور، ١٩٩٩)، ص٢١٧.

[١٤٣] سمير مرقس، الإمبراطورية الأمريكية، م. س، ص٥٢.

الأمريكي لن يسري بسلام دون رفض، فهل يُعقل أنْ يتحول العالم بأسره إلى أكباش مُعدة للنحر، وإلى قطيع غنم تُساق بعصا "رجل الكاوبوي" (راعي البقر) البربري، كان الأمر يحتاج إلى رفض، والعرب والمسلمين يرفضون الخنوع والإذلال ويتميزون بالرفض والتذمر والمكابرة والتحدي، لهذا حدثت المواجهة أو الصدام، فاعتبروا كل مقاومة أو دفاع عن النفس يقع ضمن ملفات الإرهاب والحرب عليها في دوائرهم الأمنية المضللة؛ في حين إننا كعرب ومسلمين لم نتعامل مع الغرب إلا من باب من نص عليه إسلامنا الذي يقول القتال لا يقتصر إلى على ردّ العدوان ودفع الأذى عن المسلمين لا غير، ونحن لم نغزوا بلاد بوش أو نستعمر أرض بنكغهام أو نحتل قصر الإليزية، إنما هم من أحتلوا أرض الخلافة الإسلامية (بغداد) ومصنع الرجال (افغانستان)، ودمروا أرض عمر المختار (ليبيا)؛ وخربوا بلاد أبن القيم الجوزية ومقام خالدبن الوليد (دمشق) والقائمة تطول وتطول.

فجذر الاستبداد والتطرف والعنف هو الغرب فلو لم تحكم النازية والفاشية والعسكرتاريا في ألمانيا وايطاليا واليابان لما عرف العالم مخاطر الدكتاتوريات على حقيقتها[١٤٤]؛ وتعد أمريكا اليوم "الثدّي" الذي يُغذّي كل الجماعات المسلحة في العالم العربي

[١٤٤] شاكر النابلسي، أسئلة الحمقى في السياسية والإسلام السياسي، م. س، ص٥٣.

الإسلامي بكل عناوينها وصنوفها ومسمياتها، فهي ـ أي أمريكا ـ راعية التطرف في عالمنا ومتبنية خيار التشدد كحل سامي؛ وكُل من يُشكك في العلاقة بين أمريكا والجماعات الإسلامية المتطرّفة ليرجع إلى القرأن الكريم الذي يقول (وجلعناكم أمةٍ وسطا) في حين أمريكا والإسلاميين (جعلونا امةٍ طرفا)؛ كون التطرّف هو نقيض الوسطية أي نقيض الإسلام، والإسلام جعلنا شعوب وقبائل مختلفة وأمريكا تريد عولمة العالم وجعله لوناً واحداً وثقافة وهوية واحدة.

فإذا كان التطرّف الذي يمارسه بعض الأفراد أو الجماعات التي تدعي إنها تمثل الواقع الإسلامي الرسولي يمثل الإسلام ذاته وفق المنظور الأمريكي، فمعنى هذا يصح علينا القول إنْ جاي فوكس مخطط مؤامرة البارود الشهيرة لنسف البرلمان الأنجليزي عام ١٦٠٥ إبان الحروب الدينية المقدسة، هو ذاته يمثل موقف ورآي المسيحية الأصولية والمسيحية الحقيقية، وأنْ نعتبر بربرية السيد بوش إنها تمثل المسيحية الأم خصوصاً وهو يتشدق بإنه وكيل المسيح ونائب اليسوع ـ والمسيح واليسوعية منه براء براء براءة الذئب من دم يوسف ـ وزعيم الحروب الصليبية ضد الإسلام والعالم، إننا إذا ربطنا المسيحية بتصرف وسلوك فوكسي أو بوش أو خطاب تاتشر فإننا سنتساوى معهم أولئك العدائيون للإسلام بالتخلف والقصور الثقافي، لأن المسيحية أكبر من انْ تُختصر بتعصب شخص، أو بربرية رئيس دولة أو في عمل إرهابي يرى صاحبه إنه عمل فدائي استشهادي من أجل عقيدة ما، فلهذا لم نسمع مفكر أو كاتب أو

مسؤول عربي قد ربّط المسيحية بالإرهاب أو بالجماعات العدوانية، وهذا دليل على نقاوة فكرنا، وثقافة عقلنا وتنويره؛ ونسبيته لا تعميمه في تفسيره للظواهر؛ كما يفعل العقل والفكر الأمريكي أو الفكر الغربي الاستعماري على وجه التعميم.

وهنا أضع تساءل بين يدي قارئي: لماذا سمى الغرب الإسلام بالفاشي، والفاشية هي الأخرى مفهوم غربي من بيت المسيحية وليس من دار الإسلام!

علاقة الإسلام السياسي بالاستبداد

يُعد الاستبداد١٤٥ (بشقيه الديني والسياسي) داء تبتلى به بعض الأمم والشعوب في بعض مراحل التاريخ، خصوصاً تلك الدول التي لم ترتق لعصر الديمقراطية أو السير في طريق التحوّل إلى عصر المقرّطة، أو تقود حملة المْمانعة لها، فهناك من يعد التاريخ السياسي

١٤٥ لقد قدم لنا الشيخ عبد الرحمن الكواكبي في كتابة الشهير: (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) تعريفات عدة عن الاستبداد والمستبد في كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد)، منها: المستبد عدو للحق، وعدو للحرية وقاتل لها، والمستبد يتحاوز الحق ما لم يرى حاز من حديد، .. والمستبد مستعد بالطبع للشر، .. والمستبد يود ان يكون البشر كالغنم دراً وطاعة، .. واقبح أنواع الاستبداد الجهل على العلم، واستبداد النفس على العقل، والاستبداد يد الله القوية الخفية يصفع به الآبقين (أي العبد الهارب من سيده، والاستبداد نار غضب الله في الدنيا، والجحيم نار غضبه في الأخرة، والاستبداد أعظم بلاء يتعجل الله به الانتقام من عبادة الخاملين ولا يرفعه عنهم حتى يتوبوا توبة الأنفة).

للإسلام واحداً من النظم الاستبدادية المُطلقة فلم يكن هناك برلمانات أو مجالس نيابية من أي نوع، ولا مجالس أعيان، ولا بلديات طوال تاريخ الإسلام؛ وترى هذه الفئه إنْ في الألف عام الأخيرة هيمن التفكير السياسي الإسلامي أقوال من قبل: الاستبداد خير من الفوضى[١٤٦] لكنه لن يؤدي إلى الحرية أو يتفرع منها، وبالمقابل نجد كلام يناهض ما سبق ويفنده وهو رأي الشيخ محمد الغزالي في مؤلفة الإسلام والاستبداد السياسي والذي يرى "أن الإسلام والاستبداد ضدان لا يلتقيان ، فتعاليم الدين تنتهى بالناس إلى عبادة ربهم وحده ، أما مراسيم الاستبداد فترتد بهم إلى وثنية سياسية عمياء"[١٤٧] والمستبد هو من يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم ويحكمهم بأهوائه لا بشريعتهم[١٤٨] وغالباً ما يرتبط الاستبداد بالحاكم أو بالسياسي أو بالملك.

بل يذهب الدكتور عبد الله العروي إلى أبعد من ذلك ليؤكد العلاقة الحميمة والوثيقة بين الاستبداد والسياسة فيقول: "ليس في حقل السياسة علاقة أوثق من هذه. التاريخ يبرزها، النظر يعللها والملاحظة اليومية تؤكدها. العلاقة بديهية إذ تربط بين مفهومين

---

[١٤٦] (مجموعة من الباحثين)، الإسلام والديمقراطية والتحديث، ترجمة: د. شيرين ت. هنتر، د. هوما مالك، ط١، (القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٩)، ص٨٤.

[١٤٧] الشيخ محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي، ط١، (القاهرة: نهضة مصر للنشر، ١٩٩٧)، ص١٧.

[١٤٨] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، م. س، ص٤١.

يحملان الصفة نفسها. الاستبداد هو السياسة"[149]، في حين يذهب أحد الكتّاب والباحثين إلى القول بإن الاستبداد "هو أسوأ انواع السياسة، وأكثرها فتكاً بالإنسان وغير الإنسان في المجتمع المحكوم بالظلم والطغيان"[150] وإنْ الإسلام تنبه لهذه المسألة ولم تغب من أدبياته، لأنه دين عظيم ولم تغب عنه غائبة؛ وهو على بينه شديدة من استناد أي سلطة سياسية إلى زعم ديني وارتكاس أي عالم على حق ديني، لا بد أنْ يؤدي _ لزوماً _ إلى نشوء استبداد سياسي باسم الدين، أو ظهور استعباد روحي بسلطان الشريعة، يخرج بالناس من عبادة الأله والواحد الأحد إلى عبادة الحاكم _ أياً كان _؛ والاستعباد لرجل الدين، تحت أي اسم يكون[151]، بينما نجد إنْ الإسلام السياسي لا يقر ما جاء به الإسلام، ويحاول دوماً البحث عن "كهنوت إسلامي" يكون مرجع ديني إليه يستشيره بأمور دنيوية، ويكون واسطة بينه وبين ربه للتوّسل إليه وتأديه مناسكه وشعائره

---

[149] د. عبد العروي، من ديوان السياسة، م. س، ص١٣.

[150] مقدمة: عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، م. س، ص٧.

[151] المستشار محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، م. س، ص٥١.

الدينية، وهو سلوك لا يخرج عن النظام الكنسي الذي عاشته أوروبا القرسطوية[١٥٢] أو أشد قسوة ومرارة من ذلك.

اذن فالإسلام ليس من تعاليمه الاستبداد أو القمع أو التسلط أو التوسط، وما مورس في مراحل التاريخ الإسلامي الماضية هي تصرفات رجال وزعماء وملوك الإسلام، وليس الإسلام بعينه، وتصرف الفرد لا يمكن أنْ ينسحب على الدين، فيقول الكواكبي إنْ الإسلامية مؤسسة على أصول الحرية برفعها كل سيطرة وتحكم بأمرها بالعدل والمساواة والقسط والإخاء والتحابب، وقد جعلت من أصول حكومتها الشورى والأريستوقراطية، أي شورى أهل الحل والعقد في الأمة بعقولهم لا بسيوفهم، وجعل أصول إدارة الأمة: التشريع الديمقراطي (أي الاشتراكي حسبما يأتي فيما بعد)، وقد مضى عهد النبي (عليه الصلاة السلام) وعهد الخلفاء الراشدين على هذه الأصول بأتم وأكمل صورها[١٥٣]، وهذا يدلل حرية الإسلام القائمة على أكبر قاعدة ألا وهي (لا إكراه في الدين) تدليل لحرية الإسلام واحترامه للآراء المتنوعة وإيمانه بالتعددية الدينية والسياسية (الحزبية) _ على ما هي اليوم عليه، لأن بالحقيقة لا تحزب في الإسلام، لكن

---

[١٥٢] بمعنى القرون الوسطى التي شهدت أوروبا دماراً لا مثيل له في التاريخ، حروب دينية مقدسة وهولوكوست محرم.

[١٥٣] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، م. س، ص٥٦.

الإسلام أمن بتلك الحرية في مضمار العمل السياسي، لأنه أدرك بإننا سنصل لهذه المرحلة من التراجع والانتكاسة إلى الوثنية _، أما ما يصدر اليوم من قمع ديني و"إرهاب ملتحي" إنما يعبر عن رأي جماعات وحركات تتخذ من الدين سبيلا، دون أنْ يوافقها هو الرآي والطرح الفكري، و"شورية الإسلام" هي أكبر صفعة لأولئك العلمانيين الذين يتهمون الإسلام بالتشدد والاستبداد بالرأي، وصفعة أكبر في وجهة الإسلاميين الذين يرفضون الديمقراطية رغم قبول الإسلام بها.

***

علاقة الإسلام بالإرهاب

يعتبر أتهام الإسلاميين بالأصولية هو تدليل كافي على انتماءهم للإرهاب وفق السيّاقات الغربية، التي تكيل الكيل بمكيالين، من جانب هم _ أي الغرب الاستعماري _ أكبر داعمي المنظمات

الأصولية (الصهيونية والمسيحية) وهم المروجين لأفكارها، ومن جانب أخر هم من أشد الرافضين والمعارضين للأصولية الإسلامية بما هي العودة للأصول والمنابع الحقيقية لدولة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين (رضي الله عنهم)[154]، ولا ندري لماذا هذه الإزدواجية في التعامل وفق الأطر الحركية، فالأصولية _ كما يراها فرانسوا بورغا _ إنها هي الإسلام السياسي ذاته، وهي كلام ينسجم مع الرؤية الغرب الأورو _ أمريكية بشكل تعميمي؛ إنْ الأصوليات متشابهة، وهذا التشابهة يجب أنْ ينسحب على جميعها، لا الإيمان ببعض والكفر ببعضها الأخر كما تعمل بها السيّاقات الأورو _ أمريكية؛ فإذا كانت الأصولية وجه الأرهاب؛ فيجب اعتبار الأصولية المسيحية واليهودية هي أصل الإرهاب، لأن الأصولية بالأساس هو مفهوم غربي لا إسلامي.

وكما يقول الدكتور مصطفى محمود يجب ألا نخلط بين الإسلام السياسي والإرهاب، فالإسلام يقوم كله على الحرية ويرفض الإكراه بجميع صوره[155]، والإسلام السياسي ليس إرهابياً _ كما

---

[154] لكنهم يقبلون بأصولية على النمط الكنسي الكاثوليكي فقط، حتى تتساوى مع إسلام الرسول، لتبدأ مرحلة التنكيل بالإسلام على أتم الوجه.

[155] د. مصطفى محمود، الإسلام السياسي، م. س، ص٢١.

يصوره الغرب الاستعماري _؛ وإنما شاء فعل ذلك ليؤكد فرضيته من التخْوف من الإسلام.

فما يُمارسه الإسلاميين لا يُمثل جوهر الإسلام بالمرة، وإنما هو فعل وسلوك فردي قائم على رد العدوان الغربي على ديار المسلمين، لكن هذا الرّد تخللته لمسات تجسسية تأمرية، بمعنى إنْ مقارعة الاحتلال الأمريكي في العراق كانت بادئ الأمر مقاومة وطنية شريفة قامت بها أغلب أطيّاف الشعب العربي، وحينما أستشعر الجيش الأمريكي بهزيمة نتيجة للضربات المدوية والدروسة البطولية التي علمها إياهم رجال المقاومة في العراق، لم يكن بوسع أمريكا إلا زرعة الفتنة والبلبلة لتشويه صورة المقاومة فقامت بدّس عناصر إسلاميين وتحويل المقاومة إلى جهاد، ومن ثم إلى أعمال أرهابية عدوانية، والهوة واسعة بين المقاومة والجهاد، الأولى أعمال مسلحة يقوم بها وطنيين مدنيين يؤمنون بالحياة المعاصرة، والثانية أعمال جهادية من اختصاص الإسلاميين يؤمنون بعودة الخلافة والحكم الديني؛ فأبرز القضايا التي يسعى الغرب إلى الخلط بها هو الخلط عمداً بقضية الجهاد والإرهاب، فيحاولون ترسيخ فكرة إنْ الدين الإسلامي إرهابي بطبيعته، وإنْ كل مسلم إرهابي بإيعاز من دينه[١٥٦].

---

[١٥٦] إبراهيم نافع، جنون الخطر الأخضر، م. س، ص٩٠.

فربط الحابل بالنابل، كرّبط الإسلام بالإرهاب هو قضية مؤامرة عنصرية عدوانية الغاية منها ضرب الإسلام الحقيقي من خلال دعم الإسلام السياسي وتنشيط خلاياه وتفعيل خدمتهِ حتى يوضع العظم في أفواهنا، ولا نستطيع الدفاع حتى عن ديننا أو براءته وهذا هو قمة الإذلال والتخلف، إننا أصبحنا عاجزون عن الدفاع عن قيمنا وإسلامنا وهناك ملتحين ومتديين يمارسون ذبح الناس والتكبير على اعناقهم وشعار (لا إله إلا الله) وراءهم، صرّنا نخجل من أنتسابنا لهم أو أنتسابهم لنا، لكن في النهاية يجب أنْ يعي الغرب (المحكومين) بإن الإسلاميين العنفيين لا يُمثلون إلا أنفسهم بشخصهم فقط.

***

صناعة الخوف

ليس هناك من شك إنْ صناعة الخوف من الإسلام في العقلية الغربية هو صناعة أمريكية بامتياز، بل هو ماركة غربية استعمارية مُسجْلة، بعد إنْ عجزت من إيجاد ثغرة في الإسلام الرسوّلي تدخل

فيها ميكروبات التمزيق وفايروسات الإرهاب، لأنه دين جاء على أتم وجه، غير منقوص، أو مثّلوم، أو تشوبه شائبه، فهو خاتم الرسالات حوى على كل ما نقص الديانات التي سبقت الإسلام (المسيحية واليهودية وغيرها) الأمر الذي دفعت الدوائر الاستعمارية إلى البحث عن بديل يلعب دور الإسلام شرط أنْ يكون بديلاً متوافقاً مع أطروحات الغرب ويتماشى مع سياسة الاستعمار وأطماعه في المنطقة العربية الإسلامية.

وبدلاً من تبني نهج سليم للتعامل مع الإسلام، حيث عمد الخبراء ذوي الخلفيات الأمنية على اتخاذ الطريق الأسهل والأقصر بوضع الإسلامين جميعاً في خانة واحدة وتصنيف واحد، فنظروا إلى الخلف وصنفوا الإسلاميين المعتدلين على انهم التيار السائد من خلال رؤيتهم إلى تنظيم القاعدة[157] وهم بذلك صعبوا المهمة عليهم وجعلهم يتخبطون بين إسلام حقيقي يعنف كل انواع التطرّف وبين إسلام سياسي باركوا في صناعة أيديولوجيته إنْ لم يشتركوا في بناءه وتكوينه بشكل مباشر وفعلي ناجز؛ وبذلك تم تحويّل الإسلام الدين إلى الإسلام الأيديولوجيا وسط هتافات وتصفيق وهلاهل واهازيج شيوخ المودرن ومريديهم من الجماعات الإسلامية التي تنظر إلى السلطة والحكم من ثقوب ضمائرها.

---

[157] د. فواز جرجيس، الإسلام السياسي وأمريكا، م. س، ص٣٢.

الإسلام الأيديولوجي

هنا نتساءل لماذا يطرح الغرب مفاهيم من قبيل الإسلاموفوبيا، الرّهاب الإسلامي، المْد الإسَّلامي، الفاشيَّة الإسلامية، النْازية العَرَبيّة، الخَطّر الأخْضّر، الخَوُف من الإسلام، العدو القادم، الإرهاب الإسلامي وما إلى أخره من التلطيخات والتسويقات والتشويهات؟؟

ليس هناك من شك إنْ الغاية من وراء ذلك هو إنْ الغرب يريد أنْ يُصدع الإسلام في نفوسه مريديه ومعتنيقة ويزعزع الإيمان في خلجاتهم، فيرّتدوا إلى الأعقاب التي صورها لهم الغرب بأن هذه الأعقاب عبارة عن ـ سياحة في منتجعات أمريكية عارية، أو ملاهٍ ومراقص فرنسية وطواحين هولندية ـ، ويبث الرعب في قلوبهم ويثير مخاوفهم على عدو مفترض، لا وجود لهذا الخطر على أرض الواقع الملموس؛ إلا في قصص الخيال الوهمي والرويات المبتسرة التي تقرأ التاريخ بالمقلوب.

ومن هنا فالغرب، كما الحركات الإسلامية المتشددة يريدون إنْ يحولوا الإسلام إلى "مصدر رزق" و"بازار للمتاجرة والمرابحة" به ومن خلاله، فيتحول إلى سلعة قابلة للمساومة وللبيع والشراء، حسب رغبات الأخرين، وإنْ أخطر ما يمكن أنْ يواجهه الإسلام؛ هو تنامي خطرين بالغين:ـ

أولها: تحويل الإسلام إلى أيديولوجيا خاصة.

ثانيهما: تحويل الإسلام إلى سياسة فقط، وتجريد الدين والحضارة عنه.

في وقت إنْ الإسلام لا يمكن حصره في عقيدة أو حزب، ولا يمكن تحويله إلى وسيلة شيئية هامشية باسم السياسة وفعلها ومهمازها الدنيوي، لأن الله (عز وجل) أراد للإسلام أنْ يكون ديناً، وأراد به انْ الناس أنْ يكون سياسة١٥٨، نحن هنا لا نستبعد الدّس الماسوني والغربي من تحويل الإسلام إلى مجرد عقيدة سياسية، تتساوى مع الليبرالية والرأسمالية والاشتراكية، وبهذا يصبح قابل للتقديم والتأخير، قابل لنقده ونسخه واقصاءه حسب المصالح والمطامح التي يقف وراءها الغرب الاستعماري الذي ينشد إسلاماً سياسياً، أيديولوجياً يحل محل الإسلام الكلاسيكي، حتى يتمكن من عزل وتجميد المشروع الحضاري والنهضوي للإسلام، لأن هذا الإسلام الايديولوجي بحكم الضرورة سيكون اداة طيعة بيد الغرب، ويصبح آله تحركها انامل الهيمنة الغربية كيفما تجد المصلحة في ذلك.

---

[١٥٨] مقدمة: المستشار محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، م. س، ص١٧.

الإسلام في ثقافة التسييس

تُشكل عملية تسييس الدين واحدة من أهم المشاكل التي يواجهها الفكر العربي المعاصر، وهي بحد ذاتها نقطة خلاف، بين المفكرين العرب، لم تحسم لأي طرف حتى اللحظة، لكن أهم ما يمكن قوله بهذا الخصوص، هو إنْ المتضرر الوحيد من هذه الخلطة السحرية (تسييس الدين أو تديين السياسة) هو الإسلام وحده دون غيره، لإن السياسة ليس لديها ما تخسره.

وأن الغاية من تسييس الدين أو تديين السياسية هو ليس إلا محاولة لاتخاذ اسماء تستهوي قلوب العامة وتمنحهم مساحة واسعة من التستر بصحيح الدين لتضليل الناس واستبعاد مخالفيهم من الساحة الإيمان١٥٩ وإنْ الإسلام أكبر من أنْ يُختصر بسياسة أو بفعل دنيوي، أو منظومة أيديولوجيا خاصة؛ ولا يمكن أنْ يتبلور ببرنامج حزب سياسي مهما كانت درجته الإيمانية وصحة عقيدته وسلامتها، فالإسلام لا يُعلى عليه شيء، إنهُ منزّه ومُترّفع عن كل الأعمال الدنيوية مهما بلغت درجة نبلها وصدقها، وهنا يجب أنْ توضع خطوط حمراء بين المقدس والمدنس خشية على المقدس من تلوثه بالأعمال الدنيوية التي غالباً ما يتم تأليها، وأهلتنها بما تتوافق

---

[١٥٩] رفعت سعيد، التأسلم: فكر مسلح، م. س، ص١١.

مع رغبات رجال السياسة المعممين، وهو الأمر الذي يؤثر سلباً على الدين دون المتدينين أو القائمين بأعمال التسييس.

بمعنى "إن تسييس الدين أو تديين السياسة لا يكون إلا عملاً من أعمال الفجّار الأشرار أو عملا من أعمال الجهال غير المبصرين ، لأنه يضع للانتهازية عنوانا من الدين ، ويقدم للظلم تبريرا من الآيات ، ويُعطي للجشع اسما من الشريعة ، ويضفى على الانحراف هالة من الإيمان ، ويجعل سفك الدماء ظلما وعدوانا ، عملا من أعمال الجهاد"[١٦٠]، وأنْ التسيِّيس لا يخرج عن دائرة الإيديولوجيا الخاصة، وهذه الإيديولوجيا ستكون هي سبب تراجع قيم الإسلام الكلاسيكي الحقيقي، مقابل صعود مُبهر ومفاجئ لإسلام مُحدث ومبتدع يريده الغرب من أجل إثبات صحة نظرية المتعلقة بالإسلاموفوبيا (الرّهاب الإسلامي) والتأكيد على صحة طروحات الخوف من "الخطر الأخضر" لكن المؤلم أنْ يتبنى هذه النظرية المغالط فيها عند الغرب، أُناس من داخل المنظومة الإسلامية ومن عُمق المؤسسة الدينية، ومن جعبتها بوعي أو بدون وعي، عن قصد أو دونه، لتتلاقى اهداف الغرب وشيوخ المودرن على السواء في بوتقة واحدة، الأمر الذي يزيد من حظوظ الغلط بالدين الحقيقي؛ ويُطمْس معالم الإسلام المُبكر.

---

[١٦٠] المستشار محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، م. س، ص١٧.

وبالرغم من أنْ تيار تسيَّيس الدين بالقوة والإرغام يريد أنْ يُسبغ عصمة على أعمال قادته _ مرشدين أم أمراء أم رؤساء أو وعاظ أو دُعاة _ وأنْ يجعل حكمهم نهائياً لا راد له، وتقديرهم مُطلقاً لا مطعن عليه، زعماً بإن حكمهم حكم الله الذي لا يخطئ، وأن رآيهم هو نور الله الذي لا يزل[١٦١]، وانهم يرفضون بشريتهم، ويرفضهم نقدهم أو رّدهم أو عدم قبول فكرتهم، فأينهم عظمة تلك القاعدة الثابتة (لا إكراه في الدين)، وأينهم من كم هائل من سور وآيات القرآن الكريم التي تدعو للسماحة والوسطية والإخاء والتآخي والمودة والمحبة، والأحاديث النبوية الشريف التي تدعو لأحترام الاخرين رأياً وجسداً، إنْ الأمر بالغ الخطورة، ويضع الإسلام في مأزق لا يُحسد عليه، يتمناه له خصمه قبل صديقه، ويضع الحجة القوية بيد دعاة الإسلاموفوبيا لإثبات صحة نظريتها المتمثلة بالخطر الأخضر القادم من بلدان الشرق الأوسط إشارة إلى الإسلام وعروبته.

***

عودة الأسلاموفوبيا

أتساءل هنا ...

---

[١٦١] م. ن. ص٦١.

لماذا نضع السوط بيد الخصم ونتوسل الجلاد أنْ يدمغنا، أنْ يجلد ذاتنا، أنْ يُعزر كرامتنا، أن يُقيم الحد علينا؛ أنْ نتوّسله في تعميق جراحنا وصلب ضمائرنا بسيّاط الكهنة؟؟

أننا بعودتنا السلبية إلى التاريخ والحنين إلى الماضي؛ بهوجاء، والشد إلى قدامْته أمر لا تفسير له إلا معنى واحد هو رجوع العرب في زمن تقدم به الأخرون، لفشلنا في مواكبة الحاضر وتقديم مشروع نرّتقي به نحو الأمام، ومن هنا يولد فينا سؤال النهضة "القديم _ الجديد": لماذا تأخر العرب والمسلمون وتقدم الغرب أو الاخرون؟

بمعنى إنْ الغرب الأورو _ أمريكي يسعى إلى النيل من مكانة الإسلام وحضارة العرب، فهو لم يبتدع العولمة إلا ليتساوى فيها الأصيل واللقيط، الرفيع والوضيع، لأن أمريكا دولة لقيطة ووضيعة لا أرض لها ولا تاريخ، مُفتقرّة للتاريخ المجيد، بل إنْ تاريخها لا يختلف عن تاريخ الصهيونية في فلسطين مبني على السطو والإغارة واستعباد شعبها الأصلي، وتسيّيد العبد وتَعبيّد السيد، فهي تشعر بالنْقص في ذاتها، فاختلقت العولمة ليتساوى من عمره لا يتجاوز المائتين سنة مع من عمر حضارته تضرب بجذور التاريخ منذ ألاف السنين، ويبذل الممكن من أجل دخولنا العولمة سواء بالترغيب أو بالترهيب (الأداة والسوط)، ومن هنا تطلب منا المْمانعة العربية للدخول في عصر العولمة إنْ لم نضبطها بشروطنا الأساسية، في الوقت الذي يسعى

الغرب إلى تسخير كل طاقاته إلى التنكيل بالإسلام وتشويه صورته والحط من قدره، ومساواة العرب بالتخلف وتشبيههم بالإرهاب والتطرف، نجد _ للأسف الشديد _ تماشي تصرفات وسلوك العديد من العرب والمسلمين مع التوجه الغربي الداعي إلى هدم الإسلام من خلال اعترافهم بأعمال العنف والارهاب وإظهار صور القتل وتبني عمليات ذبح المواطنين وتفخيخ الأسواق وتفجير دور العبادة، وهي صوره يصنعا الإسلاميين ويجْملها ويريدها الغربيين ونشرها على وسائل الإعلام لتبرير "نظرية الخوف من الإسلام"، أو الخطر الأخضر؛ كمفهوم متدّاول في الأوساط الغربية، وبهذا فقد تساوى الإسلامي الرادّيكالي مع الغربي الذي يريد الطعن بالإسلام، وهو فِعل بمثابة إنْ ألقى الخصم الحجة علينا.

معنى إننا لو نجادلة أو نبهالة سيرد علينا بالقول إنتم مسلمون؛ وهذه تصرفاتكم وهذه سلوكياتكم، ما دخلننا نحن بني الغرب، وهذه عمليات القتل على الطريقة الإسلامية والتكبير باللغة العربية لغة قرآنكم ونبيكم ولغة الجنة التي تدعون الناس إليها؛ كملاذ أمن من سقر، وهو بذا لا يمكنه إسكاتنا نحن عوام المسلمين ونخبهم وكوادرهم التي تحمل قيم الإسلام محمل الحقيقة، لأن التصرفات العنفية التي يقوم بها بعض المحسوبين على الحركات الإسلامية لا يمثلون إلا أنفسهم، بل إنْ الكثير من زعماء الحركات الإسلامية

يرفضون هكذا أعمال عدوانية، إلا إنها اجتهادات شخصية تمثل صاحبها فقط ولا يمكن أنْ تنسحب لباقي عناصر الحركات أو تنسحب على الإسلام ككل.

الحركات الإسلامية تمثل نفسها فقط!

من المؤكد إنْ الحركات الإسلام نشأت بالأساس _ كما يرها الكاتبان راي تاكيه ونيكولاس غفوسديف مؤلفا كتاب "نشوء الإسلام السياسي الراديكالي وانهياره" _، كردّ فعل على الاضطرابات السياسية والاقتصادية التي تسببت بها العصرنه والتحرر والممارسات القمعية للسلطة الحاكمة١٦٢، وإنها نتاج عوامل داخلية وخارجية أخرى، كلها تبلورت ودفعت إلى بروز الظاهرة الإسلامية.

وأنْ الغرب مقتنع تماماً إنْ ما تقوم به الجماعات والتشكيلات الدينية من أعمال مسلحة هو ليس فعل الإسلام، بل وإنْ الدوائر الغربية على يقين تام بذلك، وإنها موقنة أكثر بإن هناك فرق شاسع بين الإسلام والإسلام السياسي المعمول به اليوم في حياتنا اليومية من تصرف وسلوك إلى عمليات تفجير وقطع رؤوس رعايا ومواطنين، لكنها تتغابى ذلك، فتدعي إنها لا تعرف!

---

[١٦٢] أبراهيم غرايبة، "قراءة في كتاب: نشوء الإسلام السياسي الراديكالي وانهياره"، م. س، ص٥٨.

وربما إنْ الغرب يدرك تماماً الفرق بين الإسلام والإسلاموية أو الحركات الإسلامية أكثر من المسلمين ذاتهم الذي يهتمون بكتب الطبخ والمجلات الثقافية والخلاعية وتفسير الأحلام أكثر مما يهتموا بالكتب التي تفقهم بأمور دينهم ودنياهم، الكتب التي تنمي الذاكرة وتروض العقلية البربرية السائدة لدى الفرد العربي الحائز على جائز أفضل عقل جامد ومستهلك وعدمي.

وهناك حقيقة يجهلها الغرب ألا وهي لو اننا احصينا ضحايا الاعمال المسلحة التي يقوم بها الإسلاميين أو الميليشيات والجماعات ذات الجذور الدينية لوجدنا إنْ غالبية الضحايا هم من العرب والمسلمين، فأين هو العداء العربي والإسلامي للغرب الذي تدعيه منابرهم وخطاباتهم وورشهم ومؤتمراتهم الصحفية، ثم إنْ الجماعات الإسلامية الراديكالية في كل العالم العربي والإسلامي لا تشكل نسبتها أكثر من ١٠% من نسبة العرب والمسلمين في مجموع العالم الإسلامي، فكيف يُعمم الغرب كراهيته على العرب والمسلمين وقرابة ٩٩% (المتبقي من العرب والمسلمين) منهم هم لم ينخرطوا في صفوف الجماعات الإسلامية المتطرّفة، بل وإنْ الكثير منهم بين مبتعث للدراسة في الجامعات الأوروبية وبين سائح عربي منبهر بالثقافة الغربية وبين مقيم للعمل ومهاجر للعيش هناك، فعلى الغرب أنْ يراجع نفسه إزاء العرب والمسلمين وتغيير نظرته لهم، وأنْ يدرك

جيداً إنْ الهولوكوست هو مصطلح غربي أوروبي وليس مصطلح عربي إسلامي، ظهر في أوروبا ولم يظهر في الشرق العربي، وإنْ الحروب الدينية المقدسة مصطلح كنسي بابوي أوروبي وليس مفهوم ذو معنى أو أصل في أدبيات التاريخ العربي الإسلامي، وإنْ مفهوم المافيات والعصابات في شوارعِ أمريكا وحدها تساوى العصابات والمافيات في كل العالم العربي الإسلامي، وهو الأخر مصطلح غربي لا إسلامي؛ وهذا يعني إنْ الإرهاب هو صنيعة أوروبية وليس منتوج إسلامي، وإنْ الإسلاميين عندما يقودون عمليات انتحارية (أو استشهادية في مفهومهم الجهادي) إنما يمثلون أنفسهم فقط لا يمثلون عامة العرب والمسلمين، فهل بإمكان الغرب أنْ يتخلى عن أعمال الكيان الصهيوني العدوانية ومجازره واعماله الإجراميَّة في حق الشعب العربي الفلسطيني، الجواب لا أظن ذلك لان كليهما (الكيان الصهيوني وأمريكا) هما دولتان تتشابهان في إنهما اغتصبا أرض وشعب ليس لهما فيها حق، واستعبدا شعوبهما؛ وإنْ زوالهما لا بد أنْ يحدث حتى تعيش البشرية بسلام، لهذا كلاهما يدافع عن حق الاخر، وكلاهما يبحثا عن عدو مفترض لتبرير غزوهم الهمجي للعالم فلم يكن عدواً مفترض غير الإسلا

الإسلام والديمقراطية: جدّل الزمان والمكان

أكثر ما يحدد علاقة الإسلام بالغرب، أو الإسلام بالعالم الأوروبي المسيحي هو موضوع الديمقراطية، الذي أصبح يعني في كثير من معانيه ومفاهيمه اليوم بإنه كلمة حق يُراد بها باطل، بمعنى إنْ الغرب الذي يتحجج علينا بالديمقراطية، وهو بالأساس غير راغب بـ "مقرّطة" العالم العربي الإسلامي، وإنما يتخذ منها وسيلة لغاية اتفه منها، أي التحكم بمصير ومستقبل الأمم والشعوب بقدر أكبر من خلال الضخ الاعلامي لقيم المقرطة[١٦٣] كحجة ودليل ليس إلا، فالغرب _ كما أسلفنا الذكر _ قد استثنى العالم الشرق أوسطي (العرب والمسلمين على وجه التحديد) من موجة المقرطة لغاية في نفس يعقوب لا تخرج من الرغبة الغرب الاستعمارية من ابقاء الشعوب الإسلامية متأخرة وقابعة تحت وطئه الاستبداد والعنف والتخلف.

والحقيقة التي يغفلها الغرب كما الإسلاميون المتشددون هو "أن الإسلام لا يمكن أن يكون خصما للديمقراطية.. فالانتخاب والبيعة والشورى والاستماع الى رأى الخصم هو صميم الاسلام،

[١٦٣] رغم اننا نعتقد ان المقارنة بين الإسلام والديمقراطية هي مقارنة غير صحيحة ومغالط فيها، لأنها مقارنة بين مفهومين متناقضين بالمعنى والتعريف والاصطلاح، فالإسلام دين سماوي، والديمقراطية نظام سياسي، فكيف يتم المقارنة بين دين ونظام، إن الأمر مثير للجدّل، ونحن نعتقد برآينا البسيط إن من الأفضل الحديث عن إسلام ومسيحية أو إسلام ويهودية، أو الحديث عن استبداد وديمقراطية.

والتعددية في الرأي أساس في الاسلام جملة وتفصيلا"[١٦٤] لكن هذا المسوغ لا يروق للغرب ولا يستسيغون سماعة أو الترّويج له، فهو يريد إسلاماً جامداً مُنغلقاً، حتى يتذرع في التدخل بشؤونه.

فالديمقراطية هي أولى مطالب المسلمين بما هي ضرورة لحفظ تماسك المجتمع المسلم وحل خلافاته[١٦٥] وبكونها المناخ الأصلح للتنمية والإنتاج[١٦٦]، من خلال برنامجها الهادف التغيير الذي يحقق الأفضل والأحسن فيما يتعلق بقضية الفرد، إذ لا نجد فروقات جوهرية بين ثنائية (الإسلام والديمقراطية) فالإسلام دين ديمقراطي وإنْ اختلفت الألفاظ والشكليات إلا أنْ الجوهر والمضمون هو ذاته، فالشورى في الإسلام مقابلة للديمقراطية في الغرب والمسيحية، والبيعة مقابلة للانتخاب، واستخلاف الخليفة مقابلة للتدّاول السلمي للسلطة، والمؤاخاة واحترام الاخر المختلف تعني فكرة المواطنة اليوم، وقاعدة لا إكراه في الدين هو اقوى حضوراً من مصطلح حرية الرأي والتعبير التي يقابلنا بها الغرب، وهنا نقول للغرب وللإسلاميين المُشككين بمقرّطة الإسلام، إنْ لم يكن

---

[١٦٤] د. مصطفى محمود، الإسلام السياسي، م. س، ص٩.

[١٦٥] د. عبد الوهاب أحمد الأفندي، الإسلام والدولة الحديثة، م. س، ص١٧٩.

[١٦٦] خالد محمد خالد، لو شاهدت حوارهم لقلت، ط١، (القاهرة: دار المقطم للنشر، ١٩٩٤)، ص٤٧.

الإسلام ديمقراطي هو دين استبدادي بنظركم، لأن نقيض الديمقراطية الاستبداد والدكتاتورية، وهذا تنكيل وضرب للإسلام في الصميم، وهي فكرة نرفضها بكل الوسائل المُتاحة والممكنات المتوفرة، وإنْ أعظم فترات الحكم الإسلامي كانت بالتحديد تلك التي كان فيها التطور البنيوي والفكري الإسلامي ديمقراطياً بحتاً١٦٧، فالإسلام لم ينتشر ويتطور ويزاحم أكتاف أوروبا لو لم يكن ديمقراطياً في جوهره؛ والإسلام لم يقوم على "نظرية السيّف" وإنما على نظرية "الدعوة الحسنة والرحمة والاخلاق".

وهنا للمسميات الإسلامية مقابلات حداثوية بمثابة مُرّادفات في قاموس الفكر السياسي الإسلامي تقابل المفاهيم والمصطلحات في الغربي الأوروبي حيث إنْ: الشورى (الديمقراطية)، والبيعة (الإنتخاب)، الرئيس (الخليفة)،القانون الوضعي (الشريعة الإسلامية)، الدولة المدنية (الدولة الإسلامية)، البرلمان (أهل الحل والعقد)، وغيرها من المفاهيم ذات العلاقة التي تتراوح بين سيّاقات الأصالة والمعاصرة، ولا يمكن تغافلها أو مجافاتها فهي حقائق الدين الإسلام.

---

[167] **Juliette Minces, The House of Obedience; Women's Oppression in Algeria (London; Zed Books, 1982).**

فالغرب غير راغب في "مَقرّطة" العالم العربي والإسلامي بالمرة، فقد ازعجته النجاحات التي حققتها الديمقراطية بفوز الإسلاميين في انتخابات الجزائر عام ١٩٩٢، وفوز حركة حماس بأغلبية الأصوات في فلسطين عام ٢٠٠٥، والشواهد كثيرة، بمعنى إنهُ لا يُريد ديمقراطية تُجيء بالإسلاميين إلى السلطة، إنما يُشجع الديمقراطية التي تُقصي وتمنْع الإسلاميين من الوصول إليها، بل وإنمْا يتبجْح في إنها راعية وراغبة لمقرّطة العالم العربي الإسلامي؛ لكن الواقع مختلف تماماً، بل إن الغرب يُريد عالماً عربياً إسلامياً ديمقراطياً تحررياً على النمط الأمريكي العولمي، عالماً انبطاحياً راضخاً لقيم الحداثة الأمريكية والتسويّق المجاني لفقه العصابات؛ وقابلاً للإندماج في عولمة الحضارات الغربية وفي دائرة الشرق الأوسط الكبير بصفة تابع وخانع وذليل؛ يكون مركزه ومقره في "ذيّل القوائم" وعلى الدوام، لكن هل ستسمر تلك الاستراتيجية الأمريكية في النظر إلى الإسلاميين بدون تنمْيط جديد لها وطرح مغاير لأسس تلك الأستراتيجية.

لقد تغيرت الاستراتيجية الغربية عن هذا النسق بعد احداث غزوة مانهاتن وأحتلال العراق وصعود حركات الإسلام السيّاسي بعد موجْة ثورات الربيع العربي، فأصبحت الولايات المتحدة تتخذ مَنحْى سياسة جديدة تراعي تعاملها مع الجماعات الإسلامية وتقبل بها في السلطة لكنها تعمد على إفشالها لتبرير للعالم إنْ الإسلام لا يمكن

أنْ يؤسس لدولة، وإنْ الإسلاميين ما زالوا "معوقين" من قبول الديمقراطية والحداثة، وإنْ الإسلام لا يصلح؛ كمنهاج للحياة، وإنْ الإسلام عاجز عن مواكبة التطور وإدارة نفسه بوسائله (البدّائيَّة) المتاحة.

الديمقراطية: أكذوبة العصر

في العام ١٩١٥ غزت الولايات المتحدة جزيرة هاييتي من أجل إحلال الديمقراطية فيها، وربّطتها بموجة من القيود الاستعمارية، وأصبحت تُدار من قبل أحد قادة المشاة البحرية الذي عينه وزير البحرية _ انذاك _ روزفلت قبل أنْ يكون رئيساً لأمريكا لثلاث ولايات، وبعد تسعين عاماً من الإدارة الأمريكية لهاييتي فإن ٧٠% من ابناءها يعانون من البطالة، وانتشار الأمية إلى حاولي ٥٥% ، وجموع غفيرة تعيش خط الفقر والعوز والفاقة[١٦٨]، والمشهد كثيراً ما يراودنا هاجسه في الحالة العراقية التي تشهد وضعاً إنسانياً مأساوياً أشد ضحالة وضراوة عما هو عليه في هاييتي بسبب الهيمنة الأمريكية على مقدورات الشعوب العربية والإسلامية من خلال حزّمة السياسات الكولونيالية.

---

[١٦٨] عبد الحي يحيى زلوم، حرب البترول الصليبية، م. س، ص٩.

نحن نعتقد _ هنا _ إنْ الديمقراطية _ فيما يخص الدول ذات الموروث الاستعماري والنزّعة العدوانية _ لا معنى لها إنْ لم تتأتى مقترنة بأيديولوجيا خاصة أو عقيدة سياسية ما، وهنا فالديمقراطية تساوى مفهوم الأقليات وحقوق الإنسان؛ كشعار يرفعه الغرب من أجل إذلال العرب والمسلمين والهيمنة على مقدوراتهم وثرواتهم، هل تظنون إنْ الغرب الأورو _ أمريكي يريد ديمقراطية حقيقية لنا، أو إنهُ جاء عابراً للقارات والمحيطات مضحياً بدماء جنوده وهادراً لثرواته من أجل سواد أعين العرب، إنْ الإجابة على هذا السؤال منطقية وواقعية تحمل دلالات ثابته بإن الديمقراطية تحولت إلى "مشروع مقاولة" أو مُتاجْرة ربحْيَّة مُخْتبرها العرب وريّعها للغرب، نحن هنا لا نريد أنْ نتحدث عن أنواع الديمقراطيات وأشكالها، لكن فقط نُشير إلى الدول التي احتلتها الولايات المتحدة من أجل إحلال الديمقراطية فوق جماجم الدكتاتورية، .. أين هي الديمقراطية في العراق هو الآن من أسوى الدول وفق التصنيفات الأممية من حيث الأمن، والمسكن، والخدمات، ومن حيث حماية الأرواح، فأين هي الديمقراطية في شعب تفتك به الطائفية عرضاً وطولاً، ثم هل تحولت افغانستان إلى "باريس الإسلام" أو مدينة يرتادها السياح للإنجازات المبهرة التي احدثتها الديمقراطية الأمريكية فيها.

وأكثر إنْ الديمقراطية تعني دولة وسيادة؛ كشرط أساسي، وأنْ يكون الشعب يحكم نفسه بنفسه، فكيف تدعي أمريكا بإنها راعية الديمقراطية والحرية والسلام وهي دولة اغتصبت أرض ليس ارضها، واضطهدت شعبها الأصليين السود (الزنوج)، وصار الدخيل صاحب

الدار (!)، إننا هنا لا نتحدث إلا عن أكذوبة عصر وليس عن ديمقراطية بمعناها الكلاسيكي الأصولي.

خلاصة القول

ليس هناك من فعلٍ (أو رّدة فعلٍ) بوسع العرب أنْ يقدموه إلا إلقاء الحجة على غيرنا (الغرب)، بمعنى علينا أنْ نجْاهد من أجل التوّجه الكامل للديمقراطية، والإندماج في عصرها وقبولها، وفك رباط الممْانعة الإسلامية لها؛ لكن وفق الشروط الإسلامية والمقاسات العربية، حتى نفوت الفرصة على خصومنا المتعددين، ونلقي بكرة النار في مرماهم، حتى لا تبقى الديمقراطية في المفهوم الغربي تعني كلمة حق يُراد بها باطل، وأنْ تعني بالمفهوم الإسلامي تحمل التعريف ذاتها إزاء الغرب بالرّد عليهم على إنها كلمة حق يراد بها باطل، حتى يكفوا عن مهاتراتهم في التنكيل بالإسلام، لأن الإسلام ديمقراطي رغم أنف الجماعات الإسلاميَّة المتشددة والمتوافقة مع الأفكار الغربية الساميّة بالعنف والأضطهاد والهمجْية، وإنْ الإسلام تنبع ديمقراطيته من واقعه، وليس ديمقراطية دخيله، شيئية، هامشية، عابرة للقارات مجوقلة إلينا على ظهر الدبابات واجنحة الشينوك؛ فالإسلام هو دين الديمقراطية.

لأن الديمقراطية بحد ذاتها كفيلة برّد نظرية الإسلاموفوبيا إلى مُنظريها، ودعاتها، ومروجيها، وكفيلة بتبرير إنْ الإسلام دين مدني لا يمانع من الاستفادة من الحضارة الغربية ومن علوم الغير؛ إنْ كان فيها ما ينفعنا وينهض بواقعنا، من منطلق عدم وجود نْص ديني (قرآني) قطعي الدلالة يُحرم علينا التعامل مع الأخر (الغربي _ المسيحي _ اليهودي _ الهندوسي _ الكونفوسوشي وغيره)؛ والتاريخ الإسلامي عابق بالشواهد الإسلامية التي أكدت استفادة المسلمين الأوائل من علوم الغير في مجالات الادارة والتنظيم والبروتوكولات الخطابية وغيرها.

الفصل السابع

الإسَّلام والعَلمْانيَّة:

صِرَاع الإيَدّيوُلوجْيَّات

خطاب الأيديولوجيات

أكثر الكتابات والبحوث وورش العمل وأوراق المؤتمرات استخلصت لنتيجة شبه مقاربة ألا وهي إنْ أخطر أيديولوجية على الإسلام أو العقيدة الإسلامية هي العلمانية سواء جاءت مجردة كفكرة غربية، أو اقترنت بعقائد سياسية أخرى، كالماركسية، أو الشيوعية، أو الليبرالية، أو الرأسمالية أو القومية، وهو ما أشارت له كل الاستنتاجات والملخصات، وهي كمفهوم _ أي العلمانية _ مرتبطة ارتباطا وثيقاً بالتحديث في السيّاق الغربي، فالكثير من الجمود الذي اعترى أوروبا المسيحية في القرون الوسطى مرّده تسلط الكنيسة على الدولة[١٦٩]؛ وجورها على الناس واستفحالها في استخدام المقدس في غير موضعه.

وبعد خوضها الصراع الداخلي _ على مستوى القارة الأوروبية المسيحية _ وانتصارها على تعسف الكنيسة، لجأت لنجومية فكرية أوسع فكانت أولى محطاتها الخارجية هي الشرق الأوسط والعالم

[١٦٩] نزيه أيوبي، "أشكال الإسلام الحديث بين التعبير الثقافي والدور السياسي"، م. س، ص١٥.

العربي والإسلامي على وجه التحديد لأسباب عديدة، إلا إنْ الممانعة كانت أشد ضراوة، فمنذ قرابة أكثر من خمسين عاماً على الهجوم العلماني أو التحوّل العربي نحو العلمانية وهو يواجه _ حتى اليوم _ أكبر التحديات وتقف عاجزة من اختراق الجسد الإسلامي، لقناعة بعض العرب والمسلمين بإنها عقيدة وفلسفة دينية تناصب العداء للإسلام، وإباحية تعرّي الخلق العربي القويم ولا تتواءم مع الذائقة العربية، ونقول فشلت لأنها رغم قيام نظم حكم علمانية غير مباشرة أو صريحة بالنص _ أي منصوص عليها دستورياً بإنها عللمانية علناً _، إلا إنها فشلت أو وقفت عاجزة ويائسة من أدارة الحكم العربي وتحقيق تقدم ملموس على مستوى التنمية السياسية أو الاقتصادية، وهذا الفشل يؤكد رفضها على المستوى العربي، وعلى المستوى الإسلامي، أيضاً، الأمر الذي يدعو لمراجعة الفكر العربي المعاصر وتحديد مواضع الخلل فيه

أنْ رفض العلمانية أو ممْانعتها عربياً وإسلامياً يبررها المفكر حسن حنفي: "الاسلام دين علماني في جوهره ، ومن ثملا حاجة لعلمانية زائدة عليه مستمدة من الحضارة الغربية"١٧٠ فيرد عليه المفكر محمد عابد الجاري _ في نفس المؤلف _ بقوله: ليس في

---

[١٧٠] د. حسن حنفي، د. محمد عابد الجابري، حوار المشرق والمغرب: نحو إعادة بناء الفكر القومي العربي، ط١، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠)، ص٣٨.

الإسلام كنيسة حتى نفصله عن الدولة[171]، وإنْ كان المسجد أو الجامع يلعب دور الكنيسة في الإسلام، لكنه يلعب دوراً رمزياً فقط وليس روحياً، بمعنى إنْ المسجد لم يمارس ما مارسته الكنيسة إبان صراع المماليك والبابوات، وحتى ولو مارس الإسلام دور ديني فهذا من واجبه شرط أنْ يكون منضبط بشروط الإسلام وليس منضبط بشروط الكاثوليكية؛ كون الإسلام هو دين عبادات وين معاملات، وليس وقفاً للعبادات كما المسيحية.

لكن هذه النظرة لم تعد ذات معنى بعد صراع دامي بين أيديولوجيتين أحداهما تناهض الأخرى وتناصب العداء لها، سواء أكان ذلك العداء مفترضاً أو مجرد سجال إعلامي ومناورة سياسية لتحقيق مكاسب نفعية وشخصية من وراءها، وأخطر ما يواجه الإسلام اليوم هو الإسلام السياسي ذو العقيدة الراديكالية التي تستعمل نفس مصطلحات ومفاهيم وأدوات الإسلام، ولكن بطريقة مغايرة ومخالفة للإسلام الأولي وللنْص القرآني، وهذا هو العجز الأكبر بالنسبة للفكر الإسلامي المعاصر وهو أنْ تمارس نفس القيم وأنت أقل شأن ووزن من مقام أعلى من مستواك الثقافي أو السياسي أو الاجتماعي، فيقول ميشيل كامو إننا نراهن على عدم الخلط بين ظاهرة سياسية دينية نابعة من الظروف المحيطة بها، وبين ثقافة راسخة منذ أكثر من الف

---

[171] م. ن، ص٤٤

سنة١٧٢، فالبوّن شاسع والمفارقة كبيرة، ورفع الحواجز بينهما سيضر بالمقدس ولا يزيد المدنس إلا مكانه ورفعه لا يستحقها، كون الدنيوي والسياسي لا يملك شيئاً حتى يخسره لهذا تجده أول المدافعين والمقاتلين من أجل رّبط قيمه بقيم المقدس الديني، محاولة منه لنيل مكانة لا يمكن الوصول إليها أو نيلها بدون المقدس، وهنا "تتأشكل" الظاهرة الإسلامية بخلط متعمد من الدنيوي في الديني والانغماس في قيمه والتماهي فلا حواجز ولا موانع ولا فواصل بينهما.

إشكالية الأيديولوجيا

هي كلمة مركبة مكونة من كلمة (**Idea**) ومعناها فكرة، وكلمة (**logy**) وتعني العلم الخاص بحقل معرفي معين، بذلك يكون معناها علم الأفكار أي العلم الذي يدرس الأفكار من حيث نشأتها وأشكالها وقوانينها١٧٣، بينما يعرفها وليام بإنها ذو معنى واسع، فهو

---

[١٧٢] فرانسوا بورغا، الإسلام السياسي: صوت الجنوب، م. س، ص٣٠.

[١٧٣] أمين حافظ السعدني، أزمة الأيديولوجيات السياسية، ط١،(القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٤)، ص١٧.

يعني الثقافة السياسية١٧٤، فالمتعارف عن الأيديولوجيا إنها معتقدات دينية، بينما نجد البعض يضفي عليها صبغة سياسية فيرى انها معتقدات سياسية١٧٥، وهي "مصطلح مبهم"١٧٦ ولفظة ترجع في الأصل الى معناها اللغوي الفرنسي "علم الأفكار" وتختص بشؤون العقل والمعتقدات والشعوريات والحسيات أي إنها ترتبط بالذات والوجدانيات؛ وتعبر عنها وعما يختلج بداخلها، وهي أمور شخصية في ذات وتفكير الفرد.

وأول من أستعمل لفظ ايديولوجيا هو المفكر الفرنسي "دستوت دي تراس" عام ١٩٠٨ في كتابه "تخطيط لعناصر الأيديولوجية"، والشائع عن الأيديولوجيا _ بما هي مجموعة أفكار _ أنْ موضوعها ينصب على العلوم الإنسانية أو الفكر الإنساني١٧٧، كما إنْ لفظ "ادلوجة" في اللغة العربية على وزن "أفعولة" وجمعها اداليج أو

---

١٧٤ Oppenheim, A.H., Questionaire Design Measurement, Heinemann Education Books, London, 1978, p.9_10.

١٧٥ CliffordGeerts, Ideologies, p.11.

١٧٦ د. محمود إسماعيل، الإسلام السياسي بين الأصوليين والعلمانيين، ط١، (الكويت: دار الشراع العربي، ١٩٩٣)، ص١٤.

١٧٧ د. أشرف حافظ، أيديولوجيا النظم السياسية والإسلام، ط١، (عمان: دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩)، ص١٥.

ادلوجات، وادلوجي جمعها ادلوجيون[178]، والمعنى الاصطلاحي للأيديولوجيا يُشير إلى التوجيه المذهبي الكامن وراء ميول أو سلوك فرد أو جماعة أو طبقة حاكمة لتبرير قيم معينه في فترة تاريخية معينة[179].

وأنْ أخطر ما يصيب الدين (الإسلام) هو أنْ يتحول إلى أيديولوجية أو مشروع سياسي ربحي (تجاري)، وهو ما تسعى إلى ذلك الحركات السياسية ذات المرجعية الدينية من أجل تحقيق مكاسب الخلط الديني بالسياسي، فأدلجة الدين أمر بالغ الخطورة، يُفرغ الإسلام من محتواه الإيماني، ويجْوف روحانيته ورمزيته، ويتحول إلى دين بشري أو دين سياسي، وهو ما لا يتسق مع قيم الإسلام.

وإنْ الإسلام هو ليس أيديولوجيا كما هو مفهوم بتعريفاتها الحالية، وهو أكبر من فهم الأيديولوجيا، وأكبر من أختصارات السياسة، وأوسع من مفايهم الأحزاب وبرامجها، لكنها قد تكون مناسبة لمن هو منتم للحركات الإسلامية والأحزاب السياسية ذات المرجعية الدينية، إذ يرى كمل من "برونو ايتيان" و"محمد توزي": إنْ

[178] د. عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩)، ص٩.

[179] أمين حافظ السعدني، أزمة الأيديولوجيات السياسية، ، مرجع سابق، ص١٧.

مصطلح إسلامي جاء للتمييز بين الشخص المنتمي إلى تيار الإسلام السياسي وبين أي شخص ينتمي للدين الإسلامي[١٨٠] فالمسلم ليس أيديولوجي أو مؤدلج، لكن الإسلامي هو بحكم الضرورة مؤدلج ومنتم لعقيدة سياسية مرتبطة فيما بعد بعقيدة دينية؛ وهذه هي إشّكالية الإيديولوجيا في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر؛ كونها ترفع الحواجز عن الدين وتتركه مُشاع تترع في ربوعه السياسة والرجاسة والأحزاب والأعمال الدنيوية غير المُخصصة من الاقتراب من الدين.

العقيدة السياسية العلمانية

تعد العلمانية في فهمها العام بإنها عقيدة سياسية مرتبطة بقضية الديمقراطية جُزافاً وتهكماً، أو إنْ الديمقراطية هي أحد ابعاد العلمانية كما يراها البعض، وأخطر العقائد هي السياسية ذات المرجع الديني، لأنها تُخالط أو تضفي لذاتها وسلوكها تأليه وقداسة يُحرم على الأخرين إنتقادها أو طعنها أو رفضها، في حين الإسلام لم يدعي ذلك، ويرفض أية قدّاسة للبشر بعد الرسول محمد (صلى الله عليه

[١٨٠] فرانسوا بورغا، الإسلام السياسي: صوت الجنوب، م. س، ص٣٠.

وسلم) فالبشر في الإسلام سواسية، لا فضل لأبيض على أسود، وهذه هي الديمقراطية الفعلية المجردة من العقيدة السياسية الهامشية التي تنظر إلى الأمور بمنظار فئوي طائفي ضيق حبيس عقائد وطوائف مُصابة بمرض الخواء الأخلاقي والقيمي تعاني العزلة والتوّحد فتحاول الصعود إلى القمة من خلال ركوّب موّجة المُقدس، بينما يريد الغرب لنا ديمقراطية مبرّزة وفق المقاسات والتصاميم الأمريكية، ديمقراطية لا تناسب الجسد العربي مما يُظهر فجاجة المنظر وسوء القوام.

والحقيقة إنْ الديمقراطية التي ينشدها العقل الغربي الاستعماري، هي من قبيل بضاعتنا رُدت إلينا، لكن مرد مغشوش وصناعة رديئة وملوثة، ليس وفق المواصفات، لأن الديمقراطية ديانتنا وقد سبقناهم منذ ايام سيّدنا نوح (عليه السلام)[١٨١]، فالديمقراطية بما هي بعد علماني قد تصلح لحلحلة مشاكل الأمة العربية _ الإسلامية شرط إن تحدث علمانية للعلمانية، أي فصل العلمانية عن العولمة الأمريكية أو أي اقتران غربي تغريبي، وعندها ستجد العرب يتوافدون ويقبلون على تبضعها، كالسيّل الجارف فيضعون حداً فاصلاً للممانعة التاريخية للعلمانية.

الظاهرة الحزبية الدينية _ السياسية

---

[١٨١] د. مصطفى محمود، الإسلام السياسي، م. س، ص٩.

يُظهر لنا الواقع العملي أنْ الجماعة الدينية السياسية التي تجعل من اهدافها مقاعد الحكم، بحجة تطبيق أحكام أو مبادئ الإسلام إنما تتحول إلى حزب سياسي، ويتحول رئيسها من "مرشد" إلى رئيس حزب، وستلحق حتماً بالجماعة ورجالها ورئيسها المساوئ والمفاسد والشهوات التي يذكرها التاريخ في كل زمان ومكان عن الأحزاب السياسية ورجالها ورؤسائها[١٨٢]، بمعنى إنْ الإسلام يمكن أنْ يتحول إلى أيديولوجيا حزبية، لكن من الصعب أنْ يعود إلى سابق عهده المبكر، إسلام الرسول والخلفاء الراشدين، نتيجة لغياب الشروط الأساسية بذلك العصر والأكثر غياب شروط ومميزات "خليفة المسلمين"، فمن الشخص الذي من الممكن أنْ يكون خليفة مسلمين يُجمع عليه الشرق والمغرب، أو توافق على تنصيبه غالبية الحركات الإسلامية، أنا أشكك في امكانية الحصول على ذلك الأجماع ولو بالأغلبية البسيطة والمتواضعة لغياب أطر وآليات أختيار الخليفة ناهيك عن صفات الخليفة اليوم، أضف إلى ذلك غياب المعطيات التي من شأنها أن توفر نفسها، كأرضية مناسبة لبناء دولة إسلامية أو العودة إليها؛ أو لخلافة على نهج النبوة، فهناك مخطط كبير مزعوم يسعى إلى تقسيم هادئ للعالم العربي والإسلامي لتقسيم

---

[١٨٢] د. عبد الحميد متولي، أزمَة الفكر السَّياسي الإسلامي، تقديم: د. عبد الحليم محمود، ط٣، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥)، ص٢٨٤.

المُقسم وتجزئه المجزئ؛ والغريب به إنْ يظهر من عباءة إسلامية تُريد بناء رابطة إسلامية كبيرة وتوحيد مسلمي العالم من خلال تقسيم المدن إلى قبائل دينية وطوائف حزبية متصارعة لا متوافقة.

كما إن الإسلام السياسي كظاهرة أو دين جديد لم يستطع في أنْ يتحول إلى حزب مجتمعي، بل إلى أحزاب شعائرية طقسية تخضع لقانون التطوّيف، أي إلى أدوات إيديولوجية صوفية أو باطنية بيد العصبية الطائفية أو الأثنية، تختفي وراء شكلانية عالمية الإسلام١٨٣.

فحتى لو أمنا بنظرية الأحزاب السياسية ذات المرجعية الدينية وقبلنا بشروطها الموضوعية، إلا إْننا مُستحْيل أنْ نوقن بإنها هي الإسلام أو البعد السياسي للإسلام، إلا البعد السياسي للإسلام السياسي فقط، إذ لا وجود للأحزاب في الإسلام، أو لا تحزب في الإسلام، و"التحزّب" هو مفهوم لم ينزل به الله من سلطان، وإنما كانت نتاج فعلي لتراجع الإيمان وضعفه في نفوس معتنقيه، بل إنْ الأحزاب الدينية جاءت كردّة فعل لفشل تلك الجماعات وسقوطها السياسي المدوي، فراحت تصبغ جعد جدران هزيمتها بطلاء مُقدس وإضفاء طابع نبوّي أو إلاهوي على تصرفاتها، وفق شروط الكثلكة أو الثقرطة الأوروبية.

---

١٨٣ أبراهيم محمود، الفتنة المقدسة، م. س، ص٢٨٩.

ماذا لو لم يتعلمن العرب؟

أنْ العلمانية، كمفهوم جاءت في الذاكرة الإسلامية مقترنة بعصور الهيمنة الاستعمارية[١٨٤]، فماذا لو مر الاستعمار بدون ترسيخ أو استنبات قيمه وأفكاره من علمنة وحداثة وعولمة وديمقراطية، هل سيتفرغ العرب والمسلمين للبحث عن علمانية عربية _ إسلامية وفق المعطيات المتاحة لديهم، وهل ستنتفي الحاجة إلى ثيوقراطية، ويكف التيار الإسلامي الراديكالي من محاولات غرس بذرة الثقرطة في الأرض العربية الإسلامية ؟

أنْ الحقيقة المرة هو إنْ غياب العلمانية لن يقطع الطريق أمام بروز الثيوقراطية وقيامها في مجتمعاتنا العربية الإسلامية، وحضورها لا يغير شيئاً في المخيال العربي، فبرأيي إنْ الدفع بالعلمانية إلى العرب كان مخططاً له، وكان قميصاً مبزراً لظرف كان يحتاج إليه العرب، متأتي مع الهجمة الاستعمارية الغربية من أجل أستنبات قيم تتوافق مع المصالح الغربية، في وقت كان العرب يتوّقون للقومية التي استمد العرب جزء من شكلياتها أو تأثرهم بالفكر القومي الغربي الجرماني أو الفرنجي أو الطلياني، فكان اقتران العلمانية بالقومية أكثر حظوظاً من

---

[١٨٤] نزيه أيوبي، "أشكال الإسلام الحديث بين التعبير الثقافي والدور السياسي" م. س، ص١٧.

أقترانها بالفكرة الدينية (الإسلامية تحديداً) في المرحلة الأولى من توطينها، وحتى الى نهاية عصر أفول القومية العربية، فكان لزاماً على الهجمة الاستعمارية الجديدة أنْ تغير في استراتيجيتها الجديدة خصوصاً بعد قناعتها بفشل العلمنة والتحدّيث السياسي على النمْط الغربي وممانعة العرب للقيم الأوروبية، فلم تجد تكتيكاً استراتيجياً جديداً يتوافق مع رغبات الشارِع العربي والذائقة الإسلامية إلا الفكرة الدينية فكانت الثيوقراطية هي "الاستراتيجية البديلة" التي يمكن أنْ تضرب بها العلمانية، وتحلها محلها، اتساقاً وتماشياً مع السيّاقات والذائقة الإسلامية، فكان الإسلام السياسي هو المشروع الذي يمكن أنْ يحقق ويتوافق مع المخططات الغرب _ صهيونية على نبذ فكرة الأمة العربية على النمط القومي، والتنكيل الإسلاموي للعروبة والاستخفاف بها محاولة يائسة منهم للإطاحة بالقيم العربية السامية، ومن ثم دفع العرب إلى خوض حروب الإنابة عوضاً عن الغرب، فالعلمانية كانت خياراً عربياً لأن الموّجة _ أنذاك _ هي موجة مد قومي، أما اليوم فالثيوقراطية هي الوسيلة الأفضل غربياً لأن الاتجاه يسير متوافقاً مع مرحلة المد الإسلامي أو الصحوة الإحيائية، فالغرب دائما يتحاشى السير عكس التيار خصوصاً إذا كانت مصالحة تتطلب السير مع الموجة لا عكسها.

عيوب العلمانية

أنْ للعلمانْية، كأي ظاهرة أو مصطلح أو مفهوم مُحدث أو مُبتدع مزايا وعيوب، منافع ومضار، موجبات وسلبيات، وهو ما ينطبق على العلمانية التي من عيوبها، إنها عكس ما عملت به في الغرب المسيحي على جمع كل الملل والنحل والطوائف والأديان في بوتقة دولة قومية واحدة، كالقومية الجرمانية في دولة ألمانيا، أو القومية الفرنجية لدولة فرنسا، وإنْ تم ذلك بإعادة تقسيم واقتطاع بعض الأجزاء من الدول ولحمها بدولة أخرى، إلا إنْ هذا التقسيم والاقتطاع جاء من صالح أمن وسلام القارة الأوروبية وليس على حساب سلمها وأمنها، في حين عملت العلمانية العربية أو الوافدة للعرب على ممارسة نوع من الاستبداد العرقي باسم القومية واضطهدت وهجرت واستباحت وقمعت وشتت باسم القومية، والحال لا يختلف عنه بالنسبة للتيار الاشتراكي أو الماركسي أو الليبرالي وحتى الإسلامي، بمعنى إنْ العلمانية عند العرب زادت من تفككهم وتمزيقهم لا أنْ تعمل على لم شملهم، _ وإنْ حاولت ذلك في وحدة مصر وسوريا، ووحدة مصر والعراق وسوريا، ووحدة اليمن الشمالي والجنوبي إلا إنها محاولات فشلت من الاستمرار أو التوسع لأسباب داخلية لا شأن للخارج فيها لأن الخارج اصلاً لا تعجبه الوحدة من أمها _ كما هو مطلوب منها، ومن عيوبها الأخرى إنها استخدمت الدين من جانبين أو حدين، الأول: إنها حجرت الدين وعزلته في المؤسسة الدينية الحكومية المنضبطة بأجهزة مخابراتية

وامنية قمعية تراقب خُطب المساجد والحلقات النقاشية والدوارات الدينية، والثاني: إنها وظفت وسخرت الدين لأغراضها السياسية، فجعلت منه ديناً تابعاً لسياسات النظام، وعلماء الدين وعاظ سلاطين، وهو عيب يُحسب على العلمانية، ومن عيوبها ايضاً، إنها تساوي بين الدين واللا دين من منطلق إنْ الدين لله والوطن للجميع، فلا غرو في أطر الدولة العلمانية من أنْ تمارس الإباحية والفاحشة، وهو ما يتنافى مع القيم العربية واخلاقيات المسلمين؛ بمعنى إنْ العلمانية _ ولو أفترضنا إنها أعطية الغرب لنا تحت عنوان القومية _ فإنها أعطت ثقافتها وقشورها لكنها حرمتنا من وحدتها وصلابتها وزادت من تفككنا لا توحدنا كما نشدت إليه.

تلك هي أهم عيوب ومناقب الفكرة العلمانية التي وفدت إلى البيئة العربية الإسلامية وحاولت أنْ تقيم أوزانها وتستمر في قيادة الأمة؛ لكنها فشلت لعدة أسباب غير عيوب العلمانية وإنما لأجراءات وتحديات أخرى.

رفض العلمانية لا يكفي وحده

كما أشرنا إنْ العلمانية ليست لفظاً عربياً، وإنما هي لفظاً معرباً نقل عن لفظ (Secularism) من اللفظ اللاتيني (Saeculum)

والتي تعني العصر١٨٥، وبما هي دين مناهض للإسلام، ونظام سياسي فضائحي، وفلسفة عدوانية إباحية، ومجموعة عقائد وأفكار جاءت من أجل إعادة ترميم كنيسة ترهلت قيمها، وفسد رجالها، إلا إنْه لا يوجد في الإسلام كلمة "رجال دين" مطلقاً وإنما علماء لا عصمة لهم، ولا قداسة، ولا هيبة، ولا ألهنة، كالبشر لا يتفضلون على العامة إلا بجهدهم واجتهادهم ومعرفتهم العلمية فقط، إذ لا فرق في الإسلام بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، ولا فرق بين أسود وابيض، فالناس بعد دخولهم الإسلام صاروا سواسيه كأسنان المشط.

لكن الكثيرون ممن يعتقدون إنْ رفضنا لفكرة العلمانية هو رسالة بقبولنا التام بفكرة الثيوقراطية بما هي حكومة دينية تقودها وتضع أسسها وقواعدها الحركات الإسلامية، وهذا أمر بحاجة لرفع الغموض المترتب عن رفضنا للعلمانية، بمعنى إنْ رفض العلمانية وحده لا يكفي من أجل عقل عربي مسلم متنور ومتفتح وناضج، منتج وغير مستهلك فقط، والحقيقة برآينا إن الثيوقراطية لا تقل خطراً على الإسلام والمجتمع العربي والإسلامي من خطر العلمانية، بل إنْ "الإسلاموية" أو الإسلام السياسي النازع لسلطة دينية ترافق سلطته الزمنية هو أشد خطورة، وأبلغ الأثر السلبي، وأكثر فتكاً بالقيم

---

[١٨٥] د. حسن حنفي، د. محمد عابد الجابري، حوار المشرق والمغرب، م. س، ص٣٤.

الإنسانية وتلاعب بالمنظومة الإيمانية في نفوس معتنقي القيم الروحية للإسلام، لأنه الإسلاموية هي ليست إلا أيديولوجية حزبية خاصة مبنية على أسس طائفية عرقية ودينية، لا تستطيع الخروج من قبوّ تعصبها، أو نزع جلد طائفيتها، وبهذا فالإسلام هو مجموعة من العقائد والمذاهب والحلل والملل، فإذا أمنا بحق أحد المذاهب أو النحل بتكوين عقيدة دينية _ سياسية (حزبية) فلا بد أنْ نعطي للمذهب الأخر نفس الحق في تشكيل عقيدة أخرى، والحال ينطبق على البقية المتبقية، وهنا معناه إننا قبلنا بتفكيك وحدة الإسلام وتمزقه، وتشتيته وهو ما تجنح وترغب به جماعات الإسلام السياسي، بنفس الآلية التي يريدها الغرب الاستعماري مع فارق النية والمقصد من وراء ذلك.

بمعنى إنْ رفض الفكرة العلمانية وحدة لا يكفي لأن الرفض سيترك فراغ في البنية العقلية العربية، وهوة عميقة الأثر ويحدث فجاً شاسعاً، لا بد أنْ يعقب الرفض الكامل للعلمانية هو رفض قيم الفكرة الثيوقراطية، لأنها لا تختلف كثيراً عن حكم العلمانية من حيث كونهما منتوجان غربيان، وكلاهما توالدا من مخاض الحروب الدينية بين القياصرة والإقطاع.

إذ تحتل الفكرة الدينية (الثيوقراطية) _ أنْ مفهوم الدولة الثيوقراطية قد ورد عند كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي، أو

عند بعض الفلاسفة كالفارابي في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة"، وابن خلدون في مقدمته_ موقعاً مُميزاً في منظومة الأفكار العامة السائدة _ في الواقع العربي الإسلامي _ وهو موقع لم تغير منه منظومة التجديد الثقافي التي جرت منذ اصطدام مجتمعاتنا بالمدنية الغربية الحديثة، والتي تبدو اليوم في حالة "القتال تراجعي" بعد اهتزاز موقع الثقافة الحديثة، وفشلها في الانتقال من ثقافة نخبوية إلى ثقافة شعبية جماهيرية١٨٦ وهذه الفكرة الدينية في ظل الزخم الكنسي والأكليروسي إلى العالم العربي لا تعدو أنْ تكون ثقافة ثيوقراطية بكل قسماتها.

ومن المؤكد إنْ "الثيوقراطية" هي كلمة تعني "السلطة الدينية" التي تجعل الدولة ديناً خالصا، فتكون لقوانينها قداسة الدين وتبعاته، ولأمرائها سلطات الأنبياء وعصمة المرسلين١٨٧، كما انها بضم الياء (أي الثيوقراطية)، تعني حكم الكهنة أو الحكومة الدينية أو الحكم الديني، وتتكون كلمة ثيوقراطية من كلمتين مدمجتين هما "ثيو" وتعني الدين و"قراط" تعني الحكم وعليه، فان الثيوقراطية هي نظام حكم الدين يستمد الحاكم فيه سلطته مباشرة من الإله، حيث تكون الطبقة

---

[١٨٦] د. عبد الألة بلقزيز، الإسلام والسياسة، مرجع سابق، ص٩.

[١٨٧] د. محمد عمارة، الدولة الإسلامية، بين العلمانية والسلطة الدينية، ط١و (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٨)، ص٧.

الحاكمة من الكهنة أو رجال الدين الذين يعتبروا موجهين من قبل الإله أو يمتثلون لتعاليم سماوية، وتكون الحكومة هي الكهنوت الديني ذاته أو على الأقل يسود رأي الكهنوت عليها[188]، فلم يكن هناك في الإسلام الكلاسيكي حدوداً فاصلة بين المؤسسة الدينية (مسجد أو كنيسة) والدولة[189] بأي شكل من الأشكال، وهنا نستنتج بالقول أليس إنْ الثيوقراطية هي أشد وطأة وخطر على الإسلام من العلمانية، العلمانية تريد حكماً مدنياً بعيداً عن سلطة الإسلام وقيمه الروحية والرمزية، والثيوقراطية تريد حكماً دينياً بعيداً عن حقيقة الإسلام الكلاسيكي الرسوّلي، العلمانية تفصل الدين عن السياسة والثيوقراطية تدمج بينهما؛ وكلاهما خطأين متساوين في حجم الأضرار بالإسلام.

والعرب اليوم في مأزق خانق بعد خمسين عاماً من الوفود العلماني وصراع العلمانيين على السلطة بين علمنة قابضة على الحكم تريد إبقاء الدين خارج اللعبة السياسية، وبين إسلاميين (في

١٨٨

٨%٩AB%D%٨http://ar.wikipedia.org/wiki/%D
%٩D%٧B%٨D%٧A%٨D%١B%٨D%٨٢%٩A%D
٩A%٨A%D٨ يوم الخميس، ٢٠١٤/٣/١٣، العراق.

١٨٩ برنارد لويس، لغة السياسة في الإسلام، ترجمة: أبراهيم شتا، ط١، (د. م، دار قرطبة للنشر، ١٩٩٣)، ص١١.

المعارضة وخارج السلطة) حتى انقلبت المعادلة بعد وفرة العوامل التي عُدت بمثابة محفزات للإنتقال الإسلاموي (الديني) الصاعد على حساب القومي العلماني (اللا ديني)، وإنقلاب المعادلة رأساً على عقب وتبدّل أدوار اللعبة السياسية العربية ليتحول الصراع بالاتجاه المعاكس بين علمنة (في صف المعارضة) تريد تصحيح المسار لاستعادة ما فقدته من قيم السلطوية، وبين إسلاميين (قابضة على جمر السلطة) تجاهد من أجل الحفاظ على الوضع الراهن، فكان الصراع والقتال والسجال دام على طوال فترات التاريخ العربي الإسلامي الحديث والمعاصر، إسوة بالتاريخ الماضي للعرب والإسلام.

لكن ما ينبغي التنويه إليه هو إنْ العلمانية والثيوقراطية هما ليست مفاهيم مفروضة علينا بالقوة من فوق، وليست خياراً إجباري، ضرورة القبول بهما، كمسلمات على محيط العقل العربي المُتكلس من أدلجة التراث (بما هو الأصالة) وترهل المعاصرة والقيم الحداثوية العولمية، بما هي إنسلاخ عن الهوية العربية الإسلامية (الأم)، وليس هما (العلمانية والثيوقراطية) أفضل القيم أو أنقى الأفكار، إذ لا يحق لأحد أنْ يُملي علينا أفكاره أو يجبرنا على قبولها أو رفضهما، إننا نمتلك العقل ووحده القادر على أنْ يُنجينا من خرافة الافكار الغربية ومن وفود الإسرائيليات أو الإلحاديات، لكن المشكلة إنْ العالم العربي اليوم منقسم على نفسه، العلمانيون يرفضون قبول فكرة إنهم إلحاديون وفضائحيون يحاربون فكرة الدين هو الإسلام، والإسلاميون

ـ بالمقابل ـ يرفضون قبول فكرة إنهم متشددون راديكاليون يمارسون فكرة كنسية كاثوليكية كهنوتية لا أصل لها في الإسلام.

وعدم أقتناع كافة الأطراف بإنهما مشكلة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، أمرٍ قد يصعب من مهمة التوفيق بين الطرفين، بل ربما قد يؤسس لخلاف عقيم وصراع على "مال بدو" لا أساس له في الفكر الإسلامي المعاصر الذي هو بالأساس مرحلة من مراحل التقادم الزمني للإسلام والسيرورة التاريخية له، وليس هو الإسلام بعينه كما يتوهم البعض منا.

ومن اجل هذا كله ضرورة تفكيك الخطاب السياسي للعلمانية والخطاب السياسي للثيوقراطية، وتوضيح تداعياتهما على الفكر العربي الحديث والمعاصر، وأثرهما على المجتمع العربي الإسلامي، وبلورة صورة توافقية توقف نزيف إشكالية صراع الأيديولوجيات المتناحرة بين الإسلام كدين والعلمانية كدين أخر، وضرورة إقناع الأطراف بإن العلمانية هي نظام وليس دين، وإنْ الثيوقراطية رغم غربيتها إلا إنها لا تعني حلاً لمشكلات المسلمين في الشرق العربي، وليست هي العلاج الناجع، وضرورة بناء تصور صحيح عن العلمانية حتى لا تؤثر الجدلية الدينية والعلمانية على العلاقة بين الإسلام والغرب.

التَجْديد هُو الحَل:

نَحْو ثورة في الفكر الديني

ليس هناك من حل لقطع الطريق أمام إشكالية الخوف من الإسلام وإقناع الغرب بإن الإسلام ليس فوبيا، بل هو (الإسلاموهيليثيا)، هو القبول بفكرة الديمقراطية، والعمل نحو تحقيق شروط الإصلاح الديني وإستنهاض الأمة من ركامها وحطامها وتردّيها، فيقول الدكتور مصطفى محمود إننا بحاجة إلى كتيبة تجدد الدين وتقاتل خصومه بأسلحة العصر وليس بفتاوى ألف سنة مضت عليها[١٩٠]، فالتجديد هو الكفيل بإزالة كل التكلسات التي تجمعت على أكتاف الإسلام والغبار الذي شاب المناخ الإسلامي، فالإسلام لا يعيش في الصحراء منعزلاً وحيداً مهجوراً، غريباً، بل العكس فهو اكثف مدن العالم حركة ونشاط وتفاعل واندماج، وسجال وحوار وتحاور ومجادلة ومباهلة ومناقشات وورش عمل متمثل بركيزة أساسية من مبادئه السامية _ التي هي سنة الحياة _ ألا وهي الاختلاف، فالإصلاح هو عملية تنقية وتصفية قيم الإسلام وغربلتها بما تتوافق وتناسب كل زمان ومكان.

كلمة بحق العلمانية

أهم ما ينبغي قوله في الفكرة العلمانية إنها ليست من ثوابت الإسلام، ولا هي من أصوله، ولا حتى من فروعه، وينطبق عليها كل ما ينطبق على الثيوقراطية من رّفض ومُمْانْعة وغَربنْه وَتَغريب، وهو ما

---

[١٩٠] د. مصطفى محمود، الإسلام السياسي، م. س، ص١٢.

أشار إليه المفكر هشام جعيط قوله: "ليس للدولة ان تكون علمانية بمعنى انها لا تهتم بمصير الدين معتبره أياه مسألة خاصة"[١٩١]، وهو ما يتوافق مع رؤية المفكر حسن حنفي، والمفكر محمد عابد الجابري في رفض الفصل بين الدين والدولة، وهو رفض ينسحب على ورفض فكرة الثيوقراطية كخصم ند للعلمانية، ونقيض تام لها، وهنا يصح القول أو الطرح الذي نراه مناسباً من أجل عقل عربي سليم، _ وليس عقل عربي طائفي ملتحي ومغلق _، بإننا نرفض تدخل الغرب بكلا الطريقتين سواء أكان تدخله باسم العلمانية أو تدخله باسم الدينية، فلكل مجتمع له بيئته وظروفه الخاصة والمغايرة لأي مجتمع أخر، فليس من المرضي للإسلام وثوابته لا أنْ نقبل العلمانية أو الثيوقراطية، ولا حتى أنْ نرفض كليهما، لأن فكرة الفصل الميكافيللي لم تأت من بواطن الإسلام كثوابت أو أصول ولا حتى فروع، والدمج الكاثوليكي بينهما تحمل معنى كنسي وليس عربي مسجدي؛ وبالتالي نحن لا نرفض الثيوقرطاية كلها ولا نقبل العلمانية كلها إنها مسألة مناطة للعقل المسلم السليم الذي ينتقي القيم الموجبة من هنا ومن هنا بانتقائية صائبة.

---

[١٩١] د. هشام جعيط، الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، ترجمة: المنجي الصيادي، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٤)، ص١١٨.

وليس هناك وجود للظاهرة الغربية نظيراً في تاريخ الإسلام، ذلك لأن ليس للإسلام أولاً كنيسة ولا كلوريوس في معناه الكنسي المتراتب الدقيق، ولم يكن الحكام في الدولة الإسلامية منذ عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) "رجال دين" وإنما يعتبرون "رجالاً متدينون" والبون شاسع بين الأمرين[١٩٢]، فليس في الإسلام كهانة، أي بمعنى ليس هناك رجال كهانة أو رجال دين في الإسلام إنما مجرد علماء دين لا غير.

لكن يبقى شيئاً واحداً يحافظ على مكانة الإسلام ويحصنه من شوائب الخرافات والخزعبلات إلا طريقاً واحداً وغير مأخوذ به، ألا وهو طريقة ونظام "التمييز" _ لما يحمل الإسلام من عقيدة وسطية تتقارب إلى حد ما في هذا المضْمار _؛ أي الأخذ من بين تلك القيم من موجبات العلمانية وموجبات الثيوقراطية، وإزالة كل السلبيات، وهنا يتكامل دور الإسلام سياسياً وفكرياً، بما يتوافق مع روح العصر دون المساس بجوهر التراث بما هو ثوابت لا يمكن المساس بها أو تحريفها أو تزييفها أو توظيفها في غير مواضع التوظيف السليمة.

***

---

[١٩٢] نزيه أيوبي، م. س، ص١٦.

الفصل الثامن

الإسَّلام وَالغَرَب

فِي خُصُومْة الأنْا وَالأخْر

نقطة نظام

شكل مفهوم أو مصطلح الإسلاموفوبيا كمؤُضّوع مَطروح للنْقاش، أو كمصطلح معروض على طاولة التأويل البحثي والاجتهاد وتفكيك الخطاب جدلاً واسعاً في الأوساط الأوروبية والإسلامية، لدرجة إنه بدأ يفرض علينا الحديث عن إشكالية ثنائية من إشكاليات أو ثنائيات الفكر العربي الحديث والمعاصر، ألا وهي إشكالية الإسلام والغرب، أو (الأنا والاخر)، أو (الشرق والغرب)، أو (الإسلام والمسيحية)، أو كل ما يتعلق من خصوصيات ومقاربات متداخلة بين هذين المفهومين والمتداخلان مع بعضهما.

ومن أعقد المشاكل التي واجهها العقل العربي اليوم هي مسألة الأنا والأخر، بما هي الإسلام والغرب التي تثير هاجّس الكثير،

وتدخل البعض من الباحثين بهذا الشأن في خانة التخوين والتجريح والتسقيط بدون مسوغ شرعي، لمجرد إنهم يبحثون عن حوار للأديان يفند نظريات تنْاطح الحضارات أو كما اسميت (صدام الحضارات) بين الغرب والإسلام.

أنْ الدوائر الغربية المخابراتية، والرادّيكالية الإسلامية الجامدة الفكر يتفقان على نقاط هامة أبرزها هو حتمية الراع وضرورة النزول إلى موقعة عسكرية تحسم تلك الجدلية أو ذلك الإشكال العالق، ويريدان خوض صراع حضارات وحوار دبابات بين الغرب والإسلام، بينما يُريد الإسلام الحقيقي والإسلاميون الحقيقيون والغرب المعتدل المناهض لسياسات الاستعمار "حوار أديان وطوائف" وطاولة مستدّيرة لمُقارّبات فكرية وسياسية، خصوّصاً وإنْ الإسَّلام لا يمنْع الانتفاع من علوم الغير، أو التعامل معهم على قدر جلب المنفعة للبلاد والعباد، وكذلك المسيحية تفعل ذلك، لكن المحسوبين على الأديان جُزافاً لهم رآي مغاير، ومن هنا نسعى لتحليل نقدي ومحايث لتلك الإشكاليات وبطريقة سرّدية بناءه من أجل تقارب إسلامي _ مسيحي؛ يحول حوار الدبابات إلى حوار عقول وأفكار.

الإسلام والغرب

من المعقول والمقبول به؛ القول بإن النقاش لم يفتر في العالم الإسلامي حول الدور الذي ينبغي أنْ يضطلع به لمواجهة التحديات التي تحيق به، منذ الفترة التي ابتدأها الصدام مع الغرب المسيحي (أواخر القرن الثامن عشر) اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً، فكانت هناك قضيتان ملحتان: (الأولى) تتعلق بالمفاهيم الغربية مثل العلمانية والديمقرَّاطيّة والتحْدّيث والتنْميَّة، و(الثانية) ترتبط بالمفهوم الغربي للإقليم والدولة البيروقراطية[193] وهما القضيتان اللاتي ألقت بضلالهما وتأثيرهما على جدّل [ومستقبل] العلاقة بين الإسلام والغرب من خلال المؤثرات الثقافية والفكرية التي من شأنها أنْ تُحيي خلايا التفاعل بين شرق مسلم وغرب مسيحي.

إذ أنْ التنامي الإسلامي (أو التدّفق الإيماني الإسلامي) هو الذي دفع بالكنيسة الأولى إلى (تحريك) أوروبا كلها، وبّث مؤثراتها الكنْسَّية في أذهان المؤمنين خارج حدود أوروبا[194] وإنْ الغرب استفاد الكثير الكثير من الإسلام وحضارته في بناء أوروبا وتقدمها ونهضتها، لكن هذا كله يُنحى جانباً حينما يُكلف باحث أو كاتب أوروبي في الكتابة عن الإسلام، وتجد أول ما ينبري بالحديث تراه

---

[193] نزيه أيوبي، "أشكال الإسلام الحديث بين التعبير الثقافي والدور السياسي"، م. س، ص١٢.

[194] أبراهيم محمود، الفتنة المقدسة، م. س، ص٢٩٢.

ينحت في الحجر بحثاً عن عيوب المسلمين ومناقبهم دون الإشارة إلى المكتسبات التاريخية والحضارية للإسلام إلا في الهوامش واذيال الكتب وبعضها لم تتطرق أو يتناول المكتسبات أصلاً؛ أي إنهم يبحثون عن قضايانا العربية والإسلامية بعيون ايديولوجية مقصودة، ويحاولون دوما التجريح لأعتمادهم أدبيات وأصول التقارير الأمنية والملفات المخاراتية لا المناهج العلمية والاكاديمية.

ففي فرنسا قمة الموضوعية والحيادية في الكتابة _ التي يعد الباحث أو الكاتب الفرنسي هو الكاتب الأكثر موضوعية وحيادية في الكتابة أو عند طرحه رؤيته وأفكاره خصوصاً عن العرب والمسلمين قياساً بالكُتاب الامريكيين والبريطانيين وغيرهم _ إلا إنها بالوقت ذاته لم تبخل فرنسا من استثمار كل الوسائل الممكنة لتشويه صورة الإسلام، وتحجيم فعله[١٩٥] والتنكيل به، فما بالك بالكتاب الأمريكيين الذين يضمرون الكراهية للإسلام بمجرد الأحاديث والسرديات النظرية دون الارتكاس إلى علمية حقيقية في موضوع الإسلام، والمفارقة المثيرة للدهشة هو اعتماد أغلب الكتاب والباحثين على معلومات امنية أو استخباراتية عن الإسلام أكثر مما هي علمية، أو تناول قراءة كتب تعدها منظمات مافيويه أو من مصدر حركات مُعادية للإسلام أو كُتيبات وتقارير تقدمها المخابرات

---

[١٩٥] أبراهيم محمود، الفتنة المقدسة، م. س، ص٢٩٣.

الأمريكية أو البريطانية عن الإسلام كعدو مفترض، وليس كدّين وحضارة وتاريخ وبهذا تظهر نتائجهم أكثر عدائية للإسلام، وأكثر إنهم يجهلون _ أو يتجاهلون _ التفرّيق بين الإسّلام والإسّلام السَّياسي والحركات الإسلاميَّة.

حيث أنْ تعريف الإسلام السياسي بالمفهوم الغربي هو مجموعة من الأفكار والأهداف السياسية النابعة من التعاليم الدينية، التي تعتنقها مجاميع يطلق عليها الإعلام الغربي (المسلمون المتطرّفون) الذين يؤمنون أنْ الدين عبارة عن منظومة متكاملة تتمثل في لنظام السياسي والاجتماعي والقانوني والاقتصادي الذي يصلح لبناء مؤسسات الدولة١٩٦، وحتى مفهوم الإسلام السياسي نفسه لم يسلم من أدلجة التصورات الغربية فكيف الحال بالإسلام الذي ضاع بين مطرقة الأيديولوجيا وسندان السياسة.

أما بخصوص العلاقة بين الآنا والأخر، أو بين الإسلام والغرب يوجد هناك خطأين يجب تفاديهما١٩٧:_

---

[١٩٦] هامش: د. فائز صالح محمود اللهيبي، إشكالية الخوف من الإسلام: بين الرؤية الغربية والواقع الإسلامي، ط١، (دمشق: دار النهج، ٢٠٠٩)، ص٢٩.

[١٩٧] أبراهيم محمود، الفتنة المقدسة، م. س، ص٢٩٨.

الأول: خطأ "بعض المسلمين" بحالة دفاعية دائماً، لا يريدون الحكم على الإسلام إلا بمقياس عظمته في الماضي متبجحين بالعصور الذهبية الغابرة.

الثاني: خطأ "أعداء الإسلام" (وهو الخطأ الموازي للخطأ الأول) الذين ينطلقون من فرضية ثابتة تقول بإن الإسلام لا يمكنه إنْ يندمج في النظام العالمي الحالي أو يتبع سبيل الحداثة والمقرطة.

أنْ مسيرة التاريخ بين كلا الديانتين هي مسيرة جهادية للطرّفين، كل منهم كان ينظر إلى الديانة الأخرى بإنها خصم ند وكان الجهاد لواء يرفعه المتطرفون من كلا الديانتين، والكثيرون يجهل المقاربات بينهما، أو يحاولون الإيقاع بينهما من أجل مرامي وطموحات خارج تأويلات الدين وانما كانت للسياسة أقرب بكثير، فعقلية التخاصم بين الإسلام والغرب هي عقلية الموروث السلبي للتاريخ، وناجمة عن تراكمات الماضوية والثقافة المفتقرة لأصول المنجية الحقيقة؛ لكن هذا لا يمنع الحديث عن المتقاربات والمتشابهات التي اجتهد بها الاستاذ ابراهيم محمود في مؤلفة (الفتنة المقدسة)، وهي[١٩٨] :ـ

العنصر الأول: إنهما دينان سماويان إلاهيان المنبع.

العنصر الثاني: أنْ ابناء الديانتين هم من أهل الكتاب، وهم سواسية لا تفضيل لأحد على أخر.

---

[١٩٨] م. ن، ص٣٠٠ـ٣٠١.

العنصر الثالث: أنْ الديانتين شرقيتا الهوية، شرقية الاغتراب الانساني.

العنصر الرابع: أنْ ما يسمى بأعراض(بواتييه) _ كما اسماها برنار شيشير _ هي موجود ما يقابلها في العالم الإسلامي ألا وهو (أعراض الحروب الصليبية).

لكن هذه المقاربات والمتشابهات بين الديانتين أصبحت موضع شك في ظل وفرة الخلافات والتنافر بين قيمهما، وأكبر شرّخ بين الإسلام والغرب هو موضوع العلمانية والثيوقراطية، ففي فترة هيمنة الكنيسة كان النظام السياسي السائد في أوروبا هو نظام دمجي بين الدين والدولة، وفي مرحلة لاحق للكنيسة، أي بعد سيطرة المماليك والقياصرة على نظم الحكم في أوروبا تم الفصل التام بين الدين والدولة، وفي كلا الحالتين هما مختلفين تماماً عنه في الحالة العربية الإسلامية، فليس في الإسلام لا علمانية بالمعنى الغربي، ولا ثيوقراطية بالمعني الكنسي البابوي الكهنوتي؛ مع الاختلاف التام بين الشريعة الإسلامية والشريعة المسيحية الأولى هي شريعة عبادات ومعاملات، والثانية هي فقط للعبادات، فالفصل في الحالة الغربية وارد أما في الثانية فهو فصل زائد، لا لزم له، وانْما اجتراح ثقافة وسطية.

ومن هنا يسعى الغرب الاستعماري _ وليس الغرب الإنساني والأخلاقي _ محاولة كسر حاجز المْمانعة العربية الإسلامية للعلمنْة

وقيمها، حتى وإنْ تطلب ذلك إدخال قيمة الثقرّطة لإحداث خصومة والتأصَّيل لها في الفكر السياسي العربي والإسلامي الحديث والمعاصر.

محاربة الإسلام بالنزعة التبشيرية والاستعمارية

بعد انتصار الملوك على البابوات تم استخدام الكنيسة لتحقيق مصالح الدولة، فكانت الكنيسة مقدمة للاستعمار وتالية له، وارتبط الاستعمار بالتبشير، والتبشير بالاستعمار، ثم استئناس الشعوب اللا أوروبية أولاً عن طريق تحويلهم من الديانات الوطنية المحلية إلى المسيحية الغربية وبالتالي زرع الولاء للغرب بعد نزعه الأوطان، وبتحويل الإيمان بالدين الغربي إلى ولاء للغرب السياسي[١٩٩]، وهكذا بدأت (السلطة) الدولة الزمنية تحل تدريجياً محل الكنيسة (السلطة الروحية) وتتموضع فوقها بأعتبارها ضامنة السلم المدني والوفاق الأهلي[٢٠٠]، لتصبح العلمانية حلاً أوروبياً يُعالج مشاكل الكنيسة والسلطة الروحية وتجلياتها الدينية.

---

[١٩٩] د. حسن حنفي، د. محمد عابد الجابري، م. س، ص٣٥.

[٢٠٠] رفيق عبد السلام، تفكيك العلمانية في الدين والديمقراطية، ط١، (تونس: مكتبة تونس الأولى، ٢٠١١)، ص١٣.

بمعنى إنْ الاستعمار وحركاته التبشيريه كان له دوراً بارزاً في محاصرة القيم الإسلامية والسعي من خلال آلته العسكرية والسياسية والفكرية من أجل دفع العرب والمسلمين لقبول الأفكار الغربية الوافدة على اعتبارها اسمى القيم في التسامح والعدالة الاجتماعية، فكانوا ينكرون على الإسلام قيم التطور والتقدم لمجرد إنه يرفض قبول أفكار الغرب الاستعاري أو إنه يندد بالتدّخلات الخارجية في شؤونه الداخلية.

إذ كانوا يرون صعوبة "مَقرَّطة" الشرق الأوسط، معتمدين على نظرة إستشراقية جديدة للإسلام _ خاصة عمل مستشرقين انجليز مثل أرنست جيلنر وباتريشيا كرون ومايكل كوك (سادوفسكي ١٩٩٣)، فهؤلاء يصورون العالم العربي بلغة غياب تاريخي وإنْ الإسلام هو من يتحمل مسؤولية هذا الغياب[٢٠١]، كون إنْ دينهم لا يواكب الحداثة أو يتماشى مع متطلبات العولمة، وهم بذا ينكرون على الإسلام أهم مبادئه واسمى غاياته، أي بمعنى إنْ الإسلام _ وفق التصور الغربي _ هو ضد الديمقراطية، وضد قيم التّسامح الروحي والنضال الانساني، وضد الحرية، ورافض للسلم الاهلي والعالمي، ومن هنا يجد الغرب الاستعماري تبريره لاحتلال العالم العربي

[٢٠١] تيموثي ميتشل، الدَّيمُقراطيَّة وَالدَّولة في العالم العربيّ، ترجمة: بشير السباعي، ط٢، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥)، ص٢٩.

الإسلامي سواء بالغزو المُعلن (الغزو العسكري) أو بالغزو الفكري (العولمة والعلمانية والحداثة والجيمقراطية ومتعلقاتها).

دور الاستشراق

يعد الاستشراق بإنه مفهوم ورؤية ايديولوجية أكثر مما يكون علماً بحد ذاته، وهو ما يراه رجل الاستشراق ادوارد سعيد بإنه رؤية سياسية للحقيقية، كما وهي رؤية ذات بنية روجت للأختلاف بين المألوف (أوروبا) و(الشرق)٢٠٢، وفق مسميات "النْحنُ" و"الهُم"، أو الأنا والأخر، ويشير إلى أنْ الاستشراق في مجمل حالاته إلى كونه دراسة كافّة البنى الثّقافيّة للشّرق من وجهة نظر غربية، وتستخدم لتدليل أو تصوير جانب من الحضارات الشرقية لدى الرواة والفنانين في الغرب٢٠٣، والاستخدام الأغلب هو دراسة الشرق في العصر الاستعماري ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر، لذلك صارت كلمة الاستشراق تدل على المفهوم السلبي وتنطوي على التفاسير

---

[٢٠٢] د. تيتال قادروييف، "الاستشراق"، مجلة الشرق الأوسط الديمقراطي، بغداد، العدد الأول، ٢٠٠٥، ص٩٢.

[٢٠٣] المعنى الأخير هو معنى مهمل ونادر استخدامه.

المضرّة والقديمة للحضارات الشرقية والناس الشرقيين[٢٠٤] [٢٠٥]
ومن أكثر القضايا إثارة للجدال في تحليل الشرق الأوسط المعاصر قضية "الاستشراق"، مسألة ما إذا كانت الكتابات الغربية عن المنطقة طيلة القرن أو القرنين الماضيين وما زالت مشوهة بمجموعة من التحيزات نشأت عن تصورات نظرية _ في أغلبها _ مسبقة أوروبية وامبراطورية[٢٠٦] تُريد التجريح بحضارات الشرق وأديانهم لا انصافهم أو البحث عن مجدهم وتاريخهم.

إذ إنْ الاستشراق أو الدراسات الإستشراقية دائماً (أو غالبا ما) تقدم صورة مشوهه لحقيقة الإسلام، فهي تعتمد على سلبية التاريخ في كثير من بحوثها ودراساتها، وتتغافل ايجابياتها، تأخذ الاستثناءات والشواذ مأخذ الجد، وتنحي القواعد جانباً، لأن المستشرق لا يستطيع نزع جلد أيديولوجيته السياسية أو الدينية، أو الكتابة بحيادية خصوصاً إلا الكتّابة بقلم الأيديولوجيا؛ وإنْ البلدان الأوروبية _ ما

---

[٢٠٤] وجهة النظر هذه مبيَّنة في كتاب إدوارد سعيد الاستشراق (المنشور سنة ١٩٧٨).

[٢٠٥] الموسوعة العالمية ويكيبيديا، يوم ٢٠١٤/١٠/٧، المصادف يوم الثلاثاء، العراق، على الرابط التالي:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D9%82

[٢٠٦] د. فريد هاليدي، الإسلام وخرافة المواجهة، م. س ص٢٣٢.

عدا فرنسا _ أغلب كُتّابها هم كُتّاب غير حياديين في اعطاء الإسلام حقة من التنقيب والبحث العلمي، ودائماً ما يكون لديهم فهم مبتسر وخلط للمفاهيم، أو إنهم يكتبون عن قناعة نظرية لم تجد حظها الوافر في التطبيق والممارسة العملية، والحال لا يختلف عند المستشرقين.

أذن فالاستشراق قد يكون مقدمة للاستعمار، أو مسح ميداني واستطلاع يسبق الحملات العسكرية ويُصبح تالٍ لها، كما هو الحال عليه بالنسبة للتبشر وحركاته السياسية، وإنْ الصّعُود المتواصل لا يدعى بـ "التيار الاسلامي" يبدو للكثير من المراقبين والباحثين سواء في الشرق الأوسط أم في الغرب، بمثابة تأكيد لنظرة تيار الأستشراق الجديد عن مجتمع الإسلام، وهي نظرة تقول إنْ الأنماط والذهنيات والأخلاقيات الاجتماعية تنبثق من جوهر تاريخي ثابت للإسلام ادى ذلك الى تعزيز الميل لقراءة التاريخ بصورة رجوعية٢٠٧ وهي ليست قضية بدأ بإثارتها الإسلاميون، لكنها قضية تبنوها طواعية في استخدامهم لتعابير مستمدة من الجدال _ "المركزية الأوروبية" و"المركزية العرقية" و"الاستشراق ذاته" لنقد الأفكار أو التحليلات التي لا يتفقون معها٢٠٨ أو لا تتساوق مع طروحاتهم أو ما يرغبون بذلك.

---

[٢٠٧] د. سامي زبيدة، الإسلام: الدولة والمجتمع، م. س، ص٧.

[٢٠٨] د. فريد هاليدي، الإسلام وخرافة المواجهة: الدين والسياسة في الشرق الأوسط، م. س، ٢٣٢.

وما يمكن قوله إنْ للاستشراق دور في السعي الاستخباري عن قضية الإسلام والتآمر عليه، وتشكيل جزء من المعلومات غير الأكيدة عن الإسلام التي أصبحت في نظر الغرب بمثابة القبلة التي يصلون عليها الغربيون المناوئون للإسلام والمناهضون لقيام نهضته وتمدنه، حتى أصبح الجدّل حول الاستشراق قد تحول إلى جدال حول الإسلام[209] والجدل حول الإسلام تحول _ في نظر الغرب _ إلى جدل حول الإرهاب وهذا ما يسعى له الغرب الاستعماري أو الغرب الاستشراقي على حدٍ سواء.

دوافع الاستشراق

من نافل القول إنْ الاستشراق في كل قسماته ومفاهيمة العريضة لم يأت من أجل سواد أعين العرب والمسلمين وفي كثير من جوانبه، إلا البعض اليسير، فهو بحكم الضرورة له جانب سوّداوي أغلبي إلى جانب الأقلية النْافعّة، بمعنى أخر إنْ للأستشراق ثمة أهداف استراتيجية رئيسية يدأب إلى تحقيقها وترّسيخْها، ومن أهم تلك الدوافع يمكن إدراجها على النحو التالي[210]:_

***

[209] م. ن، م. ص.

[210] د. تيتال قادروييف، "الاستشراق"، مرجع سابق، ص٩٣.

اولاً: دوافع دينية:

من أبرز وفي مقدمة الدوافع الدينية هو إضعاف مُثل الإسلام وقيمه العليا، مقابل إثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها والترويج لها على إنها هي الخلاص للمسلمين في العالم أجمع، والتنكيل بالإسلام كدين وكحضارة، فهذا هو مسعاه الديني في الأغلب الأعم.

ثانياً: دوافع تجارية

من بين الدوافع التجارية للاستشراق رغبة الغرب في التعامل معنا لترويج بضائعهم، وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان، ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين [٢١١]؛ وأخطر من ذلك جعل العرب أسواق حرة لضخ فيها الأسلحة الفتاكة والممنوعة وتصريفها من أجل إشعال الحرب البينية بين العرب وعمومتهم؛ وهو ما واضح وجلّي.

***

ثالثاً: دوافع سياسية

---

[٢١١] موقع الإسلام سؤال وجواب، على الرابط التالي:ـ
https://islamqa.info/ar/210282

أنْ الدوافع السياسية لا تقل خطورة عن الدوافع الدينية، بل هي النتاج الحتمي والهدف المرّجو من الدوافع الدينية، فيقول رودنسون بإن الدول الأوروبية وحكوماتها لم تكتف بالدافع العلمي للمعلومات التي جمعها عُلماؤها عن بلاد الشرق بل استفادت منها لغزو هذه البلاد واستعمارها ونهب خيارتها طوال أكثر من قرن، أي إنْ الغاية من الاستشراق هو "تحقيق الاستعمار"، أو إنْ الأستشراق هو "المقبلات المجانية" لأكلة الأستعمار على موائد العالم العربي الإسلامي.

وهذه الدوافع بمجملها وبعوامل أخرى يسعى الغرب الإستعماري إلى تأكيد ثقافته العولمية ونشر قيم الحداثة والتحديث على النمط الأوروبي لا على الخصوصيات العربية الإسلامية، من خلال تثبيت ثقافة العلمنْة من جهة، وإتاحة الحرية لتطبيق ثقافة القرون الوسطى على العرب اليوم أي من خلال إتاحة الفرصة والترويّج لتبني الفكرة الدينية "الثيوقرّاطية".

لا للعلمنة .. لا للثقرطة

لماذا العلمانية حرام والثيوقراطية حلال ؟؟

غالباً ما يتساءل البعض بالقول لماذا يحاول البعض منا تحريم أشياء وإحلال غيرها، رغم إنهما الأثنين من منبع واحد وردتا إلينا، بمعنى أدق، لماذا نُحرم العلمانية ونُبيح الثيوقراطية، وهم كلاهما منتوجان غربيان أوروبيان نشأ في بيئة غربية وأنبثقا من رحم الفكر الأوروبي المسيحي؟؟

فالثيوقراطية تعني بالاساس مفهوم نظري ليس له من رصيد يذكر خلال المسيرة الطويلة للتاريخ الإسلامي[٢١٢] وإنْ الدولة الدينية لن تنتج الدين قطعاً[٢١٣] لأنها ليس من الإسلام بشيء ولن تكون كذلك، فللإسلام خصوصياته ومزاياه التي لا يمكن تقليده لغيرها او طمّسه لمعالمها[٢١٤]؛ والعلمانية بذات الشق تحمل نفس طروحات الثقرطة بمعنى إنها لا تتمتع برصيد يُذكر خلال المسيرة التاريخية للإسلام وإنْ الدولة العلمانية لن تنتج الدولة العربية قطعاً، ولأنها ليست علمانية عربية أو إسلامية من داخل البيت العربي الإسلامي.

---

[٢١٢] د. محمود اسماعيل، الإسلام السياسي بين الأصوليين والعلمانيين، ط١، م. س، ص٨٩.

[٢١٣] هاني فحص، "أمتناع تنميط الدولة"، في: انو أبو طه، (أخرون)، مأزق الدولة بين الإسلاميين والعلمانيين، تحرير وتقديم: د. معتز الخطيب، ط١، (القاهرة: مدبولي، ٢٠١٠)، ص٧٥.

[٢١٤] حسام كصاي، الطائفية صدمة الإسلام السياسي، ط١، (عمان: دار أمواج للنشر، ٢٠١٥)، ص٦٠.

بالرغم من إننا لسنا من انصار المدارس المطلقة والتعميمية لدراسة الظواهر والأفكار التي تطرأ على المجتمع، وبرغم إننا ننظر إلى معطى الظواهر لا إلى مسبباتها، إلا إننا ننقد الرؤية الإسلامية التي تكيل بمكيالين، التي تؤمن ببعض الكتّاب وتكفر ببعض، فهي من جانب تُحارب العلمانية لكونها فكرة مستوردة، لتعود من بعد تكفيرها للبضاعة الغربية لتستورد الثيوقراطية وهي نفس البضاعة مع اختلاف فقط في الكارتون والشكل وعلامة الشركة وتاريخ الصلاحية، وهو أمر مثير للسخرية أكثر مما هو مثير للدهشة، فهي لو كانت تحمل شجاعة وعقل تنويري متحرّر لما، لكن الموقف ذاته متشابه بالنسبة للفهم العلماني الذي يمارس نفس الرذيلة التي مارسها الإسلاميون من كونه _ أيضاً _ مع فارق تبادل الأدوار، أي انهم قبلوا ونظروا للعلمانية في وقت رفضوا فيه الثيوقراطية على اعتبارها مفهوم كنسي أوروبياني، وهذا هو سبب الإخفاق العربي في حسم موضوع الصراع بين الدين والدولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر.

أي أن سبب الإشكال والخلل الحاصل في موضوع الدين والدولة عند العرب ناتج في كون إنْ المشكلات عربية _ إسلامية والحلول دائماً مستوّردة اجنبية، وافدة من الغرب المسيحي، سواء أكان الحل لا ديني (علماني) أو ديني (ثقرطي)، ولم يكن حلاً عربياً إسلامياً، أبن البيئة العربية والمعطيات الإسلامية، بل إنها دوماً كانت

المشكلات التي يعاني منها الفكر العربي هي مشكلات عربية محلية والعقل العربي الكسول يجاهد من أجل نقل الأفكار والثقافت كحلول أجنبية مُغربة، لم تحترم الخصوصيات العربية أو تناسب أو تراعي الذائقة العربية _ الإسلامية.

وأنْ المذهل هو إنْ عملية إدخال الثقرطة تمت بنفس الطريقة التي تم إدخال العلمنة إلينا ووفودها عن طريق المبتعثين، وسيد قطب (مُنظر الأصولية العربية) خير الامثال عاش في أوطان ما يسمى الغرب الأرور_ امريكي (الولايات المتحدة تحديداً) وبعد عودته تبنى الخيار الإسلامي الراديكالي الفاشي بما يسمى الثيوقراطية، إذا كان الإسلاميون يتهمون المبتعثين العرب الذين تلقوا تعليمهم في غرس بذور العلمنة فمن حقنا نحن اليوم _ هنا _ أنْ نتهم الإسلاميين المبتعثين بنفس السياق الخضوع لنفس القياسات والاجراء التي عوملت بها العلمانية _ لا دفاعاً عن العلمانية وإنما لنقد الوفود الغربي _، ولو إنْ هذا الطرح هو ليس نظرية ثابتة النتائج إلا إنها تحمل معان ودلالات مهمة في التنظير السياسي والنفسي، ولا ننسى إنْ أغلب الانتحارين (أو الاستشهاديين وفق الفقه الجهادي) هم ليسوا خريجي المدارس الدينية أو تتلمذوا على يد المؤسسة التعليمية الدينية، وإنما أولئك الذين تتلمذوا وترعروا وعاشوا ودرسوا في بلاد الغرب الأوروبي (بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، وغيرها)، وحتى المتهمين

بتفجير برج التجارة العالمي، هم عرب لكن ليسوا خريجي جامعة الزيتونة أو الأزهر أو المدارس الدينية العربية وإنما خريجي جامعات غربية، كمحمد عطا (مصري) المتهم الأول هو خريج جامعة هامبورغ عاش في هوليود، وليد الشهري (سعودي) أقام في فلوريدا ودرس الطيران، وكذلك الحال سطام السقامي (سعودي) وعبد العزيز العمري (سعودي)، وهو بالوقت ذاته رّد أكاذيب الغرب الذين يتهمون مناهجنا التعليمية بالقصور الثقافي وحملها الفكر المتعصب، فالتعصب ثقافة أمريكية لا دخل للعرب فيها، والتعصب هو الذي جعل مشكلة العلمنة والثقرطة حاجز ممانعة لدخول العرب عصر الدولة الحديثة، لأن التعصب لا ينتج إلا الخلافات والانقسامات والفوضى الخلاقة.

أذن نحن هنا نرفض الثقرطة بنفس الرفض للعلمنة، لأننا نرى فيهما اخطاء تاريخية جسيمة تحتاج إلى تصحيح مسار ومراجعة نقدية عربية إسلامية فاعلة؛ وندعو إلى تأسيس جبهة ممانعة للأفكار الغربية المُهينة للعرب والمسلمين سواء أكانت أفكار مدينية كالعلمانية أو أفكار دينية كالثيوقراطية، فالإسلام أكبر من جميع الثقافات.

الإسلام السياسي والمسيحية السياسية:

جوهر الصراع

ما نعتقد إنه الصواب حقاً هو إنْ المشكلة ليس بين الإسلام والغرب كمفهومين، أو ديانتين لهما خصوصياتهما ورمزيتهما في نفوس مريدها ومعتنقيها، وإنما المشكلة في الأفكار المنبثقة عن قيم تلك الديانات، والضخ الأيديولوجي والحضور المميز للإعلام المأجور وافعال السياسة ورجعيتّها، بأعتبار إنْ السياسة المعمول بها اليوم هي سياسة رجعيّة مزيفة وكاذبة تدوم على القيم والأخلاق بقوة الرذيلة.

نحن ندرك جيداً إنه مثلما هناك إسلام سياسي، فبحكم الضرورة أنْ تكون هناك مسيحية سياسية؛ ويهودية سياسية، وكونفوشوسية سيسية، والحديث الدائر اليوم هو ليس بين إسلام رسوّلي وبين مسيحية كلاسيكية، وإنما بين إسلام سياسي حزبي جماعاتي وبين مسيحية كنسية بابوية مؤدجلة، كُلاهما يحاولان تمثيل القيم الأصولية للديانات الكونية؛ والتشبه بإنهما هم الأصل وغيرهم الصورة المستنسخة والمرفوض التعامل معها.

أنْ ما يجهله أو يتجاهله كلا الأطراف حول تناول دراسة الاديان إنه كان يتم دائماً بطريقة أكثر ايديولوجية مما هي معرفية (ابيستمية)، وينسحب هذا الجهل إلى الخلط بين حقيقة الإسلام الأصل والمسيحية الأصل، وأدى إلى اعتماد صورها (المستنسخة) واعتبارها

انها الأصل أو طبق الأصل، لتتّأشكل صورة الصراع الخفي، بل إنْ هذا التصور هو الذي أربك العلاقة بين الإسلام والمسيحية وارتفاع سقف الصراع بين الإسلام والغرب.

ومن هنا تولد الإشكالية بين الفهم الإسلامي للغرب، الفهم الغربي للإسلام، وقلما نجد دراسات تتناول الديانتين بطريقة أكثر موضوعية، حيادية تتسم بالموضوعية، وإنما غالبيتها تتسم بالأدلجة والسياسة والتوجيّه الإعلامي والسياسي المدفوع الثمن مسبقاً من جماعات ومنظمات فاعلة ونشط في صنع القرار العالمي.

"المسيحو فوبيا":

خطاب على الجانب الأخر

يستعمل الكثير من الناس في العالم الإسلامي تعبير "سقوط الغرب"؛ كشعار سياسي لرغباتهم التي لا تقوم على جهود خلاقة، بل على مجرد التَمنْي _ الذي يُدلل على إفلاس قائله _ بأن العالم الإسلامي لو حكم بواسطة حكومة إسلامية فسوف يرث الاتجاهات والعقلية الحضارية التي سُوف تُوّلى عن الغرب حينذاك[٢١٥]، رغم إننا نؤمن جيداً إنْ الخلل في الفكر والعقلية العربية الإسلامية التي لا

---

[٢١٥] المستشار محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، م. س، ص١٠٦.

تمتلك المناعة القوية ضد ميكروبات الغرب الاستعماري، لكن هذا لا يعني إلتزامنا حالة الصمت والخنوع أمام الهجمة البربرية الانحلالية؛ أو رفع رايات الأستسلام البيضاء أمام الهجمة البربرية الكولونيالية.

إن الخلل الأكبر هو صمتنا وسكوتنا أمام الهجمة الاستعمارية الشرسة ووقوفنا مكتوفي الأيدي، في مقصورات الحيرة والشك، نتفرج على ما يفعل بنا الغرب من هتك اعراضنا واستلاب قيمنا الحضارية وتشويه إسلامنا باسم العلمانية تارة، وباسم الدينية (الثيوقراطية) تارةٍ أخرى، بل ونقف عاجزين حتى عن الصمت احياناً!!

وهنا يتبادر لي تساءل يتمحور بالقول:

لماذا لم يطرح المسلمين مفهوم أو مصطلح "المسيحو فوبيا"؛ كردّ اعتبار على اولئك الذين يتطاولون على الإسلام وينظرون إلى الإسلام نظرة إزدراء بعين قاسية ويحاولون الحط من قدره، ولماذا لم نطرح مفهوم "الرّهاب الكنسي"، رغم إنْ ما مارسه الغرب باسم المسيحية تاره وباسم الصليبية تاره اخرى وباسم أوروبا تارات اخر كان يفوق ما فعله الإسلاميين باسم الإسلام بكثير، بل لا يمكن حتى المقارنة بينهما لحجم الهوة والبوّن الشاسع بين حملة صلبية امتدت عشرات القرون استعبدت واذلت الناس، وبين هجوم إسلامي نظري فقط مبثوث على أشرطة فيديوهات ورسائل تهديد ومنشورات على شبكات التواصل الاجتماعي، لسنا ضد المسيحية لكننا ضد

المحسوبين على المسيحية[٢١٦] جُزافا أمثال جورج بوش الأبن الذي يتحدث عشية الحرب على العراق بإن الحرب هي "حرب صليبية مقدسة"، وعلى اليهود الذين يتحدثون باسم المسيحية أمثال صموئيل هنتنغتون الذي يحاول إرعاب القارة الأوروبية عن هجوم مرتقب لخطر أخضر قادم من الشرق العربي لمجرد إنْ يكره الإسلام لأسباب تتعلق باغتصاب أرض فلسطين ومقاومة شعبها من أجل استرداد ارضها المغتصبة، نحن نرد على الذين يقرأون الإسلام بعين مؤدلجة، وبعين مخابراتية تجسسية تسقيطية تجريحية لا قراءة علمية معرفية (ابيستميه) وفق معايير بحثية حيادية، لا أكثر؛ بإنهم هم مصدر الإرهاب ومؤسسيه والتطرّف صنيعتهم، وخلطتهم السحرية الجديدة لتحقيق مصالحهم في المنطقة العربية الإسلامية من خلال إشعال الفتنة ومشاغلتنا طوائفاً سنة وشيعة، إسلاميين وعلمانيين وهم منهمكين بسرقة ثرواتنا وتحقيق أمن الكيان الصهيوني لأمد طويل.

الأنا والأخر: إمكان نقله أعلى!!!

جدّل التسميات

[٢١٦] مثلما نحن اليوم نقف ضد الإسلاميين المحسوبين على الإسلام والعاملين باسمة.

لقد بنى العالم الغربي تصوراته على مجرد أوهام لم ترتق لمستوى الواقع، دائماً يبني اعتقاداته على نظريات يستحيل تطبيقها على الواقع المعاش، لكنه يبنيها بطريقة مؤدلجة وبتنمْيط خاص له، مدفوع ثمن كل كلمة إزاء الإسلام، فالإرهاب الدولي الذي نبع من أوروبا سموه إرهاب إسلامي، والحكومة الإسلامية يرون إنها سيف مسلط على رقاب غير المسلمين٢١٧، والحروب الأهلية المقدسة حروب طائفية، ويشيعون كل ما هو سلبي وجاهلي ليلصقوه بالإسلام، لقد أصبح الإسلام في نظر الغرب حائط قديم يلصق على جدرانه المجعد كل ما يروه غير لائق وغير مناسب، بل وشماعة يعلقون عليها سلبياتهم التاريخية دون حياء أو كرامة.

إذ أسس العقل العربي المستهلك ثقافة هروب من الواقع بالنظر الغربي، وأصبح كل ما يُقال عن الإسلام تتقبله العقول برّحابة صدر وبضحكة مهزوزة من أجل إرضاء الأخرين، لم تعد تلك القيم الإيمانية في نفوس المسلمين تجعلهم يدافعون عن الإسلام بما هو حق، لأن الإسلام شيء والظواهر والأصوليات الدينية والحركات الإسلامية شيء أخر، وضرورة أنْ يُبلغ كل مواطن غربي بإنْ العرب والمسلمين ليس لديهم عداء معهم ولا يكرهونهم، بل إنْ المسلمين العامة لا يمانعون من السفر إلى أوطان القارة الأوروبية والاستئناس بها ومعاشرة

---

[٢١٧] المستشار محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، م. س، ص١١١.

اهلها دون تحفظ أو قيود، وهذا يُدلل تقارب الروحية العربية الإسلامية مع الروحية الغربية المسيحية بالفطرة، ووفقاً لتعاليم الإنسانية التي تمتاز بها الديانتين (الإسلامية والمسيحية) بما هما أدياناً كلاسيكية حقيقية.

الغَرَب: صنْاعة إسلام وفق المُواصّفات الغَرَبيَّة

يحاول الغرب الساعي واللاهث إلى قمع الإسلام ومحاربته وبناء تصوراته النابعة من تخْوفات مبنية على نظريات قد يعتريها الخطأ أو من الصواب، أو العكس صحيح، فليس الأمر ذو شأن إذا كانت النوايا صادقة في تقييم الإسلام، لأن الإسلام أكبر من أنْ تقيمهُ دائرة أمنية استخباراتية تعمل لصالح اجندات معروفة بعدائها وكراهيتها للإسلام، فالغرب لا يدعم إسلام رسوّلي عبادي يقيم منظومة حضارية من القيم والتّسامح والعدالة والنْهضة والتقدم، وإنما يُريد إسلام سياسي يُعبر عما ينقصه أو يفتقد إليه، إسلاماً يتماشى مع التطلعات الأمريكية ومتوافقاً إلى حد ما مع المصالح الغربية ويدافع عنها ويحرسها ولو بصورة غير مباشرة، فالإسلاميون يستحون من علاقة مباشرة مع الولايات المتحدة أو بريطانيا، لذا تجدهم يتحاشون المؤتمرات الصحفية المشتركة معهم، أو أنْ يتطاولون عليهم في وسائل الإعلام إلا ضمنياً، ومخاتلة، أي بمعنى إنهم يتوقون ويدافعون ويقاتلون من أجل صناعة إسلام وفق المواصفات الغربية بماركة

مسجلة؛ وهو اليوم متمثل بالصعود السياسي لتلك الحركات الدينية العاملة في الحقل السياسي العربي.

وإنْ هذا التوّق الأمريكي والغربي على وجه العموم نابع من إنْ للولايات المتحدة مصالح ومطامع في العالم العربي والإسلامي فيما يتعلق بالنفط والموقع الجيو استراتيجي الذي يتمتع به العرب موطن الإسلام الأول، لهذا يسعى الغرب إلى الحوار مع إسلام لا يثير ضغينته أو يستفزه، لأنه يدرك إنْ له مصالح في العالم الإسلامي، وإنْ القوة الشعبية الصاعدة في هذا العالم هي الحركة الإسلامية[218]، ولأن الإسلام صار واقع حال وأمر معاش سواء أكان إسلام عبادي، أو رسوّلي أو سياسي أو حركة اسلامية أو صحوة دينية أو ظاهرة أو حزب سياسي، فكان لزاماً على الغرب الاستعماري انْ يتعامل أو يعمل على صناعة ذلك الإسلام وفق الشروط الاستعمارية فما كان إلا الإسلام السياسي في متناول اليد لصعوبة اختراق الإسلام الرسولي أو النفاذ إليه.

العَرَب: من غزوة مانهاتن إلى غزوة الشانزليزية[219] !

---

[218] حوار مع المفكر الإسلامي راشد الغنوشي، حاورته: مي الزعبي، في: الإسلاميون في الواقع السياسي العربي، م. س، ص٨٨.

[219] نص مقالي نُشر في جريدة العراق اليوم، بغداد، العدد ٢٢٦٩، يوم الاثنين المصادف ٢٠١٥/١/١٢، ص٤.

هز انفجار هائل من نوع الجريمة المنظمة (المدبرة) (أو الهجوم المؤدلج) أودى بمقتل أكثر من (١٢) شخصا في فرنسا بعد الهجوم على صحيفة شارلي أيبدو الفرنسية، وهو ما أثار حفيظة العالم أجمع، وكان العرب أول المنددين بالحادث كعادتهم، فالعرب لا يجدون إلا خطاب التنديد والشجب والرفض، دون تقديم مزيد من التفاصيل (!)، وبنفس اللحظة أتهمت وسائل الإعلام الغربي المسلمين بالوقوف وراء الحادث لسبب بسيط إنْ الصحيفة قبل كذا عام وفي عدد سابق لها نشرت رسوماً مسيئة عن رسول العرب والمسلمين محمد (صلى الله عليه وسلم)، ثم عادت لتنشر كاريكاتير لزعيم دولة العراق والشام الإسلامية (داعش) الملقب (أبي بكر البغدادي).

وإذا كانت احداث ١١/ ايلول ٢٠٠١ سُميت بغزوة مانهاتن نسبة إلى أشهر أحياء مدينة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، فهل يُعقل أن نطلق تُسمية (غزوة الشانزليزيه) نسبة إلى أعظم وأرقى شوارِع باريس التي كثيراً ما يرتاده العرب والمسلمين، هذا اذا افترضنا ان ما قام بالعملين الاجراميين هم عرب ومسلمين فعلاً بدون مؤامرات غربية مدبرة من ذاتها النوعي، ومدفوعة الثمن مسبقاً.

على الفور بادرت وسائل الإعلام الغربي على إلصّاق التهمة بالعرب والمسلمين وفق منطوق الإسلاموفوبيا الذي بدأت يُثير مخاوف القارة العجوزة، كيف لا وهي لا تجد إلا الإسلام شماعة

تعلق عليه هفواتها، أو تبريراتها المُعدة في غرف الدوائر الغربية المخابراتية، أو بالأحرى لا تجد إلا الإسلام كخصم وعدو افتراضي صنعته الدوائر الغربية، ووجدت في الرسوم المسيئة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)؛ وعن زعيم داعش مبرراً لها لصناعة الهجوم أو تدبيره بفعل فاعل حتى تُقنع الشارع والرآي العام العالمي بإن من قام به هم جماعة دينية إسلامية متشددة تنتمي لعقيدة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو لزعيم داعش، فتحاول قدر الإمكان الربط بين الإرهاب والإسلام، وخلط الأوراق بينهما، وإن هكذا أتهام أو توجيه بصمات الجريمة بالسرعة الفائقة لجماعات إرهابية إسلامية متشددة (يُعتقد إنها تنتمي للإسلام) سوف تضع كل العرب والمسلمين في أوروبا في حالة التوقيف والإقامة الجبرية والمراقبة المشددة وتقييد حرياتهم الدينية وإشعارهم بالتغريب، خصوصاً وإن فرنسا أكثر دولة أوروبية تشهد صعوداً إسلامياً، وهناك بعض الاستقراءات والتقارير الميدانية تُشير إلى إن مطلع العام ٢٠٥٠ ستصل نسبة المسلمين إلى نصف سكان فرنسا بلد العلمنة والتنوير والحداثة والثورة والإصلاح في العالم.

إن قيام مسلحين بالهجوم على مقر صحيفة شارلي أيبدو، الموجود في أحد شوارع العاصمة الفرنسية باريس، وإطلاق النار على ثلاثة من رجال الشرطة الفرنسية، بالإضافة إلى إطلاق النار على

العديد من عمال مجلة شارلي أيبدو الفرنسية لم يجد العداء الغربي للإسلام إلا تبرير ربط الهجوم على الصحيفة المذكورة كونها قامت بنشر صور مسيئة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، منذ حوالي بضعة سنوات، وهو ما جعل العديد من الجماعات الإسلامية تتوعد الصحيفة الفرنسية وكافة العاملين فيها بالرد بهجوم مسلح، إضافة إلى قيامها في الأيام الأخيرة، بنشر كاريكاتور يستهزئ بزعيم داعش، الذي نصب نفسه أميرا لدولة الخلافة الإسلامية داعش على حد تعبيره، وهو ما يجعلنا نعتقد إن الهجوم لا يخلو من رائحة المؤامرة التي دُبرت في ليل.

بمعنى إن ربط الإرهاب بالإسلام هو ليس له إلا مبرراً واحداً هو تنشيط الدعوة الغربية إلى تقويض التنامي والصعود الديني للإسلام في اوروبا خصوصا فرنسا والمانيا وبريطانيا إضافة إلى أمريكا، ومحاصرة وتفتيت انبعاثه الحضاري، ونحن هنا لا ندافع عن الإرهاب ولا نروج لبضاعته بل نعنفه وننبذه، لكن لا يجب أن يتم الاتهام على حساب العرب والمسلمين في أوروبا، وإن غزوة الشانزليزية لا تختلف عن غزوة مانهاتن، فكلاهما أمرٍ دُبر في غُرف مظلمة معادية للعرب والمسلمين، وكلاهما من سيناريو الأفلام الهولويودية المفبركة والمدفوعة الثمن مسبقاً من وعلى حساب منظمة إيباك الصهيونية

الناشطة في أمريكا والعالم، لا هدف من ورائها إلا لخلق وصناعة "العدو الأخضر" أي الإسلام على اعتباره عدو افتراضي يتوجب التخطيط والتكتيك المخابراتي من أجل كسر شوكته وتهديده في قعر داره!

صراع الحضارات:

ليس كتاباً وإنما طروحات أيديولوجية خاصة

تعد حالة الصدام أو صراع الحضاري الذي صرح به اليهودي صموئيل هنتنغتون في كتابة الذي حمل عنوان (صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي) إذ لم يكن كتاباً كأي كتاب يفكر ويجتهد صاحبه من أجل عرضه في الأسواق والمكتبات، أو إنه تم كثمرة جهد عملي ومعرفي حقيقي، إنما هو بالأساس خلاصة الأفكار التي تدور في فلك المخابرات الأمريكية والغربية الاستعمارية التي تناصب الإسلام وتعد العدة للتنكيل والتشهير والتسقيط المبرمج له، وأكثر إنهُ عصارة جهود ورغبات المحافظين الجدد في المنظومة الامنية الأمريكية، وإنْ صموئيل هنتنغتون هو أمريكي أولاً، ويهودي ثانياً، فإن لم يحمل عداء امريكي للإسلام فهو بلا شك يحمل كره يهودي للعرب والمسلمين لأسباب تتعلق بفلسطين وغيرها، والأخطر خشية أنْ يحمل عدائين اثنين في جوفٍ واحد، وهذا ما نعتقد به من خلال

قراءاته المبنية على المخبرين السرّيين والعسس والمخابرات والتقارير الامنية وبعيدة جداً عن المراكز البحثية وعن الحقائق العلمية والمعرفية الدقيقة في المعلومة والتصويب.

فهو رجُلٌ خدم في البيت الأبيض وما زال، وعنصر مُتنْفذ في منظومة الأمن القومي، وأستاذ في جامعة هارفارد، فبهذه المكانة الحساسة أوكلت إليه مهمة الترويج لصدام الحضارات منذ العقدين الأخيرين من القرن العشرين، فُكلف بدراسة هذا المؤلف بعد سنوات طويلة ورحلات امنية ومعلومات ساعدته بها المخابرات الأمريكية والغربية ليقدم في النهاية ادعاء ساذج بإن الغرب امام افة وخطر متمثل بالخطر الأخضر أي الإسلام؛ ولا بد من التهيؤ لمواجهته ووقف تمدده وتقليم أظافره بحجة إنه دين كهوفي ظلامي لا يحسن ممارسة الديمقراطية ولا يجيد فقه الحداثة تهكماً سافراً ومزيفاً من منظمات إيباك وعناصره الأمنيين.

مغالطات هنتنغتون تتحول إلى نظرية سياسية عامة

كثيرون ممن أنتقدوا فكرة هنتنغون في صدام الحضارات بين الغرب والإسلام، كونها "نظرية تسير بالاتجاه المُضاد لمسيرة التاريخ"، كونه يحمل رؤية استعمارية قديمة تضع الحضارة الغربية في

مرتبة السيادة على الحضارات الأخرى[220]؛ أي إنها نظرية مغالطة وتنطوي على عدة إخفاقات ومغالطات واضحة وملموسة بالمنطق العملي، فهي تصر على الصدّام بين الحضارات والصراع حتى النهاية، ومن جانبين[221]:_

١_ جانب طبيعي.

٢_ جانب حتمي سيروري.

وبالتالي فإن أخطاء هنتنغتون الجسيمة _ التي نعتبرها أخطاء مقصودة _ اعتبرت "نظرية سياسية في الفشل والأخفاق"، مرتبطة بشخصه هو وبكل مفكر أو كاتب يتناول القضايا السياسية من منبر أمني أو منصة مخابراتية غير دقيقة تعتمد على شراء المعلومة بثمن بخس، لا تحيقة أية أدلة أو معلومات علمية معرفية؛ إنما الغاية منها ترّويج برنامجه وتحقيق مصالح أسياده المعروفين في البيت الأبيض أو الكنيست الصهيوني.

وبعيداً عن جُملة مغالطاته المؤدلجة والمزّيفة تزيّفاً أمنياً استخبارتارتياً؛ فإن هنتنغتون عُد "نقطة التحوّل" في صعيد العلاقات الإسلامية _ المسيحية، (الشرقية _ الغربية)؛ على إنه أول من نقل قضية الصراع ميدانياً أو أعطى لها _ على الأقل _ دافعاً قوياً وزخماً

---

[220] تقديم: كاي حافظ، الإسّلام وَالغَربُ وإمْكانية الحوار، ترجمة:صلاح محجوب إدريس، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥)، ص٩.

[221] م. ن، ص٨.

واضحاً لديناميكية الصراع بين المعسكرين؛ والغافل عن قراءة التاريخ بصورة سليمة، وهو العدو بصهيونيته للعرب والمسلمين ولا ندري كيف لعظمة دولة مثل أمريكا تجعل المتهم حكم في قضايانا معها!!

الفصل التاسع

الإسَّلام وَأمْرِيّكا

حَقَيّقة الإرهْاب والسُقُوط الأمْرِيّكي المدّوي

إلى أين العالم يسير ؟

لا ندري إلى أين يسير بنا العالم ونحن كل يوم نؤبن العشرات ونُشيع ونوارى الثرى بالألوف، ونعزّي الذوين، ونفقد الرفاق، وندفق الأصدقاء، ونواسي الحرائب والثكالى في مشاهد دموية بائسة، لا

يقدم وقتها لنا العالم شيئاً أكثر من باق ورد التعازي وأثواب الحداد السوداء، وبل ويقدم لنا مساحات شاسعة من المقابر الجماعية المخصصة لجمع نفايات البشر!

أنْ الحديث عن القيم الإنسانية في ظل استفحال "ماكنة القتل" بهولوكوستٍ محرم دولياً، ومباح دولياً، وهمهمة أحصنة العرب في مداخلنا، تطارد القفار، وحاصودة المجازر لا تبغي ولا تذر، والعالم شرطي مفوض لا يمتهن إلا إحصاء عدد رؤوس القتلى وتكفينها بأكياس القمامة السوداء، إذ لم تعد للإنسان قيمة في ظل الهمجية الإرهابية التي تُغذيها أثداء الولايات المتحدة الأمريكية بحليب كامل دسم الدعارة، والعهارة.

لقد حاولت الولايات المتحدة وحلفها المشؤوم مع الغرب الاستعماري والصهيونية ومن لف لفها في محاولة مؤدلجة لإلصاق كل تهم الإرهاب في شماعة الإسلام، من أجل كسر شوكته وإعاقته ومنعه من اتمام مشروع النهضة الحضاري الذي جاء به من أجل الإنسانية بالرحمة والمودة والآخاء والتسامح الديني والأخلاق النبيلة والصفات الحميدة، بمعنى إنْ الغرب يمانع ويجاهر بممانعته لهذا المشروع، لكن كيف يكون ذلك، هو ما نسعى إليه هنا في البحث عن الروابط والقواسم المشتركة بين أمريكا والإرهاب، والعلاقات السرية،

والأهداف المشينة من استهداف الإسلام واسباب الكراهية والعداء للإسلام في الدوائر الغربية الأورو _ أمريكية.

تشويه الأصل والصورة

بعض الأفكار النمطية السائدة في الغرب قد تُظهر بربرية المسلم وبداوته وإلصاق كل ما هو مزيف به وبدينه، ومن هذه الأفكار السائدة عن المسلمين التي تبث الخْوف وتُثير الرعب، ثمة مثل على ذلك، حادثة وقعت في ولاية نيوجيرسي عام ١٩٩٩، تجعل المرء ينتبه إلى خطورة الحال، فقد أدعي ريجينالد كوري تحت وطأة الحاجة إلى المال لشراء الهيروويين، وإنه مسلم وسلّم أمين صندوق أحد البنوك ورقة كتب فيها، بسم الله، في حوزتي قنبلة وأنا أرغب في الأستشهاد في سبيل قضية الإسلام. ضع كل المال في الحقيبة، ولا تكن بطلا. فما كان من امين الصندوق المرتعب إلاّ أنْ طاعه بسرعة؛ ثم ما لبثت الخدعة أنْ كُشفت أثر اعتقال كوري.

هذه قصة منقولة من مواطن أمريكي يدعى (بول فندلي) صاحب كتاب: "لا سكوت بعد اليوم"، إنها تحمل معان عديدة أهمها إنْ المسلم في امريكا مساوي للقنبلة وللإنتحاري وللقاتل، والأهم من ذلك إن الكثيرون أمثال كوري يمارسون وينتحلون هذا الزّي الإسلامي وهذه الصفة الإسلامية برعاية حكومية أمريكية من دوائر رسمية تختص بمعاقبة الإسلام والحط من قدره، وتسعى دائبة لتحويل

الإسلام إلى رمز للعنف والأرهاب، ولهذا اخترعت "أكذوبة الخطر الأكثر" لا لسبب إلا لصناعة عدو افتراضي تعوّل عليه تلك الدوائر من أجل إيجاد عدو تتحاجج به من أجل تبرير هجمتهما على العرب والمسلمين وعموم بلدان العالم النامي من أجل النفط والثروة والمال، ولهذا سارعت لاهثة لسن قانون "مكافحة الإرهاب" المشؤوم.

أصل الإرهاب

يُعتبر الإرهاب تسمية حديثة لظاهرة يُفترض إنها قديمة فقط ظهرت في البداية كفكرة سياسية إبان الثورة الفرنسية، وكانت مرافقة لمفهوم الدولة والديمقراطية الحديقة، إذ أول ما بدأ الإرهاب كان "إرّهاب دَوُلة" خلال حقبة (دانتون) و(روبسبير)، وكان عبارة عن عنف جامع تمارسه الدولة ضد اعدائها[٢٢٢]، وهذا هو سيّاقها العام وفهمها الكلاسيكي، لكن الإرهاب الأمريكي مختلفاً تماماً عن مفهوم الإرهاب وفق القاموس الفرنسي لثوراته الإصلاحية والتنويرية.

فالإرهاب الأمريكي هو أرهاب عالمي تُمْارسه دولة حيال دولة أخرى من أجل ارضاخها بالقوة، وجرّها لاقتصاد السوق والعولمة والحداثة المتلبسة بالزّي الكاوبوي الأمريكي، وهذا لا يتم إلا من

---

[٢٢٢] تيري ايجلتون، الإرهاب المقدس، ترجمة: أسامه أسبر، ط١، (دمشق: بدايات للنشر، ٢٠٠٧)، ص٥.

خلال غزو البلدان وتحطيم مؤسساتها وإعادة صياغتها وبناءها وفق الشروط الأمريكية الكولونيالية من خلال اجراءات الحرب الأهلية والتمْرّد والفُوّضى الخَلاقة والطائّفيَّة ليتسنى لها فيما بعد "التقسيم الهادئ"، مثلما فعلت بالعراق اليوم.

فالطائفية بما هي "الدرك الأسفل من سلم المجتمع الوطني والوطنية"[٢٢٣] والتي هي بالأساس نتاج فعلي لعمليات الغزو والاحتلال التي تشنها قوى الاستكبار العالمي من اجل إحكام السيطرة على منابع الثروة _ البترول _ وعلى حماية اذنابها وامتدادتها الاستراتيجية _ الكيان الصهيوني _ في المنطقة العربية بأسم الحروب المقدسة، التي هي في الحقيقة ليس إلا رهاب مُقدس يُغذيه التفسير السلبي للنْصوص الصليبية والدّس الماسوني المُتأصل من الأيدّيوّلوجيَّة الصهيونية، فلم تجد راعية الإرهاب المقدس (الولايات المتحدة) افضل من اللعب بورقة الطائفية والزج بها في العمل السياسي بين اطياف المجتمع خصوصاً في الدول التي تتميز بـ "موزائكية" اجتماعية وتنوع ثقافي كالعراق ولبنان ومصر وغيرها، ومن هنا تولد الإرهاب بعد مخاض عسير ليلد من خاصرة الولايات المتحدة وإنْ أدعت إنه الأب غير الشرعي للإسلام السياسي، إلا إنه

---

[٢٢٣] حسام كصاي، "جدل المقدس والمدنس أو الدين والسياسة"، صحيفة العرب، لندن، العدد٩٦٨٧، في ٢٠١٤/٩/٢٢، السنة ٣٧، ص١٣.

بالحقيقة المطلقة ليس إلا إرهاب الغرب الاستعماري، وإرهاب رؤساء أمريكا وحكماء بني صهيون.

بمعنى إنْ الولايات المتحدة اليوم تصر على أن تظل الراعي الرسمي والحصري للإرهاب في العالم، فهي التي صنعت الجماعات الدينية (الإسلاموية)، وهي التي ترعى الكيان الصهيوني وتدّللها وتحميها وتحتضنها[٢٢٤]، فهي تلعب على الحبلين، تصنع العدو النوعي، كخصم مفترض وتدفع بالصهيونية لمجابهته، بتبريرات ومسوغات كاذبة ومزيفة، وهذا هو أصل الارهاب في العالم اليوم، أي أنه الأبن الشرعي للولايات المتحدة الأمريكية لكن بمسميات أو عناوين إسلامية، إلا إنْ الأصل هو أمريكي بامتياز؛ والماركة مُسجلة في مصانع البيت الأبيض.

الإرهاب ووسائل الإعلام المشؤوم

[٢٢٤] عبد المحسن سلامة، "الراعي الرسمي للإرهاب"، جريدة الاهرام، القاهرة، العدد ٤٦٧٨٠، السنة (١٣٩)، ٢٠١٥/١/٤، ص١٢.

كان هناك مجموعتان مسلحتان اتحفظ على ذكر اسميهما في وطننا العربي الكبير بالعويّل والهزالة والمعاناة، أحداهما تمارس العنف إعلامياً فقط دعاية ساذجة، وأخرى تمارس العنف ميدانيا وعسكرياً، كان الأخيرة تقتل وتذبح وتستبيح الحرمات، وتلقي باللائمة وتمهور الجثث بأختام المجموعة الأولى الإعلامية، التي لا تجد إلا الصمت تعبيراً إعلامياً، لأنها بتصورها إنها أكبر من أنْ يكون لها جناح دعائي إعلامي معتقده إنها جماعة إيمانية بحته، حتى صارت شماعة لكل أعناق ورؤوس وجثث التي خلفتها المجموعة الإرهابية العسكرية الميدانية.

لقد استوقفني كثيراً هذا المشهد، وتساءلت نفسها لماذا هذه الأكذوبة المشؤومة لجماعة إسلامية تدعي النبل والشرف لكنها تمارس أسوى الصفات التي ينبذها الإسلام، وهي الكذب، فالمسلم كل شيء يمكن أنْ يعمله إلا الكذب، وإذا كذب المرء فهو ليس بمسلم، بل إذ كذب المسلم فقد صفته الأخلاقية والإنسانية، والإسلام هو قمة الأخلاق والإنسانية.

بغض النظر عن قداسة ودناسة التشبيه، إلا إنني أجد إنْ الولايات المتحدة الأمريكية تمارس بحق العرب دور المجموعة العسكرية والقتالية، وإن العرب لا يملكون وسيلة إعلامية يردون حماقات الدعاية الأمريكية، وهناك اللوبي الصهيوني والتأثير اليهودي

الاقتصادي والمالوي المالك لأكبر رؤوس الأموال وأضخم المؤسسات الاعلامية في العالم، بإمكانه تبويب وتوجيه العقول البشرية، إذ صارت العقول البشرية عبارة عن "روبوت" تتحكم به أجهزة الريموت (الكنترول) بإمكانها أنْ تجعلك تغاضي هذا المشهد مهما بلغ من مأساوية ووجع، وقادرة على دعوتك المجانية لمشاهد منظر مهما كانت قباحته وسذاجته وهزالته، هذه هي الحرب العالمية الثالثة التي هي بالأساس "حرب تصوير المشاهد"، "حرب الكاميرات" حرب التضليل والأكاذيب والتلفيقات، فلم يعد السلاح العسكري أو الاشتباك أو الهجوم البري أو القصف بالطائرات هو سلاح الحرب، بل أصبحت الكاميرات هي السلاح الأشد ضراوة وفتكاً بقتل الناس، وأكثر صار أخطر من السلاح النووي على البشرية.

ولأن العرب رقماً هزيلاً ومتواضعاً امام هذه الوفرة الإعلامية اليهود _ أمريكية، صاروا عاجزين حتى عن تبرئه أنفسهم، ولا ننسى تلك الأطراف العربية (المحلية) التي تقبل بإلصاق تهم الإرهاب بالإسلام وربطها بالتاريخ الإسلامي لمجرد سبب بسيط وواهٍ متمثل في إنْ تلك الحركات التي تدعي الإسلام تخاصمها على السلطة وتثير مخاوفها من القبض عليها والإطاحة بهم كنظم حكم عربية محلية، بل إنْ النظم الحاكمة اليوم تمارس أرذل الأعمال ألا وهي تتحالف مع الأجنبي والخصم الاستعماري وتستعين وتستورد أفتك

الأسلحة من الغرب الاستعماري لضرب شعوبها وقمعها بهمجية وبربرية أشبه ببربرية حميمتها امريكا، لمجرد إنهم يتبنون خياراً إسلامياً، أو لمجرد إنهم ينظرون إلى الدولة من منظار الدين، ومن هنا تحالفت النخبة الحاكمة والغرب على نبذ الحركات الإسلامية، تحقيقاً لرغبة الغرب الاستعماري.

اذن فالعنصرية الغربية ضد العرب والمسلمين قائمة، وكان ذلك واضحاً وجلياً حيث صرحت رئيسة وزراء بريطانيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي الخارجية "مارغريت تاتشر" إنْ الإسلام هو العدو الجديد[٢٢٥]، وأغلب المؤسسات الغربية الرسمية تناولت الحديث عن الإسلام بنفس الصورة أو مقاربة لها إلى حد ما، والتي عبرت رأيها عن الإسلام بإنه جاهلي، ومُنْحط، وقديم، ورِث، وبالٍ وعاجز عن التقدم، وأفلام مسيئة عن شخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) ورسوم كاريكاتيرية ترسم شخصية الرسول بهيئة قنبلة موقوتة، حتى أصبح الإسلام ورسوله الأعظم، مرمى قذف واتهام ورجم وسائل الإعلام، وبل وصار التنكيل والتشهير والتسقيط بالإسلام هو المادة الإستهلاكية الصالحة للبث المتلفز.

الإرهاب: صناعة أمريكية

[٢٢٥] السيد حمد حسين فضل الله، المدنس والمقدس، م. س، ص٢٧.

تتصدر مُفرّدة الإرّهاب معظم لافتات الحرب التي ابتدعتها الولايات المتحدة وبريطانيا منذ مطلع القرن الحادي والعشرين بحيث تحول هذا الشعار إلى مفتاح سحري لدخول غمار المواجهات المتعددة الابعاد مع كل الدول والتنظيمات والجهات التي تعارض توجهات وسياسات الولايات المتحدة في أربع أرباع العالم٢٢٦، حيث يواجه العالم زخماً متداخلاً ومركباً ومتنامياً من التحديات والمخاطر والتهديدات التي تمس صميم وجوهر الإنسانية في العالم من صراعات على الهوية والحروب الطائفية والجرائم والأعمال الإرهابية٢٢٧ وكله يُحسب في خانة وجعبة الجندي الأمريكي وتصب في صالحه، لأن العصر هو عصر النفوذ الأمريكي بكل قسماته الإيجابية والسلبية، وهناك مفهوم مرتبط بمفهوم الإرهاب ألا وهو مفهوم النظام العالمي الجديد بما هو نظام يحدد طبيعة العلاقة بين الدول على اساس توازن المصالح وليس توازن القوى، حيث يرى صموئيل هنتنغتون بإن النظام العالمي الجديد يتبلور في (صدام الحضارات والأديان)، في حين يرى جورج هربرت بوش (الأب) إنْ ماهية النظام العالمي الجديد تكمن في رؤية شاملة للعالم من دون

---

٢٢٦ السيد محمد حسين فضل، المدنس والمقدس، م. س، ص١١.

٢٢٧ جمال سند السويدي، أفاق العصر الأمريكي: السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد، ط١، (الأمارات، ٢٠١٤)، ص٢٠.

حدود فاصلة، ويرى أنْ هذا النظام يجب أنْ يتحرر من الإرهاب[228] ومن هنا ربما برر الرئيس بوش (الأب) و(الأبن) حربهما على الإرهاب من أجل نظام عالمي جديد عولمي يحدد المسارات الدولية ويضبطها بالإطار الأمريكي، لدرجة أصبح النظام العالمي الجديد يحمل ملامح امريكية استعمارية، وهو ما يتسق بتوافق الرؤيتين البوشية (الحرب على الإرهاب) والهنتنغونية (صدام الحضارات).

وهو ما يظهر صورة توقعات (مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق) "جيميس بريجينيسكي" الذي تحدث عن التفوق الأمريكي في ظل نظام القطب الواحد الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية من أجل بسط مفاهيمها وثقافتها على الأمم والشعوب العالم الثالثية، فكان تفوقاً على حساب القيم والتقاليد المحلية لدول العالم النامي.

وإن هذا التفوق والنهوض والثوران الأمريكي لا يتم بدون نزعة عدوانية همجية متمثلة بزّي الإرهاب، ومن هنا كان لزاماً على الدوائر الغربية السعي إلى بلورة أو صناعة عدو افتراضي، وصناعة إرهاب مرتبط بهذا العدو، فأفترضت تلك الدوائر عدواً بثوب إسلامي، متمثل بنزعة أصولية أساسها غربي مسيحي (بروتستاني أو كاثوليكي) لا أصل لها في الإسلام أو ثوابته أو أدبياته، والذي هو بالأساس مفهوم واصطلاح مستعار من البروتستانتية الأمريكية لوصف الظاهرة

---

[228] م. ن، ص٢٦.

"أنْ الجماعات الإسلامية تشكل خطراً داهماً" وترى قله النظر إلى الإسلام بإنه "خطر أخضر" كبديل محتمل ذاتي التدمير للتنافس بين الشرق والغرب[٢٢٩] فسنت له قانون مكافحة الإرهاب الذي هو بالأساس قانون موجه لمحاربة العرب والمسلمين.

خطاب الترّهيب

يقول الشيخ حسين الخشن إنْ للخطاب الترهيبي تأثيرات سلبية تنعكس على الإنسان وتؤدي به لانحرافات خلقية أو قيمية، قد تفوق تأثيره الايجابي، ومن هذه التأثيرات هي[٢٣٠]:_

١_ اليأس من روح الله

٢_ التنفير من الدين

٣_ الانكفاء والانعزال

لهذا وبمجرد القراءة السريعة لطروحات الشيخ الخشن يتأكد لنا إنْ الإرهاب ومشتقاته هي ليست من صنع الإسلام ولا من أدبياته،

---

[٢٢٩] صموئيل هنتنغتون، الإسلام والغرب: أفاق الصدام، ترجمة: مجدي شرشر، ط١، (القاهرة: مدبولي، ١٩٩٥)، ص٧١.

[٢٣٠] الشيخ حسين الخشن، الإسلام والعنف: قراءة في ظاهرة التكفير، م. س، ص٢٥٤_٢٥٥.

فهو جاء بالرحمة والحكمة والموعظة الحسنة، ولم يأت بالشدة والغلاظة لدرجة التكفير والتنفير، فهو يقبل كل إنسان مهما بلغ من معاصي بمجرد التطهر والتوبة، وإنْ لم تتب فأنت مسؤول عن نفسك، الإسلام دين طوعي وليس إجباري لا يفرض قيمه على الإنسان وانما يدعوه وينصحه، فالدين النصيحة، ومن هذا المنطلق نستطيع القول إنْ العرب والمسلمين لا يحملون عقدة بالمعنى الإنساني ضد الغرب[٢٣١] ودليل ذلك إننا لا نوظف أموالنا أو نغسلها من أجل قنوات فضائية وإعلام سمعي وأخر مرئي من أجل التشويه بالغرب أو بالمسيحية، إضافة إلى إنْ أغلب العرب والمسلمين لا يجدون الغضاضة في الأبتعاث لأي دولة اجنبية بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة، وكذلك هجرة الأف بل الملايين العرب إلى الغرب كل هذا يمثل "غياب عقلية الكراهية للغرب"، والعرب تمتلك رؤوس أموال ضخمة بأمكانها أن تصنع وسائل إعلام مضادة للوسائل الغربية التي تشوه سمعة ومكانة العرب والمسلمين لكنهم لا يعاملون الأخر بالمثل، وإنما نعاملهم بأحسن منها وهذا هو الخلق الإسلامي القويم وعادات العرب النبيلة، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى.

وقد ساهم العرب في تقدم الغرب في العلوم الطبية والصحية والبايولوجية، وكثير من العرب اندمجوا ضمن النسيج الاجتماعي

---

[٢٣١] السيد محمد حسن فضل الله، المدنس والمقدس، م. س٢٦.

الغربي دون حرج أو غضاضة[232] لأنهم _ أي العرب _ يعدون العلاقات الدولية والسياسات الخارجية التي تستهدف أوطانهم إنما هي مسألة مصالح دولية بين نخب حاكمة على مستوى القمة والنخبة لا دخل لها على مستوى سلوك وتصرفات عامة الشعب، وربما هذه الميزة الفريدة والوحيدة التي يتسم بها أبناء الجالية العربية عن غيرهم من مواطني الأمم والشعوب الأخرى.

مفهوم الفوضى الخلاقة

خلال فترة الرئيس الأمريكي الاسبق جورج ووكر بوش (الأبن) ظهر مفهوم الفوضى الخلاقة أو البناءة (**Constructive Chaos**) والذي هو بمثابة أحد سمات النظام العالمي الجديد والتي تعني دفع التناقضات الجارية داخل البنى الاجتماعية والسياسية في المجتمع؛ في أي دولة غير مستقرة داخلياً تخضع لنظام حكم تسلطي لتفصح صراحة عن مطالبها دون قيود[233]، وهو بالأساس مخطط يستهدف لإحداث القلاقل والبلبلة في منطقة الشرق الأوسط وصولاً إلى إعادة رسم الخريطة الجيوسياسية وفقاً لحسابات المصالح

[232] م. ن، ن. ص.

[233] جمال سند السويدي، أفاق العصر الأمريكي، م. س، ص٣٣.

الأمريكية والصهيونية في المنطقة اتساقاً وتوافقاً لما يسمى بمشروع "الشرق الأوسط الكبير"[٢٣٤].

"فلم يجد الغرب الأورو _ امريكي تطبيقاً لنموذج الفوضى الخلاقة التي خط ملامحها المستشرق اليهودي برنارد لويس من خلال تقسيم المنطقة العربية الى دويلات وأقاليم تضمن استمرار العجز السياسي العربي مقابل هيمنة وسيطرة غربية تحافظ على بقاء التفوق الصهيوني بالمنطقة واستمرار تدفق الثروات العربية الى الأسواق الغربية"[٢٣٥]، فهو صانع الإرهاب والفوضى لكنه يخاتل، أو يستخف بالعقل الإنساني محاولة يائسة منه لإقناع العالم بإن العرب مصدر الإرهاب، أو تعريب الإرهاب بعد نزعة التغريب منه قشورياً.

ومن هنا نجد إنْ نظرية الفوضى الخلاقة التي لا تختلف بؤساً وشقاءاً عن الحداثة والعولمة والغزو بما هي مصطلحات شائهه تلفيقية مُفبركة تم توظيفها امريكياً من اجل رغبات عدوانية مُبيّته تُريد نهم

---

[٢٣٤] مصطفى بكري، الفوضى خلاقة أم مدمرة: مصر في مرمى الهدف الأمريكي، ط١، (القاهرة: الشروق الدولية، ٢٠٠٥)، ص١٠.

[٢٣٥] حسام كصاي، "التسويق الطائفي ونظرية الفوضى الخلاقة"، موقع الحوار المتمدن، العدد ٤٣٨٧، في ٢٠١٤/٣/٨، على الرابط التالي:_
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=404478

ثروات المنطقة العربية الغنية بالبترول الاستراتيجي، .. لهذا فهي مُرتبطة أشد الارتباط بالدوائر الغربية الأمريكية التي تعمل من أجل "رَهبنْة" الإسلام أو إضفاء صبغة العنف عليه.

الإرهاب أمريكي وليس إسلامي

أذا كانت أمريكا تعاقب عالم كله يبلغ قرابة الأكثر من سبعة مليار مسلم بسبب تصرف شخص واحد كأسامة بن لادن أو شخصين أو ثلاثة، وتعاقب جمهورية كاملة بسبب تصرف عبد الباسط مقراحي بتفجير طائرة لوكربي، وتحتل دولة كاملة بسيادتها ومقامها بسبب تصرف شخصي لصدام حسين لرفضه الانصياع لسياساتهم في المنطقة أو للمارسة التسلط إزاء شعبه، فمن الذي سيعاقب أمريكا بفض بكارات ملايين النساء المسلمات، وتهجير ملايين أخرين، وقتل ونفي وفقد الملايين منهم، وحرق المصاحف وهدم المساجد وأستباحة الحرمات وهتك الأعراض وتدنيس العتبات وتمزيق وحدة الاوطان، وإنتهاك حقوق الإنسان داخل مباني منظمات حقوق الإنسان (!!)؛ وهي حامية القانون العالمي، ومُشرعة له وشرعنته الوحيدة.

متى يصحو العالم على ما تفعله الولايات المتحدة الأمريكية من تدمير أمم وشعوب بسبب اعمال فردية وشخصية لا ترتقي حتى للتنظير بشأنها، ولماذا لا نعاملها بالمثل، على تصرف جورج بوش في

العراق الذي أباد وأحرق وأسفك دماء الملايين بحجة امتلاك اسلحة دمار شامل فاكتشفوا وجود ألعاب نارية تصلح لعباً بيد الأطفال يطلقونها بالهواء في الأعياد والمناسبات!!

من العار أنْ يصمت العالم على ما تفعله أمريكا في العرب والإسلام من محاربته، تعميم سبه ولعنته وتشويه سمعته، لماذا يُحاكم المقراحي أو يُحرق بن لادن أو يُسحل القذافي ولا أحد يجرأ على محاسبة جورج بوش وتوني بلير الذين أضحت زيف ادعاءاتهم للحرب، الذين فعلوا ما لم يقدمه الإسلاميين على مدار التاريخ مثلما فعله بوش في حربه على العراق، لسنا من أنصار القذافي أو بن لادن ولربما نختلف معهم فكرياً وفقهياً، لكننا نُريد فقط رّد الاعتبار الامريكي للعرب لحفظ ماء الوجه لا غير.

لم تعد هناك محكمة دولة قانونية، أو دستورية أو أممية كل ما موجود هو محكمة أمريكية بواجهة أممية، تصدر أحكامها سياسياً وأيديولوجياً، تميز أوراق المجرم وفق لتقارير سرية مخابراتية لا وفقاً لشهود وحلف ويمين وتحقيق واعترافات دون ضغوط، وهذا هو بؤس وشقاء وزيف العالم الذي نعيش في كنفه.

ثم اتساءل هنا هل أحتل العراق الولايات المتحدة، أم هل هاجمت طالبان الأفغانية الجيوش المعسكرة في امريكا أو ألمانيا، إنهم يطلقون علينا مصطلح الإسلاموفوبيا لمجرد تخوف من هجمات

لمتشددين لا تخرج عن دائرة الفرضية والاعتقاد (يوتيوبيا خالصة) و(فنتازيا فجة) وهمية، بينما الدماء تسيل من كل الشوارع والقصبات (واقعاً معاشاً) (تراجيديا حيه) من بغداد إلى تطوّان، جراء عمليات الغزو الاستعماري ولا نجرأ أنْ نقول مصطلح "المسيحيوفوبيا" رغم إنْ الرئيس بوش عشية الحرب على العراق صرّح بإنهُ يخوض "حرب صلبية مقدسة" ضد اعداء المسيحية، وإنْ الإرهاب يؤخذ ويُبحث في النتائج دوماً وضحايا الإرهاب غاليتهم من العرب والمسلمين، إذن فإن المسبب للإرهاب هو عدو الضحايا، عدو القتلى، عدو العرب وعدو المسلمين، ولا عدو إلا الولايات المتحدة الأمريكية بلا منافس أو شك في ذلك.

فإن الرّبط بين الإسلام والإرهاب، والإسلام والحرب، ليس سوى نوع من المغالطة تروم لأهدافٍ أخرى تتناقض مع الحقيقة، فلم يلجأ المسلمون ـ في عز قوتهم وأوجها ـ إلى القتال إلا دفعاً للأذى والعدوان عن بلادهم وممتلكاتهم ودينهم٢٣٦ وهو ما جاء بقوله تعالي: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا انْ الله لا يحب المعتدين﴾٢٣٧؛ والإسلام لا يدعوا للقتال إلا في حالتين رد

---

[٢٣٦] إبراهيم نافع، جنون الخطر الأخضر، م. س، ص١٠١.

[٢٣٧] سورة البقرة، الآية (١٩٠).

الأذى والدفاع عن النفس؛ والحفاظ على دماء واموال واملاك المسلمين.

اذن فالإرهاب امريكي بشقين: الأول ارهاب دولة منظم عالمياً، والثاني إرهاب امريكي محلي، حيث أنْ الولايات المتحدة الامريكية هي الدولة الأولى _ حسب التقارير الأممية _ من حيث حجم الجرائم والقتل والعار والاغتصاب!

أكذوبة الخوف من الإسلام (الأكذو فوبيا)!

لقد عمد واضعوا نظريات الإرهاب الأمريكيين على _ بقصد أو بغيره _ أجنده رسمية بتصوير تيار الإسلام السياسي على إنه تيار جهادي وجماعة عنيفة لا تعرف الحدود ومتعددة القوميات، وتُمثل تهديداً قاتلاً للغرب، بينما دفع بعض الخبراء من نوعية المحافظون إلى ضرورة شن حرب شاملة ضد أي مظهر من مظاهر الإسلام السياسي[٢٣٨]، فكانوا أكثر فبركة وتضليل للمعلومات الاستخبارية عن الإسلام وصقلها بصبغة أيديولوجية مضللة.

وبهذا فقد صنعت الدوائر الغربية الاستخباراتية صورة مشوهة وناقدة وطاعنة للإسلام، وحاولوا ربط كل فعل أو تصرف عدواني

[٢٣٨] د. فواز جرجيس، الإسلام السياسي وأمريكا، م. س، ص٣٢.

يبديه مسلم أو غير مسلم بالإسلام زوراً وبهتاناً، ولنطرح في هذا السيّاق تصوراتنا الواقعية وفق آليات النظرية البرغماتية في تحليل الأحداث، ولنتساءل من هم ضحايا العمليات المسلحة التي يقوم بها "إسلاميين متشددين"، _ محسوبين على العرب والمسلمين_؛ فالطرح البراغماتي دائما ينظر في تحليله على النتائج وليس على المُسببات وهذا هو المنطق السليم في ظل اختلاط الصور وضبابيتها؛ ويصب في منهجية وضرورات البحث العلمي الرصيّن والدقيق.

ليس هناك أكذوبوفوبيا أشد ضراوة من تلك التي مثلها الرئيس الأمريكي جورج بوش الأبن حامي الصليب، وحارس المسيحية والناطق الرسمي باسم السماء ووكيل الرب في الأرض، هو يحتل دولة لها مكانها وعراقتها في التاريخ ليقل في أول خطاب له بعد انتهاء الحملة العسكرية على العراق بإننا جئنا محررين لا فاتحين، وبانت بعد أيام بربريته وثقافته الهمجية في ممارسة العنف بكل قسماته، ثم أدعى إنه جاء لحماية حقوق الأنسان فأستشرف بتشييد "سجن أبي غريب"**٢٣٩** لممارسة أبشع صور الإساءة والتعذيب من استعمال الأدوات الممنوعة حتى في مضاجعة السجناء وكلام لا ينبغي قوله

[٢٣٩] سجن رمْمه الأحتلال الأمريكي في العراق في منطقة أبي غريب غرب البلاد؛ لإيواء السجناء وإنزالهم فيه من أجل الحرية والسلام!!

لاحترام العلمية التي نتحدث عنها وبها، والاغتصاب والوحشية والهمجية، ثم ادعى إنه جاء من أجل ترسيخ مبادئ الديمقراطية ولا أدري كيف للسيد بوش أنْ ينقل لنا الديمقراطية على ظهر الطائرات الأف (١٦)، والشينوك والبلاك هوك، وعلى رؤوس الصواريخ المُدّببة، وإدعى إنْ العراق يمتلك اسلحة دمار شامل فدمر العراق تدميراً شاملاً فلم يعثر إلا على الألعاب النارية للأطفال!

أنهم يمارسون معنا أبشع صور الرعب والقتل والفتك، ولا نجرأ أنْ نطلق عليهم مسمى الغربوفوبيا، أو المسيحو فوبيا، وهم مصنع الكذب، ومعمل التلفيقات، الممول الوحيد للأباطيل في العالم، ثم يعودون ليتحدثوا إلينا عن خطر الإسلام، والتخْوف لشيء قد يحدث أو لا يحدث اسمه "الرّهاب الإسلامي"، أي فجاجة عقل هذه، وأي جهالة تفكير، يستنبئون من مجرد تهويل بواسطة الماكنة الإعلامية التي يمتلكها الغرب بأسهم يهودية ليشنون حروب ويسنون قوانين ويجوقولون جيوش بناءاً على تكهنات زائفة، فالمعلوم إنْ أغلب وسائل الإعلام العالمية هي مملوكة لتجار وممولين ومستثمرين يهود بامتياز _ صهيونيون على وجه الدقة والتحديد _؛ وهنا تتأكد "أدلجة التخْوف من الإسلام" وصناعة العدو الأفتراضي على تصورات يهودية_ صهيونية تبناها الغرب الاستعماري حامي ارض اورشليم المغتصبة بالجرافات الصهيونية والبروتوكولات والاحلاف الغربية.

مفهوم الشرق الأوسط الكبير:

نظرية احتواء الإسلام

لقد زرع الاستعمار غدة "سرطنْة" ألا وهي "الاغتصاب الصهيوني" لفلسطين الذي شكل الحاجز الفاصل بين شطري الأمة الأسيوي والأفريقي، وكان بعد ذلك المشروع الصهيو _ أمريكي المسمى "الشرق الأوسط الجديد" الذي يسعون من خلاله ضرب هوية الأمة ووحدتها واستقرارها[٢٤٠] وفق عملية مُمنْهجة ومُعدة سلفاً؛ بناءاً لتقديرات أمنية لا تتبرأ من الأيديولوجيا.

وإنْ مفهوم الشرق الأوسط هو مصطلح غربي أوروبي مركزي، ويتكون من جغرافية مُبهمة قد تشير لدى البعض التنوع الكبير من المجتمعات واللغات والثقافات أو مواجهته بتسمية أقل أثنومركزية[٢٤١]، يحمل دلالات خفية وأخرى مُعلنة، تتمحور كلها

---

[٢٤٠] مقدمة: د. أسعد السمحراني، العروبة والإسلام، ط١، (بيروت: دار النفائس، ٢٠١٢)، ص٧.

[٢٤١] د. سامي زبيده، م. س، ص١٦٩.

بربط منطقة الشرق الأوسط بمنظومة تحدد مساراتها وتتحكم بسياساتها الولايات المتحدة الأمريكية، مع إعطاء القيادة والتفوق للكيان الصهيوني، ومنح نصيباً بذلك متمثل بهبتها دور شرطي الخليج لأيران حتى تتم محاصرة الأمة العربية ووضعها بين مطرقة وسندان تحرك كماشتها الغرب الأورو _ أمريكي.

أي أنْ الغاية من طرح فكرة مشروع الشرق الأوسط الكبير لا تخرج عن إذابة الحضارة العربية الإسلامية وصهرها في ثقافات أقل قيمه وأضحل تاريخ، ثقافة هامشية مُحدثة، حتى يعلو شأنها باسم مغاير يتناسب مع حجم الهيمنة البربرية الاستعمارية، ولا حاجة للتدليل أو طرح الفرضيات من أمكانية فائدة الغرب من حضارتنا من عدمها.

فالمعلوم إنْ الشرق الأوسط هو مفهوم استعماري يخفي كراهية ونظرة ازدراءيه للعرب والمسلمين، بمعنى إن الغرب لا يحب طرف للإسلام، ولا يفكر أصلاً من تقديم يد العون والمساعدة لنا من باب إنساني أو أخلاقي، فكيف تتوافق الإنسانية مع الحرب العدوانية لأسقاط النظم والحكومات العربية والإسلامية، بل وكيف يمكن للديمقراطية أنْ تجلس الى جانب الإرهاب في مقاعد طاقم طائرات الأف ١٦ والبلاك هوك وغيرها وهي تقصف العواصم والمدن العربية، إنه أمر مذهل ومخجل ومثير للدهشة.

أنْ منفعة الشرق الأوسط الكبير كمفهوم تصب في مصالح الغرب الاستعمارية ومضارها على العرب والمسلمين، الهدف منه احتواء خطر الإسلام الفوبيوي المؤدلج ومحاصرة مشروعه الحضاري، ووقف عجلة تقدمة، إذ إنْ موّجة "مقرّطة" الحياة اجتاحت اغلب مناطق العالم إلا إنها أهملت الشرق الأوسط[٢٤٢] والعالم العربي والإسلامي على وجه التحديد، ومن هنا نجد إنْ استثناء العالم العربي والإسلامي من عملية المقرطة ناجمة عن قصد ومؤامرة مدسوسة.

وبعد احتلال العراق وسبق ذلك احتلال افغانستان صرح جورج بوش (الأبن) جاء ليتحدث لنا عن مفهوم رث هو مفهوم الشرق الأوسط الجديد الذي استعمله والده الرئيس لتخدير العقول وإيهام البشرية، ويبدو إنْ شهية الولايات المتحدة قد تفتحت من جديد وسال لعابها بغزارة لإحياء مشروع الشرق أوسطية ودمج الكيان الصهيوني في المنطقة[٢٤٣]، شرط أنْ تبقى هي المتفوقة على كل الأصعدة، وشرط أنْ تتم عمليات "الشرقطة" على حساب دول العالم العربي والإسلامي كشرط أساسي.

[٢٤٢] تيموثي ميتشل، الدَّيمُقراطيَّة وَالدَّولة في العالم العربيّ، م. س، ص٢٩.

[٢٤٣] عبد السلام حمدي اللمعي، صراع الحضارات أم حوار الدبابات، ط١، (القاهرة: وهبة للنشر، ٢٠٠٥)، ص٣٣١_٣٣٢.

وفاة الخطاب العربي الرسمي

يُخيّل لنا أنْ نَطرّح ونتّساءل هنا بمبادرة ذهنية في طرح تساؤل لماذا توفي الخطاب العربي الرسمي إزاء ما هو معلن في السياسة الأمريكية العدوانية التي تُشهر بالإسلام والعرب ؟؟

ليس هناك من شك إن من أول وأهم اسباب وفاة الخطاب العربي الرسمي إزاء هذه الهجمة الشرسة التي يشنها الغرب الأورو ــ أمريكي (الكولونيالي) يقابله صمت بنفس الشراسة (!) التي يواجه بها الحكام والساسة العرب دون حياء أو كرامة، هو ناجم عن مسألتين أولهما إنْ الحكام العرب في غالبيتهم هم حكام منصبين بوحي أمريكي استعماري (حكم الطفرة النوعية من القبيلة إلى الدولة)، وإنهم بحكم الحال لابد انْ يُكرموا سيدهم وألا يخرجوا عنه ويشقوا عصى الطاعة الأمريكية، بل إنهم يستحون من رّد الخطاب الأمريكي المُمنهج على الإسلام، ولا استثني الحكام العرب المتجلببين بالعباءة الإسلامية ممن ينتمون لفصيلة "الثقرطة" بل إنهم على غالبيتهم لا يستطيعون رّد الخطاب الغربي المشوه لصورة العرب والإسلام، ولهذا نجدهم غالباً يعبرون عن ذلك بإطلاق حملة إيمانية لتعليم القرآن

الكريم أو حفل زفاف لولي ولي ولي العاشر للعهد، أو الحديث عن رائحة مؤامرة تفوح حول مائدة الوطن، ففي حضرة السلطان الأمريكي ممنوع اللغو فمن مس الحصى فقد لغى، ومن لغى لا ولاية جديدة للحكم له!!

أضف إلى ذلك إنْ من بين تلك الأسباب الثانوية لوفاة أو عجز الخطاب السياسي من أنْ يكون على قدر المسؤولية هو قلة الاهتمام وغياب مراكز الأبحاث التي تتناول الحركات الإسلامية فهم فئة محدودة وقلة متواضعة[٢٤٤] ومن هنا كان الخطاب السياسي الرسمي خطاب شبه ميت، ضعيف وعاجز ومجوف، لا يصلح إلا أنْ يكون خطاب فجاً لدولة ناقصة السيادة أو تابعة لحكم امبريالي، أي إنه لا يعدو أنْ يكون إلا خطاباً دون مستوى الدولة.

الإرهاب: نقطة الخلاف الإسلامي _ الأمريكي

أصل الخلاف الشائع بين الإسلام والغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص _ إضافة إلى حلفاءها في الحلف الأطلسي _ هو انهم يرفضون التمييز بين القتال من أجل الدفاع عن النفس والعرض والأرض والوطن، وبين القتال باسم الإرهاب والجرائم ضد

---

[٢٤٤] د. نبيل عبد الفتاح، سياسات الأديان: الصراعات وضرورات الإصلاح، ط١،(القاهرة: دار ميرات للنشر، ٢٠٠٣)، ص٣١.

الإنسانية، بل إنهم يعتبرون الجهاد ضد الاستعمار إرهاب، وحروبهم ضد الإنسانية جهاد، لقد اختلطت المفاهيم ضمن القواميس الغربية الكولونيالية، ولم تعد هناك كرامة أو ضمير في هذا العالم.

أنْ الإسلام يرفض الإرهاب بما هو الإساءة للمدنيين والأبرياء، وهو يفرق بين الإرهاب وبين حركات التحرر والدفاع عن النفس[٢٤٥]، لكن الدوائر الأمريكية ترفض هذا التمييز الإسلامي بين نقيضين تماماً، وتحاول بشتى السبل تضبيب الصورة وقتامتها، فالولايات المتحدة، والغرب _ عموماً _ يعتبرون كل عمل عدواني هو عمل إسلامي يعني هو عمل إرهابي في النهاية، حتى لو قُتل جندي أمريكي أو غيره سواء في بغداد أو برلين، ولا يسألون أنفسهم أو يحاسبون تصرفات رؤسائهم الطائشة، عما يفعلوه باحتلال البلدان واستعمارها وانتهاك حرمات ومقدسات شعوبها، ماذا لو احتل العراق الولايات المتحدة، هل سيقف الأمريكان مكتوفي الأيدي، أو يستقبلون الجنود العراقيين المحتلين بمد لهم البساط الاحمر والجوق العسكري ورشهم بباقات الورد والهلاهل والأهازيج، ولماذا يرفضون فقه المقاومة التي هي شرف الإنسانية سواء مقاومة الأمريكي لغاصب أرضه، أو العربي المسلوبة حريته، أو الهندي المستباحة حرماته، هي حق شرعي لكل إنسان على وجه الكره الأرضية، وهي ما

---

[٢٤٥] السيد محمد حسين فضل الله، المدنس والمقدس، م. س، ص٢٧.

ضمنته البنود والمواثيق الدولية ونصت عليه هيئات الأمم والمنظمات الإنسانية والشرائع السماوية، لكن الغرب يتجاهل ويتغابى كل الأمور، ويريد حصر الإسلام وحركاته السياسية الجهادية ضد القوى الاستعمارية والاعمال الإرهابية التي تشنها بعض تلك الجماعات الدينية في خانة واحدة وهي خانة الإرهاب، في حين إنْ الإسلام يُميز بين منطقين للعمل المسلح أحدهما جهادي مقاوم للتحرر والدفاع عن النفس وهو (عمل مشرف)، وأخر إرهابي عنفوي لقتال المواطنين الأجانب والرعايا وموظفي السفارات والصحافيين العاملين في البلدان الإسلامية وهو في الإسلام منبوذ ومرفوض (عمل مدنس) لا يبت بقيم الإسلام وأخلاق العرب بصله لا من بعيد ولا من قريب؛ فالإسلام يعنف القتل إلا بالدفاع عن النفس ورد الأذى.

نحن نُريد إسلاماً جهادياً مقاوماً مشرفاً لا يسفك دم الحرمات أو يستهتر بقتل البشرية، لكن الغرب يريدون إسلام إرهاب وقاتل مأجور يستبيح الحرمات وينتهك المقدسات ويغتصب الأعراض، فكان على الغرب لزاماً ضرورة مراجعة حساباتهم مع الإسلام حتى يتقوا شر الإرهاب لأنفسهم واحتراماً لعقيدتنا الإسلامية السامية وقيمنا العربية النبيلة.

ولكي تحفظ أمريكا على حياة جنودها ورعاياها ومواطنيها لا يجب عليها أنْ تحذرهم من السفر إلى البلدان العربية أو تحيطهم

بهالة الاحترازات الأمنية المشددة، وإنما عليها أنْ تراجع نفسها وتصلح ذاتها، وتعترف بمقام وقيمة وحجم الإسلام ذلك القوة الحضارية المتدفقة والضاربة في جذور التاريخ، لأن الاحترازات الأمنية والتحذيرات العسكرية ليست إلا معالجات موضعية ترقيعية مؤقتة.

وما يمكن قوله هنا هو إنْ الخلاف الإسلامي _ الأمريكي هو خلاف فكري يحمل في ثناياه أيديولوجيا عدوانية خاصة مبنية على نظريات يستحيل أنْ تجد لها ممارسة على أرض الواقع، إذ ترفض الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين الاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها وحكم نفسها بنفسها، بينما يريد المسلمين ذلك وهو حق ديمقراطي لكن المثير للدهشة إنْ راعية السلام والديمقراطية في العالم (امريكا) تحجر وتقتل هذا الحق للشعوب المغمورة، والدولة المتهمة بالاستبداد والدكتاتورية والتطرف تريد ممارسة ذلك الحق الديمقراطي.

افول التفوق الأمريكي

تعتمْد سياسة الأمن القومي الأمريكي التي استقرت عليها الولايات المتحدة منذ سنوات طويلة على ضمان تفوّق أمريكي ساحق على أي قوة أخرى في العالم وتوجيه ضربات وقائية ضد أي دولة ترى

واشنطن إنها يمكن إنْ تهدد الآن (أو في المستقبل) المصالح القومية الأمريكية الاقتصادية أو الأمنية[٢٤٦] فيرى "فريدمان" إنْ كل العالم خلا الولايات المتحدة لا يملك سوى أنْ يقتفي أثر التفوق الأمريكي والسير في ركابه، وهو ما يؤكد بقوله ضرورة أنْ تتقبل السوّق والتقنيات الحديثة كقوى للهدم لا البناء، .. وأنْ تتمم جميع معاملاتها في إطار الانفتاح والشفافية وعندما يتحقق ذلك تندمج الدولة بكل سهولة في عالم العولمة[٢٤٧].

فليس صحيحاً في المنظور القريب إنْ تتوافق مقولة هنتنغتون بإن "الغرب ضد الباقي" وإنما الأمد القريب سيشهد الباقي ضد الهمجية الأمريكية "الكاوبوية"، وما يحصل من تضعضع أمريكي في أكثر من جبهة بعد هزيمتها في العراق وانتكاستها في افغانستان وأزمتها المالية كلها مؤشرات أسست لأفول الهيمنة الغربية الرأسمالية والمستقبل كفيل برّد نظريات صموئيل هنتنغتون وتصورات جورج بوش الأبن، وهو ما تشير ملامح ظهور عصر الانحطاط الأمريكي؛ الذي أصبح نتأمله ونتبشر به من أجل عالمٍ سامي خالٍ من القهر والجور والتمييز والعنصرية وثقافة الكراهية التي تُريد أنْ ترغمنا لرّكوب موجة

---

[٢٤٦] عبد السلام حمدي اللمعي، صراع الحضارات أم حوار الدبابات، م. س، ص٣١٤.

[٢٤٧] دينيس سميث، الأجندة الخفية للعولمة، م. س، ص١٤٣.

الصدام بين الحضارات مع إفشال أي مخطط يدعو للحوار بين الأديان والحضارات.

عصر الإنحطاط الأمريكي

لقد أوشكت شمس الأمريكية على الأفول، والمغيب بعد عهدٍ من الظلام الدام والحروب القدسة والأعمال البربرية والوحشية المُخلة بالشرف والأخلاق والقيم الإنسانية، فهناك زّف بشائر بنهاية العصر الأمريكي، والذي من شأنه سينهي عصراً من السياسات الخاطئة والممارسات المعيبة التي غيرت أدمية الإنسان وشوهت العقل الغربي في العالم.

مما لا شك فيه إنْ العصر القادم هو عصر النمْور الأسيوية، والصعود السياسي والتقاني هو صعود اسيوي بأمتياز، وعندها لن يتبقى لأمريكا من حلفاء إلا أشتات العرب وسقط متاع المسلمين، ممن يعتاشون على ضالة أمريكا وقتاتها الذي ترميه إليهم كما يرميه راعي تكساس لعوائل حديقته الحيوانية، إنني أجزم بإندفاع العرب نحو الشعوب والدول الأسيوية الصاعدة (اليابان، الصين، الهند، الباكستان، تايلند، ماليزيا، تايوان، سنغافورة، الكوريتين، واندونيسيا وغيرها) لعدة أسباب لذلك التحول ولعل من بين اهم تلك الأسباب هو إنْ العرب والمسلمين لا تربطهم بتلك الدول الصاعدة أية تاريخ

سلبي من الحروب والقتل والحملات الاستعمارية القديمة ـ الجديدة، إذ لم يشهد التاريخ أي حالة صراعية أو عدوانية أو حرب تاريخية بين العرب والصين، أو مع اليابان أو غيرها من دول النمور الصاعدة، بل إنْ الرصيد التاريخي الحافل ورأسمال الميراث الحضاري بين حضارتين عريقتين، وموروث ضخم في حسن العلاقات والتجاور الجغرافي كانت ماثلة، إضافة إلى قضية أكبر من الموقع الجغرافي ألا وهي قضية إنْ انهما يعتبران العرب والصينيون والأسيويون يمثلون من اعرق حضارتين في الشرق والعالم ألا وهي الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الكونفوشوسية والهندية، في إنْ العرب كانوا في ظل الهيمنة الأمريكية يقابلون دولة لا تاريخ لها ولا حضارة، لقيطة استولت على أرض فبنت فوق جماجم سكانها وطناً لها أسمته الولايات المتحدة الأمريكية الكولومبوسية الكرستوفية[٢٤٨] التي لا يتجاوز عمرها إلا البضع سنوات.

وغالباً يسعى من لا تاريخ له إلى هدر قيم صاحب التاريخ وتجاوزه، والتقليل من قيمته التاريخية ونبذ ثقافته والنظرة إليها نظرة أزدراء وتعسف محيق، وهذا هو بالفعل ما فعلته الولايات المتحدة حيال العرب والمسلمين وبقية الشرق.

---

[٢٤٨] نسبة إلى كريستوف هيل مكتشف امريكا.

أن موضوع التنبؤ بانهيار الحضارة الغربية ليس وليد الساعة ولا من ارهاصات المفكرين الذين يراقبون بقلق مظاهر الاحتضار في جسدها، ففي مطلع القرن العشرين تنبأ الفيلسوف الألماني "شبنجلر" بالمصير المظلم الذي ينتظر الحضارة الغربية، في كتابه الضخم "أفول الغرب"[٢٤٩]؛ وأنْ تأكيد السقوط الغربي الأمريكي (الكولنيالي) وانهياره سوف يركز على المؤشرات الرئيسية التي تتلخص في أربع عوامل؛ ألا وهي[٢٥٠]:_

١_ العوامل الاقتصادية: تعمل العوامل الاقتصادية دوماً على إنهيار الامبراطوريات، والدليل الاتحاد السوفيتي، وهناك ثمة مؤشرات للإنهيار الأمريكي مثل: ارتفاع العجز في الميزانية الامريكية، ارتفاع العجز في الميزان التجاري، ارتفاع الديون الامريكية العامة، امتلاك الصين وحدها على نحو تريليون من سندات الخزينة تكون قادرة على إسقاط الامبراطورية الأمريكية، تكاليف الحربين ٢٠٠٢ و٢٠٠٨، ارتفاع تكلفة الحرب على العراق وافغانستان إلى (٤:٦) تريليونات دولار، مضاعفة ميزان الدفاع، تراجع النمو في الناتج المحلي

---

[٢٤٩] فتحي شهاب الدين، سقوط أمريكا والغرب والبديل الإسلامي، تقديم: عبد المنعم سليم جبارة، ط١، (القاهرة: مؤسسة أقرأ للنشر، ٢٠١١)، ص٩.

[٢٥٠] فتحي شهاب الدين، سقوط أمريكا والغرب والبديل الإسلامي، م. س، ص٣٢_٤٦.

الاجمالي، افلاس أكثر من ١٥٠ بنكاً أمريكياً والقائمة تطول وكلها تؤشر لانهيار أمريكي مرتقب وفق التاثير الاقتصادي.

٢_ العوامل السياسية: أنْ الولايات المتحدة الأمريكية بدأت تفقد مكانتها على الصعيد السياسي الرسمي، وقد ذكر مُعلق امريكي مشهور (باتريك بو كانون): بإنْ الكونجرس الأمريكي هو أرض احتلال اسرائيلي، إضافة إلى غياب الديمقراطية الأمريكية داخل امريكا.

٣_ العوامل الثقافية والحضارية: أنْ الثقافة الأمريكية اليوم واقعة تحت وطئه التجارة والسوّق والثروة والابتذال، فلا يمكن انتاج موسم ثقافي متزّن، فالمجتمع الامريكي تتفشى فيه الأمية بنسبة ٢٣ مليون امريكي يتراوح عمره في سن الثامنة عشر ويسودهم التخلف؛ أضف إلى جهلهم بالتاريخ، ذلك لحداثة تاريخهم بالأساس لأنهم دولة مبدتعة وحضارة مُحدثة لا رصيد حضاري ثقافي لها أكثر من مفهوم الإغارة والسطو والنهب والاستغلال.

٤_ العوامل الاجتماعية: وتتمثل بالتفرّقة العنصرية فما زال الزنوج السوّد (أصل أمريكا) يعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية، أو الرديئة، ويعانون التهميش والإقصاء، ومحرومين من الحقوق السياسية والمدنية ومُعرضين لمهانات وتفرقة بينهم وبين البيض واضحة ومعلنة؛ وبالتالي عزّزت فكرة تمزيق النسيج الاجتماعي من الداخل وهو بدوره قد يكون أرضية مناسبة لأنهيار الولايات المتحدة أو عامل ثوري

وناري لقيام ثورة ضد الجور والظلم والتعسف في قلب البيت الأبيض.

كل هذه الدلالات تبعث مؤشرات بأفول عصر الهيمنة الأمريكية وسقوط النيزك الامريكي المفاجئ، وبروز قوة بديله، لا أعتقد أنْ يكون البديل إسلامياً، _ بالوقت القريب على الأقل فالأمة العربية تعيش أسوء مراحلها في التاريخ _ كما تصور الباحث فتحي شهاب الدين وغيره، وإنما البديل هو أسيوي من دول النمور الأسيوية ولو في المنظور القريب، لكن البديل الإسلامي قد يحل لكنه ما زال الوقت طويل والمسافة بعيدة يحتاج أشواطاً إضافية للانبثاق، وعمليات تراتبية تبدأ، كتنظيف السلم من الأعلى إلى تحت، أي بمعنى تطهير النظم والنخب التسلطية الحاكمة؛ ونزع حجاب العقل الملتحي وهدي العقل المُحلق، بأعتبار إنْ أزمة الأمة العربية هي أزمة عقل في كثير من جوانبها لسوء التقدير والتفكير.

السقوط الأمريكي

يتحدث الجنرال المتقاعد "هاميلتون هوز" في كتابه (السقوط التراجيدي لأمريكا عام ٢٠٢٠م) عن نهاية أمريكا وسقوطها وانحطاطها وهذا ما يتوافق مع رؤيتنا وطروحاتنا التي نتوقعها لأمريكا، فالحضارة الأمريكية كغيرها تمر بمراحل التطور التاريخي، بالنظرية

الداروينية والآن فهي تعيش لحظات احتضارها، وهي تضرب بأقدام الشيخوخة بالأرض تلامس القبور والنهايات الأليمة.

إذ رأى هوز إنْ من أهم اسباب نهاية امريكا هو غياب البعد الأخلاقي والإنساني وتجويف الحضارة الغربية وإفراغها من محتواها الرسمي، مستعرضا الظواهر الاجتماعية التي رهلت الحضارة ودنست الثقافة والقيم مثل انتشار حالة تحول الرجال إلى نساء، والنساء إلى رجال لأسباب عاطفية أو لشذوذ جنسي وبدواعي "الحرية الشخصية" وإنْ الإفراط من ممارسة تلك الحرية في مجتمعنا تجاوز كل الحدود وتخطى الأنماط السلوكية وانتشرت الظاهرة وصارت مادة وسائل الإعلام الغربي التي تخدش الحياء[٢٥١]، إضافة إلى انتشار الظاهرة الموسيقية (الروك الصاخبة) وشدة التعلق الأمريكي بها رغم إنها موسيقى مبتذلة وكلماتها مبتذلة مع ذلك فهي تسلب لب الأمريكيين وتولعهم بها وهو دليل على تعلقهم بكل ما هو مبتذل وتافه وساقط[٢٥٢]، كلها عوامل مهدت ودفعت باتجاه السقوط الأمريكي.

حيث يخصص هاميلتون هوز الفصل الخامس من مؤلفه المذكور اعلاه تفصيلاً كاملاً للسقوط الأمريكي فتحدث عن الظواهر المجتمع الأمريكي: لقد رسمت صورة كئيبة ومحزنة لأمريكا من

---

[٢٥١] م. ن، ص٧١.

[٢٥٢] م. ن، ص٧٢.

خلال فصول هذا الكتاب، ولا أدَّعي أنْ رأيي غير قابل للخطأ، إلا أنني لست الوحيد الذي رسم هذه الصورة المرعبة والمخيفة عن أمريكا، وأجد نفسي مضطرًّا لأن أردد ما قاله آرثر كروك Arthur Krock: "يساورني خوف شديد من أنْ فترة سيادة الولايات المتحدة بروزها كقوة عظمى ووحيدة في العالم ستكون من أقصر الفترات في التاريخ"[٢٥٣]، وأضاف هوز: "إن الولايات المتحدة تعيش في حالة غير طبيعية من الاشمئزاز والتقزز وخيبة الأمل، وليس السبب في ذلك كله الحكومة وحدها؛ بل إنْ الشعب ايضّا أسهم وبشكل كبير في هذا الانحدار، وإنه سقوط ولكن من نوع أخر؟!!"[٢٥٤].

فالسقوط الامريكي أتٍ سواء بسبب الحركة التطورية والسيرورة التاريخية للظواهر التي تندرج الحضارات ضمنها، أو بسبب سقوطها من الداخل وانزعاج الغرب من تحويلها إلى ملهى للسياسة وسوق للدعارة غابت عنها القيم الإنسانية وأصبحت الحضارة الغربية بفضل التفوق الأمريكي آلة تعدي وانبطاح وإذلال البشرية، وتجريد للقيم الإنسانية وسقوط لكل الاخلاق فكان لزاماً أنْ يبحث العالم عن بديل حضاري ينقذ البشرية من هذا المأزق، ولا أجد غير البديل الحضاري

---

[٢٥٣] م. ن، م، ص٧٤.

[٢٥٤] م. ن، ص٧٤.

الإسلامي، لكنه لم يحين وقته، أو إنْه ما زال بحاجة لمزيد من الوقت والنضوج؛ وما نتوقعه إنْ القرن القادم هو القرن الأسيوي، بلا منافس، من حيث التّقانة والثورة المعلوماتية، لكن يجب أنْ يوضع الإسلام في حسابات الجميع لأنه بلا أدنى شك هو الخيار الوحيد للبشرية لأنه منهاج كامل للحياة وضامن حقيقي لإسعاد البشرية والمنقذ لهم.

ردّة الفعل:

صورة الأمريكي في عين العرب

لقد فعلت السياسات الأمريكية الشيطانية والعدوانية المروق بالقيم الإسلامية تجاوز حد المعقول لدرجة صار العربي والمسلم يخشى أنْ يكشف عن هويته في أمريكا أو أي دولة أوروبية، لأنه بدأ يشعر بالحيف والظلم والإنكسار من الداخل، والسبب نتيجة الدّس الماسوني وفواعل اللوبي الصهيوني المحرك الأساسي للسياسة الأمريكية والغربية في العالم، والمالك لأغلب وسائل الإعلام (السمعي والمرئي) الموجهة ضد العرب والمسلين، والبعض منه للأسف الشديد موجه ضد العرب والمسلمين وباللغة العربية لغة أهل الجنة والقرآن ونبيه الأكرم !!

أنْ الأمر بعث بالسلبية على الإنسان العربي، لكن هذا له مرّدوده العكسي والسلبي على المواطن الأمريكي ذاته، فالكراهية والعنصرية والحقد لها مضاداتها وعواقبها الوخيمة، ومنها إنْ هذه الكراهية للعرب أعطت وجهاً وحشياً وهمجياً للإنسان الأمريكي في العيون العربية والإسلامية، وصار الاعتقاد السائد للأمريكي في التفكير العربي إنه _ أي المواطن الأمريكي _ همجي، كاوبوي، راعي بقر وأبل، إنسان رّث ومنْحط ومتوحش، وإنْ صورة كل مواطن أمريكي صارت تتماثل أمام المواطن العربي والإسلامي بصورة جورج بوش (الأب والأبن) وهي صورة راعي بقر (الكاوبوي)، وصورة رجل بربري متوحش قبلي مُنحْدر من أصول المجتمع "اليانك" يحمل كل الصفات السلبية والمنبوذة.

اذن فالمشكلة ليست مع جورج بوش أو روزفلت أو ريغان أو جونسون أو تاتشر ولا في هذا الرئيس أو ذاك، وإنما المشكلة في الواقع هي في الرأسمالية الأمريكية الأنجلو سكسونية المفترسة التي تعاني من سرطان في روحها[٢٥٥] تُريد السطو والهيمنة على البلدان والشعوب وسرقة تراثها وحضارتها وثروتها؛ أي بمعنى أنْ المشكلة أو الإشكال ليس في الأشخاص وإنما في السياسات الرعناء والأيديولوجيا المريضة والبغيضة التي تفرض عمل المقدسفي

---

[٢٥٥] عبد الحي يحيى زلوم، حرب البترول الصليبية، م. س، ص١٣.

المدنس؛ وبالتالي يُصبح الانسان فأر التجارب والمختبر الذي تُجرب فيه صلاحية الأسلحة البربرية والسياسات القمعية الهمجية الطائشة وغير المدروسة.

***

الفصل العَاشر

مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب في ظل الإسلاموفوبيا

مدخْل أخيّر

في نظرة فاحصة للعلاقة بين ألأنا والأخر (الإسلام والغرب) يُظهر لنا شريط المعلومات الدقيق؛ بإن الخلاف بين الشرق والغرب هو ليس خلاف ديني وإنما سياسي، بريئة منه الأديان السماوية السامية، فالإسلام أكثر ديانة تحترم المسيحية وتدافع عنها، ولا تنظر لهم نظرة إزدراء، فنبي العرب (صلى الله عليه وسلم) تزوج قبطية من أهل مصر، وهو دليل يقطع الشك بعدم عداونية أو كراهية العرب

والمسلمين للغرب؛ والسيد المسيح (عليه السلام) مصونة مكانته ونبوءته في القرآن الكريم، ومريم امه الطاهرة التي مثلت قدوة نساء العالمين في الطاعة والعفافة والوقار، ومشاهد كثيرة تريح أذهان العقل المُثقف للأنا وللأخر؛ بمعنى إنْ الخلاف الإسلامي _ المسيحي اليوم هو ليس خلافاً دينياً مطلقاً، وربما هو خلاف أصولي _ أصولي.

وفي حقيقة الأمر إنْ جُمْلة الخلاف هي "قضايا سياسية" مُتسمة بسموم الأيديولوجيا؛ يحاول التعبير عنها رّاكبي موّجْة الأديان من رجال الدين العاملين في حقل السياسة، هم من أراد اللعب بوّرقة المقدّس من أجْل المدّنس، ويسعون لذلك وإنْ تطلب الإطاحة بالقيم الروحية للأديان أو للقيم الروحية لها أو للإنسانية أجمع.

أنْ عنصر ترّابط الخلاف أو الصراع الإسلامي _ المسيحي هو "الصهيونية العدوانية"؛ وليست اليهودية بمعاناها العام، وإنما في النزّعة الصهيونية التي لا ترى سلاماً للعالم، فنهاية صراع الغرب والشرق يعني نهاية الكيان الصهيوني وجلاءه عن أرض العرب؛ ومن هنا فهم يُشدّدون على حتمية الصراع من أجل مستقبل كيانهم اللقيط.

الإسلام والأخر

يتوّطد الإسلام اليوم ويتماسك ويمْتد على أرض صلبة بوصفة اللغة السائدة التي تعبر عنها فئات اجتماعية عديدة عن هويتها ومطامحها واحباطاتها[٢٥٦]، وإن الإسلام باقٍ لم يحرك ساكنة صدمْة فعل حداثوي أو هجْمة عدوانية أو مؤامرة مُحاكة، لأن الله حفظ هذا الدين بالبقاء إلى الأزل بقوله تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢٥٧]، بل إنْ التآمر على الإسلام لا يزيده إلا قوة وصلابة وتمتين ورّص صفوفه، والتاريخ ملئ بالحوادث والدّسائس والحيل، والتاريخ ملئ أكثر بحفظ هذا الدين سموه وعلياءه وترفعه عن كل شيء.

وما ينبغي التأكيد عليه والإشاره له هو إنْ علاقات الإسَّلام بالغَرَب في المستقبل لا تنبع من صدّام الحضّارات[٢٥٨]؛ وقد بدّدت التجارب والمعطيات التاريخية نظرية هنتنغتون واثبتت فشلها وأطاحت بقيمها وموروثها البحثي[٢٥٩]، فلا صراع ولا دمار ولا قطيعة للعلاقة بين الإسلام والغرب، وإنْ ما حصل ويحصل من هجمات ارهابيين على منشأة ومبّانٍ غربية أو بالعكس من هجوم واحتلال واستعمار

[٢٥٦] د. سامي زبيدة، م. س، ص١٩.

[٢٥٧] سورة الحجر، الآية (٩).

[٢٥٨] كاي حافظ، م. س، ص٢١١.

[٢٥٩] أو بالأحرى الاستخبار والامني المبوب والموجه.

غربي لبلدان عربية وإسلامية يمكن أنْ نعتبره أو نضعه في خانه "الأمور الطبيعية" فالمسيحية قاتلت المسيحية واسفكت دماء فاقت كل دماء الحروب مجتمعة في العصر الحديث، وما يحدث اليوم من قتل وارهاب وذبح بين العرب والعرب؛ وبين الإسلام والإسلام هو أكثر بكثير من غيره، أي إنْ طبيعة الصراع الإسلامي _ المسيحي مسألة اعتيادية ونتاج طبيعي لنفسية البشرية وبالتالي لن تكون الحرب إلا مرحلة تاريخية قد تنتهي بالمستقبل القرب، أو قد تموت ويولد غيرها.

الأصولية والصهيونية

ينظر الأنا [العرب والمسلمين] للصهيونية على إنها هي الأخر الغربي بوجهه الاستعماري، الإمبريالي، الرأسمالي، العدواني، التبشيري، أي تحمل صبغة الأخر بكل قسماته وعناوينه، وهو أعتقاد صائب فالغرب السياسي "النخبوي السلطوي" في مُجمْلة مداهن للحقائق الإنسانية وأكثر إندفاعاً للصهيونية من العرب أو الوقوف ألى جانب الصهيونية في قضايا الصراع والمواقف الدولية الأخرى، لأسباب الوفرة المالية الصهيونية المالكة لأكثر قطاعات الانتاج في أمريكا والعالم بحكم الثراء المادي، إضافة إلى إنْ "أرض فلسطين" كانت الملاذ الأمن والوحيد لخلاص المسيحيين من فوبيا اليهود

وإبعادهم عنهم، فالدفاع عن العرب يعني الدعوة لعودة اليهود إلى أوروبا ما قبل عهد هتلر والحرب العالمية الشهيرة بالقتل والمذابح.

وبالمقابل يسعى التوجْه الصهيوني لبذّل مجهوداً حربياً كبيراً من أجل تقويض العرب والمسلمين وردّهم إلى عقر دارهم بضربهم بـ "مفاعل الطائفيّة" في الصميم؛ من خلال زّج ثقافة التطرّف ملفوفة بالدين، وتقديمها على إنها هي العنوان الأكبر للإسلام، وتصوير إنْ الإسلام مصدر الإرهاب في العالم، وهو تصور ربيبهم وأبنهم المدُلل بأحضان أمريكا (هنتنغتون) الذي يشاطر العالم بطرح أفكارة المزيفة ومعلوماته التجسسية، فصدام الحضارات أظهر لنا وللعالم إنْ صموئيّل هنتنْغتون هو ليس بكاتب أو مُنْظر بقدر ما أظهر لنا إنهُ مُجرد مُخْبر سرّي وعَيَّن من عيوّن المخابرات الغربية، وعامل بصفة خادوم لسياسات الأب بوش.

وأنْ الكيان الصهيوني يعمل مذ البدء بشحن الرأي العام الغربي ليس ضد الأصولية فقط بل ضد الإسلام بصورة عامة[٢٦٠]؛ فهم لا يدافعون أو يسعون لصناعة إسّلام سياسي إلا لضربه بالإسلام الرسولي

[٢٦٠] د. احمد الموصللي، الاصولية الاسلامية والارهاب، في: جان فرانسوا بايار، (وأخرون)، الإسلام والفكر السياسي: الديمقراطية _ الغرب _ ايران، تحرير وتقديم: د. رضوان زيادة، ط١، (الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠)، ص٦٤.

كضد نوعي، يقوض حجم الثاني ويُحرر الأولي لينفذ مساعي الصهيونية من فتنة وتذابح وحروب اهلية وتمزيق وتقسيم ودويلت شائه ومتحاربته لا تنتهي حتى يُصبح الكيان الصهيوني متفوقاً في كل الجوانب بما فيها الجانب الديمغرافي أو السكاني.

انبعاث الإسلام

بالمؤكد إنْ انبعاث الإسلام من جديد، أو العودة إلى الإسلام لا تتم بالعودة الى الأصولية الإسلامية بما هي أيديولوجية حزبية مُتسمْة بمعنى جامد لا تكتسب فكر الحياة المتجددة، غامضة، أحادية التفكير، قطعية النصوص، ترفض الليّن مقابل نزوع فذّ ومُطلق للشدة والغلاظة لتبرير راديكاليتها في وقت يحتاج الإسلام إلى مرونة دون التنطع، وتشدد دون الغلو، ومن هنا ضاعت قيم الإسلام بين تيار سلفي مُتشدّد عنده الغلو في الدين سبيلاً، وبين تيار صوفي انحلالي عنده التنطع في تأديه العبادات مآلاً، الأمر الذي كسر هيبة الإسلام بين مجتمع اسلامي حائر ومتحير، يتبع من، ويترك من، إنه أمر ضبب الصورة وشوه ملامحها، وجعل المسلم مضطراً للكهانة، أو أجُبر على إرتداء وشاح القساوسة، _ كإسلام سياسي لا غير _؛ بما هي نظام وساطة بين العبد وربه، وهم ما يتنافى مع قيمة الإسلام وثوابته الروحية والحضارية.

ومن هنا يقول المفكر الفرنسي "روجيه غارودي" إنْ انبعاث إسلام حي غير ممكن اليوم إلا إذا عاود اكتشاف كل ابعاده، تلك التي صنعت عظمته في أصوله وفي مراحل عزه، ومن هذه الأبعاد هي[٢٦١]:_

١_ البعد الشمولي وهو البُعد القرآني الذي لا يحصر بهذا التراث أو ذاك.

٢_ البعد الاجتماعي وهو الذي ينفي غاية المصالح المتصارعة.

٣_ البعد الانتقادي أي ضرورة الاجتهاد تبعاً لمتطلبات العصر.

وبتوفر هذه الأبعاد في الإسلام سوف تضع حداً للهجمات الغربية للإسلام، وتوقف نزيف الحركات الإسلامية التي تطيح بقيمه وقدّاسة الإسلام بين تيار متنطع وأخر مغالي، كلاهما يوظفان الدين بطريقة فجْة لا تراعي إلا مصالحهم الشخصية وشهواتهم ورغباتهم، فالإسلام ليس متطرّف، ولا مُتنْطع لحد الهزّال، الإسلام دين وسطي اعتدالي منضبط وفق أطر الشريعة الإسلامية، بل هو معادلة حسابية واحد زائد واحد يساوي اثنين، لا غير؛ والزيادة فيه؛ كالنقصان في أمور الابتداع والإحداث وللسنن المبتدعة.

---

[٢٦١] روجية غاروي، الأصوليات المعاصرة، م. س، ص٩٦_٩٧.

إنْ المؤلم هو إنْ الإسلام ضّاعت قيمة بين البعض (الطريقة الصوفية) الذين يسنون ويبتدعون سُنن مُحدثة ويتغافلون على سُنن عملها الرسول، وبين البعض (الطريقة السلفية) يهجرون نصوص قطعية الدلالة ويتخاصمون ويتقاتلون على مسألة السواك، أو التمجيد قبل وبعد الأذان، حتى تقهقر الدين في قلوب الناس، فالإسلام لا هذا ولا ذاك، فالإسلام أنْ تتمسك بالسُنن المُتفّق عليها، وتترك الأبتداع، وأنْ تفضل النصوص القطعية على الثانويات في رّحبة الإسلام.

وإننا لا يمكننا تصفية الحساب مع الغرب الاستعماري ونحن نخوض حروب الاعماق ضد الأعماق، وأقصد بها حروب العرب ضد العرب، والمسلمين ضد المسلمين بما تسمى الحروب الأهلية التي تُغذيها النزعات الطائفية التي أعد سيناريوهاتها الولايات المتحدة توافقاً واتساقاً مع الرغبة البربرية لضرب منظومة الإسلام في قعر داره العرب حاضن الإسلام ومعقله القديم؛ ذلك لأن "الخلاف السني ــ الشيعي هو ثمرة الطائفية المُترسخة في العقل العربي المسلم وهذا ما يتطلب تقريب وجهات النظر بين الفرقاء الاسلاميين داخل المنظومة العربية، او بالأحرى بين السنة والشيعة"[٢٦٢]؛ وبدونهما وتوحدهما

---

[٢٦٢] حسام كصاي، جدلية العلاقة بين الدين والسياسة في الفكر العربي المعاصر: برهان غليون ومحمد عمارة، (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، (غير

لن تُشكل جبهة ممانعة ومقاومة للغرب الاستعماري وتوجيه خطاب سياسي وديني عربي حقيقي.

أن الخصومة السنية _ الشيعية، أو السلفية _ الصوفية، أو الإسلامية _ العلمانية هي مؤامرة أمريكية استعمارية، من أجل توجيه السلاح العربي عن الكيان الصهيوني وتصويبه إلى رؤوس المسلمين أنفسهم، وهذه هي قمة الحروب القذرة التي يُراد تأليها وإضفاء طابع القداسة عليها.

فالسُنْة والشيَّعة صُنْوان، هم جناحا الإسّلام، من يُشكك في ذلك فهو بحاجة لفحص مختبري، إنْ الإسلام هو سني وشيعي، صوفي وسلفي، حنبلي وجعفري، معتزلي واشاعري، كلها عناوين ومسميات تلتق في النهاية تحت عباءة الإسلام، بمعنى إنْ كل الطرق تؤدي إلى مكة في النهاية مع اختلاف الطريقة في تأدية العبادة.

لماذا جورج بوش؛ وليس الأمير تشارلز

أتساءل لماذا كل ما يصلنا من الغرب هو تصريحات لمسؤولين أماركة أو براطنة أو فرنجة أو جرمان أو طليان تمتثل بكونها مقولات رنانة تُشهر بالإسلام وتنعته بأغلظ الألفاظ، ولماذا لم ينقل لنا أحد

منشورة)، القاهرة، جامعة الدول العربية/ معهد البحوث والدراسات العربية، ٢٠١٢، ص١٨٤.

خطاب الأمير تشارلز وريث العرش البريطاني _ الذي يكون بهذا المنصب رئيس فخري لكنيسة أنجلترا _الذي يقول عن الإسلام: "يمكن للإسلام أن يعلّمنا اليوم طريقة للفهم والعيش في عالم كانت المسيحية هي الخاسرة عندما فقدته. ذلك أنّنا نجد في جوهر الإسلام محافظته على نظرة متكاملة إلى الكون. فهو يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، وبين الدين والعلوم، وبين العقل والمادة. وقد حافظ على نظرة ميتافيزيقية موحْدة عن أنفسنا، وعن العالم من حولنا"[٢٦٣]، وأحاديث وأقاويل مقاربة إنْ لم تكن أكثر تلاحم واهتمام بالغ بالإسلام وهي شبه مغيبة أو ممنوعة الانتقال أو الوفود إلينا، والعكس _ بالنسبة _ لهم صحيح تماماً.

وهذا الكاتب والفيلسوف الكبير برنارد شو (١٩١٠) يتحدث عن عظمة محمد (صلى الله عليه وسلم) ويقول: "إنني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم في عالم بأجمعه، لتم النجاح في حكمه ولقاده إلى الخير، وحل مشكلاته على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة" وأقاويل كثيرة منها للروسي تولستوي وللفرنسي الشاعر لامرتين والامريكي واشنطن ارفنج والسير وليم ميور واميل درمنغم وبورسورث سميث وغيرهم كثيرون.

[٢٦٣] بول فندلي، لا سكوت بعد اليوم: مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أمريكا، ط٥، (بيروت: شركة المطبوعات للنشر، ٢٠١٠)، ص٥٥.

أنْ ما يحدث كل يوم عن أحداث جسام من عمليات تزوير للأديان وتلفيق للحقائق، هو أمر لا يخدم الطرفين لا العربي (الإسلامي) ولا الغربي (المسيحي)، لأن التشويه للحقائق سيوهم ويخدع الملفق ذاته وسيرتد الأمر إلى أعقابه، فما بالك بالأخر، وباعتقادي إنْ الخلل بين المنظومتين أو الطرفين هو إنْ كلاهما حدق إلى النصف الفارغ من الكأس ولم يحدق إلى النصف الممتلئ، وهنا بدأت المشكلة تتأشكل في ذاتها، وتتعقد في محيطها، وعقم المسألة في رطانة الذات، بمعنى أنْ الجميع كان ينظر إلى سلبيات الأخر مع تجاهل تام للإيجابيات، المسلم ينظر إلى خطاب جورج بوش أو تاتشر أو قس متعصب أو كاتب حاقد على الإسلام، ولم ينظر الأمير تشارلز، أو برنارد شو أو تولستوي أو لامرتين أو دور منغم، ورأيهم بالإسلام، وبالمقابل فإن الأمريكي أو الغربي عموماً كان ينظر إلى خطابات الحركات السياسية الجهادية الراديكالية، يستمع إلى خطب بن لادن أو أيمن الظواهري أو ابو مصعب الزرقاوي أو أبو عزام المقدسي ولم يلقي بالاً إلى خطب وأقاويل احمد الطيب، أو الشيخ محمد حسان، السيد علي الأمين، الشيخ يوسف القرضاوي؛ الشيخ هاني فحص؛ الأمر الذي يُعَمْق الفجوة ويجعل إحساس كل طرف إنه مُهدد في كيانه وهويته ووجوده، وضرورة التنكيل والقذف والتشهير به حتى تشوه صورته وتتعرى أمام العالم.

أذن قضية الخلاف الإسلامي _ الغربي هي نفسية متعلقة بأيديولوجيا ونزعة مغلوط فيها أكثر مما هي سياسية، وإنْه صراع ثقافي أو معركة ثقافة، ربما صحت نظريته صانع الصدام هنتنغتون، لأن الغرب لا يستسيغ حضارة متأصلة وضاربة في التاريخ، مرشحة لقيادة الأمة في المستقبل القادم، وإنه مخطئ تماماً لأن الصراع ليس ثقافي، أي ليس بين ثقافة اسلامية وأخر مسيحية، لأن بوش وهتنغتون ولوي، لا يمثلون المسيحية كثقافة أو كدين، أو كحضارة، وإنما يمثلوها كأيديولوجيا ضيقة محصورة في حزب أو جماعة عدوانية، إنها الصهيونية المسيحية، في حين إنْ المسيحية الأصولية بريئة من كراهية الغرب الاستعماري الذي تقود مشروعه الولايات المتحدة واذنابها في انحاء العالم.

كلمة بحق أمريكا

لماذا تُحْارب أمريكا العالم، إنها بلا شك، تمارس نفس السياسة اليهودية _ الصهيونية، التي لا تستطيع البقاء والإستمرار بدون وجود خصم أو عدو مفترض، والدليل على ذلك إنْ تاريخ امريكا القصير رغم حداثته إلا إنها استطاعت في هذه المدة القصيرة أنْ تخوض أربع حروب من المعيار الثقيل، ضد دول لها وزنها ومقامها ومكانتها

في الحضارة والتاريخ، بل ضد دول أم الحضارات، لا ادري هل تشعر بالنْقص في داخلها فتلجأ لمحاربة دول الحضارات الضاربة في عمق الأصالة والتاريخ، إذ بدأت أول حروبها ضد ألمانيا (حضارة الغرب الأم) والدولة العثمانية (الحضارة الإسلامية وقتئذ)، حرب ضد المانيا واليابان (الحضارة الشرقية)، حرب ضد الإسلام (الحضارة العربية والإسلامية) اليوم، ليس هناك من جواب على سبب خوض امريكا لدول الحضارات إلا جواباً واحدا هو إنها تشعر بالنْقص في داخلها، وتحاول استعادت هذا النقص وتعويضه بتدمير حضارات العالم حتى تتساوى معهم، لأنها لا تمتلك حضارة ولا تاريخ عمرها أقصر من عمر حي فقير في وسط بغداد اسمه "حي الفضل" الذي يعمر تاريخاً أكثر من تاريخ الامبراطورية الأمريكية الكاذبة والمزيفة.

فهي تسير على نفس النْهج الصهيوني، لأنها حضارة قائمة على التبريرات والتعليلات لتسويق حروبها، فصنعت من الإسلام خصماً ونداً وعدواً افتراضي وبدأت الحرب لتدمير تلك الحضارة، واستهداف العراق دليل كاف على صدقية كلامنا، لأن العراق صاحب أقدم حضارة في التاريخ ألا وهي حضارة وادي الرافدين، وأول من علم البشرية القراءة والكتابة، وأول من سن قانون وتشريع وهي مسلة حمورابي العامرة، أرض أنبياء الله، ومركز الخلافة الإسلامية (بغداد والكوفة) ومرتع سيدنا ابراهيم الخليل (عليه السلام)، أرض المعابد والمساجد والكنائس والمقدسات، وأرض الصحابة والأولياء والتابعين، فقصدته امريكا لأنه كما قال عنه امير المؤمنين عمر بن

الخطاب (رضي الله عنه): العراق جمجمة العرب ، وكنز الإيمان ، ومادة الأمصار ورمح الله في الأرض ، فاطمئنوا فان رمح الله لا ينكسر.

لماذا تريد امريكا الديمقراطية المزعومة لنا، أليست شعوبها أولى بها منا، ونحن نعلم وجود ٤٠ مليون مواطن امريكي يعيشون تحت خط الفقر وهي أغنى دولة في العالم، وتدعي الحرية والسلام وهي تعيش فوق ارض اغتصبتها من سكانها الأصليين عنوة، وبالقوة الضاربة والمفرطة، وتدعو إلى مَقرَّطة العالم وهي تقمع سكان امريكا الأصل (السّود).

اذن كيف يمكن لدولة أنْ تقود العالم وترعى أمنه وسلامته وتتحكم بمفاصله وتدعي نشر الديمقراطية وهي ذاتها قامت على باطل وعلى اغتصاب اراض واوطان الأخرين، وكيف يمكن لها أنْ تدعي الانسانية ونشر ثقافة اخلاقية وأمريكا وحدها تتصدر الدول من حيث حالات الاغتصاب، تتصدر وحدها جرائم القتل، وهناك كل واحدة من عشرة فتيات يحملن اعراض الحمل وهن دون سنة الخامسة عشر نتيجة للممارسة الجنسية غير المشروعة، ونصف المراهقات يضعن اولاداً غير شرعيين، ونسبة ٣٦% منهن يجهضن الجنين، والإصابات بمرض الإيدز حدث بلا حرج، بلغت عام ١٩٩١ الاصابات بالمرض ٩٠٠٠٠٠ للكبار، و٤٠٠٠٠٠

للأطفال، أكثر من ١٣٠٠٠٠ امريكي ماتوا بالفعل بمرض الإيدز، فهل يمكننا الإندماج بحضارة ملوثة ومتسخة وطاعنة بالعهر لهذا المستوى!

أفاق الحوار الإسلامي ـ المسيحي

لا شك إنْ بروز العولمة باعتبارها عملية التاريخية العميقة التي تشمل العالم في الوقت الراهن؛ بتجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية والتواصلية سبب رئيسي لبروز ظاهرة حوار الحضارات[٢٦٤]؛ وهي الدعوة المجانية للمجادلة والتحاور وفتح أفاق جديدة من العلاقات الإسلامية المسيحية.

لكن هل سيمنعنا هذا البروز للعولمة واحاديث أحاديث هنتنغتون أو غيره من إنهاء فاعلية القطيعة بين الشرق والغرب، وبين العرب والأوروبين؛ وهل سنبقى أُسارى طروحاته وطروحاته أولئك المتربّصين الدوائر بالعرب والحاقدين على إقامة علاقة تعاونية متأخية وطبية بين الإسلام والمسيحية ؟؟

---

[٢٦٤] السيّد يَسيَّن، الديمقراطية وحُوار الثّقافات: تحليل للأزمة وتفكيك للخطاب، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧)، ص٣٦.

ولماذا لا يكون الحوار هو سبيلنا؛ وخيارنا، ومشروعنا الحضاري، حوار الثقافات والحضارات أقرب لنا من التناحر وصدام الحضارات، ولماذا يُركز "العقل الكولونيالي" و"العقل العربي المُلتحْي" على جعل (صدام الحضّارات) هو الدستور الذي نريده أنْ يحكمنْا بنهايته التاريخية المؤدلجة، وهو النْص المقدس الذي من الممكن من أجله أنْ نخوض حربٍ ضروس ندوس فيها على جماجم الأبرياء، أيتها العقول المتخْشبة إثأري على بن هنتنغتون إنهُ أساء السمعة للمسيحية قبل الإسلام.

لا يوجد مانع نْصي في الإسلام يحذرنا من الحوار، أو من التفاوض مع الأخرين لحلحلة قضايانا، بل إنْ الإسلام أول ما يدعو إليه هو التحاور والتشاور والكلمة الطيبة ونبذ الخلافات، والصدام والنزاع ليس من الإسلام من شيء، بل إنْ الحوار واجب شرعي ما دام يحقّق مجموعة من الاشتراطات، من بينها الحفاظ على الهُوية الحضارية للمجتمعات العَربيَّة والإسَّلامية٢٦٥؛ والمسيحية لم تمانع لغة الحوار إذا كان حوراً جاداً ورحبّاً يحافظ على ثوابت الأنجيل.

أنْ المؤتمرات العالمية برآينا لا تحقق الهدف المنشود للحوار، بل إنهُ مُجرد إسرّاف في الأكل ونعيق في بوق أمام جمهور من

---

[٢٦٥] أحمد التلاوي، أمتنْا بيَّن مرّحلتين: تأملات الربيع العربي، ط١، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، ٢٠١٣)، ص٢٢٥.

صحراءٍ قاحلة، موائد أكل، صور عناق، قُبلات مأسورة وأخرى ساخنة، وسجاد أحمر، ولاقطات صوت، ومنابر عملاقة وخطابات رنانة وبالتالي يبقى السيّد بوش والجماعات الإسلامية الإرهابية يتدبرون أمر الحفل، ويستمرون في نهجهم في ذبح الأبرياء، والحل ليس في كُثرة المؤتمرات، وإنما في إعادة قراءة التاريخ الإسلامي والتاريخ المسيحي بعيداً عن الأيديولوجيا والسياسية المصلحية، كما يتطلب من كلا الأطراف مراجعة المناهج التعليمية التي توحي للقطيعة والتنكيل بالديانتين، خصوصاً المناهج التعليمية الدينية التي تحاول الترّبع على عرش القمة بالدُوس على جماجم الديانات الأخرى باتباعها نهج أصولي مغالط.

بمعنى إنْ إشتراط تحقيق الحوار يجب أنْ يتبعه إصلاح للمؤسسات والمناهج، بل وإصلاح للعقول وإعادة ترميمها، وتصليح الخلل فيها، فأزمة صدام العرب بالغرب هي بالأساس أزمة عقل ناجمة عن سوء تقديرات السياسات، لا دخل للدين فيها، إنْما الدين ذاته قد أُلبس زّي السياسة وصار أمراً مُثيراً للخلافات.

اذن لا سبيل لتّصالح العرب مع الغرب إلا من خلال "الطاولة المستديرة" للحوار البناء؛ وتحقيق أسمى درجات التسامح والأخوة لإنسانية، لأن الإسلام روح التسامح، وكذلك المسيحية روحه أيضا.

إيضاحات وإضاءات

قبل أنْ نختم دراستنا (الإسّلمْوفوبيًّا: إكذّوبة الخَطَر الأخْطر) نستنتج لمسلمات تقدم بها الباحثان "جراهام إي . فوللر"، و"إيان أو. ليسر": وتتحدد بثمْة نقاط يمكن أنْ نوجْزها بما يأتي توضيحْها؛ وهي[٢٦٦]:_

١_ أن الصراع بين الطرفين (الشرق والغرب) أو (الشمال والجنوب) أو (الإسلام والغرب)؛ هو ليس صراعاً دينياً مُطلقاً، وإنما هو صراع سياسي واقتصادي وحضاري؛ مُغلف ببطانة الدين.

٢_ أنْ الصراعات كثيراًما تنشب بين أبناء الوطن الواحد، وبين الدولة المسيحية بعضها، والدول الإسلامية بعضها؛ بل إنْ المسيحية الشرقية تعرضت لقهر من المسيحية الغربية.

٣_ أنْ العنف ليس سمة للجماعات الإسلامية وحدها بل هناك جماعات مسيحية وهندوسية تفعل الشئ نفسه وربما أشد قسوة.

٤_ أنْ الغرب كان مسؤولاً _ ولا يزال _ عن إذكاء الصراعات.

---

[٢٦٦] جراهام إي. فوللر، وإيان أو. ليسر، الإسلام والغرب: بين التعاون والمواجهة، ترجمة: شوقي جلال، ط١، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٧)، ص٧_٨.

وهي استنتاجات طرحناها في ثنايا هذا المؤلف قبل انْ لمحتطهِ الحالية، وهي تعبير شبه واضح عن دسيسة الغرب لثقافتنا، وتزويره للحقائق، والمؤامرة المفتعلة لتخريب وتغريب مشروع الإسلام الحضاري النهضوي.

الاستنتاجات

اولاً: إننا نتفق مع طرح السيد محمد حسين فضل الله في إنْ مشكلة الخطاب العربي على المستوى الرسمي هو خطاب يعيش

لحظة خوف وقلق وعجز مطلق أمام الهجمة البربرية الغربية التي تشنها الدوائر الرسمية على مستوى القمة أو العامة، لأن أغلب الأنظمة خاضعة بشكل مريب للغرب، والبعض منهم موظفون لدى الاستخبارات الأمريكية بصفة رئيس جمهورية!

ثانياً: إنْ مشكلة الخطاب العربي على مستوى العامة غالباً ما يتبلور في صورة الجماعات والحركات الإسلامية الراديكالية (الجهادية) بالوقت الذي لا تمثل هذه الجماعات أكثر من ١% من نسبة سكان العالم العربي والإسلامي مجتمعين، ويجب أنْ يفهم الجميع إنْ الحركات الإسلامية لا تمثل إلا نفسها، حتى نحفظ دماء المسلمين في أوروبا والولايات المتحدة، لأن الإسلام ليس فعل إرهاب وقتل، وإنما دين رحمة وعدل ومساواة.

ثالثاً: إنْ اكذوبة الإسلاموفوبيا أو الخطر الاخضر هي مجرد نظرية للتخْوف من احتمالية هجوم المسلمين، أو التحْامل عليه؛ وهو أمر مستبعد مليون بالمائة، فالوضع الاقتصادي والمعاشي والأمني والسياسي والفكري هو أسوى ما تعيشه الأمتين العربية والإسلامية فكيف يعقل لأمة متناحرة تفتك بها الطائفية ويعيث فيها الإرهاب طولاً وعرضاً، إنْ تغزو القارة الأمريكية المتطورة بالتقنية، وحداثة الأسلحة الممنوعة والمحرمة انسانياً وقانونياً واخلاقياً، هو أمر لا يعقله العاقل.

رابعاً: إنْ الإسلاموفوبيا تقابل بكل نبالة "البوشو فوبيا" والاكاذيب المعسولة للرئيس الأمريكي وهو يتحدث عن خطر الإسلام، ولا يتحدث عن إرهاب وبربرية رعاة البقر والمواشي، ولا يتحدث عن سقط متاع تكساس، ولا يتحدث عن إرهاب أكثر مدينة بالعالم من حيث حجم الجرائم والاغتصاب، أقصد نيويورك مدينة الديمقراطية والسلام والأمن في العالم (!)، إذ تقدمت أمريكا والدول الصناعية الاخرى في انواع الجرائم التالية: القتل، الاعتداء الجنسي، السطو على المنازل، سرّقة السيارات، الاعتداء على الأخرين بالضرب[٢٦٧]، كما إنه لا يتحدث عن جرائمه هو في القصف والقتل والدمار والأطفال المشوهة وجوهها أخلاقياً وإنسانياً في العراق وافغانستان بفعل الأسلحة البايولوجية والغازات السامة، والسجون الممتلئة بالفضائح والقاذورات أكثر مما هي ممتلئة بالسجناء أنفسهم (!)، إنْ الحديث عن بشاعة وهمجية وبربرية السيد بوش (الأبن) تندي لها جبين الإنسانية وتمزق نياط القلب وتعصر الوجدان، إنْ الأمر لا يمكن سرّده في تقرير أو تقريرين، إنْ المأساة في العالم اكثر مما يصور ويُشاع؛ وإنْ الكارثة أكبر من أنْ تُسرد.

[٢٦٧] فتحي شهاب الدين، سقوط أمريكا والغرب والبديل الإسلامي، م. س، ص٦٠.

خامساً: إنْ الإسلام لم ينبذ المسيح أو اليهود، وإنْ القرآن الكريم يشير إلى تعظيمهم، ويقول إنهم أهل الكتاب لأنهم تلقوا الرسائل من الخالق، ومن طريق موسى وانبياء العهد القديم، وصولاً إلى المسيح الذي عده الإسلام ثمرة ولادة معجزة لمريم العذراء المباركة٢٦٨ ولهذا لا بد أنْ تعيد الدوائر الغربية النظر بالإسلام من منطلق إنه دين سماوي قداسوي منزه يحترم مكانة عيسى وموسى ومريم العذراء في كثير من النصوص الدينية القرآنية.

سادساً: أنْ العولمة التي يبشر بها النموذج الأمريكي بدأت بيقظة الهُويّات الذاتية لكثير من الجماعات والقوميات، إذ رصد هذه الحالة المفكر "جيدنز" في كتابه: (Consequence of Modernity) إذ رأى العولمه بإنها تفكك بقدر ما تنسق وتساوي في الدمج٢٦٩، بمعنى إنْ العولمة هي مشروع تقسيممي عدواني، يريد إثارة النعرات الطائفية لإنجاح مشروعه الأوسطي، وما تعانيه الأمة العربية هو جزء من بركات ذلك المخطط المدروس سلفاً والمُعد في الدوائر الغربية الاستخباراتية.

سابعاً: أنْ الولايات المتحدة التي تحارب في كل جبهة من العالم والتي تتوشح بعباءة المسيح وقميص اليسوع، إنما هي تلعب بورقة

---

[٢٦٨] بول فندلي، لا سكوت بعد اليوم، م. س، ص٤٤.

٢٦٩ سمير مرقس، الإمبراطورية الأمريكية، م. س، ص١٦_١٧.

الدين لإضفاء قيمة دينية وقداسوية لحروبها الشريرة، ولهذا فجورج بوش الابن يعبر عن نفسه بإنه حامي الصليب وعرش المسيحية، لكن المسلمون يدركون تماماً بأن هدف أمريكا من مهاجمة أراضيهم هو الاستيلاء على نفطهم، ويعلمون بأن امريكا تقاتل من أجل الذهب وليس من أجل الله٢٧٠، وهذا ما نعتقد إنه الصواب؛ وإنْ المصالح هي التي دفعت امريكا لارّتداء المشالح من أجل غزو وتشويه صورة العالم الإسلامي، لكنها رّبطت الدين بالثروة والمال، كما يُربط الحابل بالنابل، لأن النفط صار العمود الفقري للرأسمالية الأمريكية، في وقت أصبحت المسيحية شعار الرئيس بوش.

ثامناً: أنْ المسلمين ليس لديهم مشكلة مع المواطنين الامريكيين وإنما مع الحكومة والساسة الأمريكيين الذين يبررون الحروب، ويشنون الحملات الدعائية العدائية، ويقاتلون الشعوب على ثرواتها، ويجهلون تعليمها أو تثقيفها، بل يحافظون على إبقاءها تحت طاولة التبعية والتردي والامية والتخلف؛ وحرمانهم من المقرَّطة التي جاؤا لهبتها إياهم.

تاسعاً: كان لزاماً على الغرب المسيحي والمسيحية البروتستانية والكاثوليكية والأرثذوكسية الانتفاض ضد جورج بوش الأبن والثأر منه لأنه شوه صورة المسيحية الناصعة البياض، ومرّق بها ونال منها أكثر

٢٧٠ عبد الحي يحيى زلوم، حرب البترول الصليبية، م. س، ص٨.

ما نالته الكنيسة إبان الحروب الدينية، وحولها إلى منفعة مادية تدر أرباحاً باسم المسيح والرّب، وجعلها تعكس صورة سلبية على أوروبا وعلى المسيحية في نظر العرب والمسلمين ودول اسيا وافريقيا، لأن هذا الرجل لعب في توظيف المقدس الديني في المدنس السياسي، ونجح في تشويه صورة المسيحية في العالم، فعليه أنْ يرد اعتبار الكنيسة وأنْ يُعاقب على خيانته مروقه بالمسيحية المقدسة.

الخاتمة

سجّل الإسَّلام حُضّوراً كبيراً ومُمْيزاً بما يمتلكه من ذلك العمق التاريخي؛ والذي قد تعرض للحصار والتمزيق وتعرض للتحدي وللغزو الفكر وللحروب الفعلية المتعددة من قوى استعمار انزلت بذاتها وثقلها في الماضي ونهبت الثروات وحطمت الامبراطوريات ورحلت بعد إنْ اسست للتفكيك والتفتيت، بعد إنْ خلقت حدوداً مصطنعة وأقامت زعامات موالية للاستعمار٢٧١ وإنْ الإسلام السياسي ما جاء إلا لإتمام مسيرة مشبوه بدأها العلمانيين وانتهت بالإسلاميين في تاريخ من الخيانة والعمالة والتواطؤ مع الغرب الاستعماري ضد مصالح ورغبات الأمم والشعوب.

فالإسلاميون ليسوا انبياء جاءوا إلينا مرسلين من الرّب، أو انهم يتمتعون بأخلاق الرُسل وزهد الأنبياء وجهاد الصحابة وورع الأولياء، فهم لا يختلفون عن العلمانيين في رّبط عقولهم بالمنظومة الغربية الأورو _ امريكية، ولا يختلفوا عنهم بشيء إلا فارق واحد هو إنْ العلمانيين مُحلقي الذقن ويقيمون علاقتهم مع الغرب بصورة معلنة وصريحة وبلا حياء، أما الإسلاميين فهم مُلتحْين ويقيمون علاقاتهم مع الغرب سرية بلا كرامة!!

---

٢٧١ د. مصطفى محمود، الإسلام السياسي والمعركة القادمة، م. س، ص٧_٨.

وما يستحق الوقوف عنده هو التجارب العالمية التي استعادت قيمها الحضارية لأديانها، فقد حقق لاهوتيو التحرير في أمريكا اللاتينية وافريقيا انقلاباً جذرياً في اللاهوت التقليدي، وبمواجهة كل الأصوليات، والإسلام هو أيضاً بحاجة إلى فقه التحرير[٢٧٢] فمن الضروري نقد الأصولية وهيكلتها، وارجاعها إلى أصولها الغربية[٢٧٣]، الأمر الذي يعد ضامنة الحقيقية التي تحل لنا مشكلة كبيرة وتختصر مسافة طويلة من عمر وتاريخ العداء الغربي للعرب؛ وتجعل الإسلام منهاجنا وطريقان ومنقذنا الوحيد.

غير إنْ الغرب لا يعادينا إلا لأنه يراودنا نفسه في مصالحنا وثرواتنا وخيراتنا، ويريد اقتسمانا نصيبنا من الثروة، أو التحْكم بها وحيازة رّيعها لجيبه الخاص، وإنْ الإسلاميين _ كثير منهم وليس أجمعهم _ لا يعادي الغرب إلا من أجل هدف مشين هو كسب الشارع العربي أو الإسلامي وتديينه بدين شعبي حزبي مؤدلج لكسب تعاطف الناس لدعمهم في الانتخابات والتصويت لهم في صناديق الاقتراع، وتمثيلهم في هرم السلطة.

---

[٢٧٢] روجية غارودي، **الأصوليات المعاصرة**، م. س، ص٩٨.

[٢٧٣] لأنها في الحقيقة لا وجود لها في الإسلام لا في أصوله ولا في فروعه، كما لا وجود لها في الفكر الإسلامي، فهي مفهوم ومصطلح غربي النشأة بالمرة.

بمعنى إنْ كل ما يُثار من عداء غربي للإسلام، أو ما يقابله من عداء إسلامي للغرب هو للأسف الشديد عداء مُبطن، عداء مؤدلج، عداء مصطنع مُرّتبط بأجندات وأفكار وتحليلات غير مبنية على أسس حقيقية، وإنما على شروط وتصورات أمنية استخباراتية صادرة بشكل تقارير امنية من دوائر مرتبطة بمافايات ووكالات وشبكات تجسس تعمل لصالح منظمات عالمية.

ومن هنا أدعو الغرب إلى ضرورة إعادة قراءة الإسلام من أمهات الكتب وليس من الإسرائيليات المدّسوسة، وليس بالاعتماد على المناهج التي تضعها بين ايديهم الدوائر المخابراتية أو تعتمد في بحثها على التقارير الامنية اليومية، وضرورة أنْ يُميز العرب بين غرب استعماري وغرب انساني، لا أنْ يخلط الأوراق في بناء تصوراتنا للأخر، والسعي الجاد لحوار أديان حقيقي لا حوار دبابات تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية وانصارها في الشرق والغرب.

وما نعتقدة في نهاية المطاف: بإنهُ ليس هناك مفهوم "غرب" أو مفهوم "إسلام" خارج إطار الإيديولوجيا، وإنْ كانا موجدين فلا قيمة لهما في ميدان الحساب والعقاب، والعلاقات السياسية المضطربة، وأساس إشاعة هذين المفهومين وتنامي حدة القطيعة بينهما على حساب المشاركة الفعالة والتعاون والمساهمة البينية ناجم عن نزعة أيديولوجية عدوانية محضة مرتكسة للتراث السلبي ومخلفات التاريخ،

من جهة، وواضعه مصالحها كمعيار أساس للتعاون دون الواجب الأنساني والمعيار الاخلاقي الذي أفرطت به العولمة وضحت به الرأسمالية بكل سياساتها.

قائمْة المصادر

مصادر الإسلاموفوبيا

أولاً: اللغة العربية:

١_ القرآن الكريم

٢_ السنة النبوية

٣_ الكتب

_ إبراهيم محمود، الفتنة المقدسة: عقلية التخاصم في الدولة العربية الإسلامية، ط١، (بيروت: دار رياض الريس للنشر، ١٩٩٩).

_ إبراهيم نافع، جنون الخطر الأخضر وحملة تشويه الإسلام، ط١، (القاهرة: مؤسسة الإهرام للنشر، ٢٠٠٤).

_ أحمد التلاوي، أمتنْا بيِّن مرّحلتين: تأملات الربيع العربي، ط١، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، ٢٠١٣).

_ د. أسعد السمحراني، العروبة والإسلام، ط١، (بيروت: دار النفائس، ٢٠١٢).

_ د. إسماعيل الشطي، الإسلاميون وحكم الدولة الحديثة، ط١، (بيروت: دار ضفاف، ٢٠١٣).

_ د. أشرف حافظ، أيديولوجيا النظم السياسية والإسلام، ط١، (عمان: دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩).

_ د. الحبيب الجنحاني، العولمة والفكر العربي المعاصر، ط١، (القاهرة: الشروق،).

_ السيد يسين، أسئلة الفرن الحادي والعشرين: الكونية والأصولية ما بعد الحداثة، الجزء الأول (نقد العقل التقليدي)، ط١، (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٦).

_ السيّد يَسيَّن، الديمقراطية وحُوار الثّقافات: تحليل للأزمة وتفكيك للخطاب، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧).

_ أمين حافظ السعدني، أزمة الأيديولوجيات السياسية، ط١،(القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٤).

_ د. برهان غليون، اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، ط٥، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩).

_ د. برهان غليون، سمير امين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ط٢ (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢).

_ د. برهان غليون، نقد السياسة: الدولة والدين، ط٤ ،(الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧).

_ برنارد لويس، لغة السياسة في الإسلام، ترجمة: أبراهيم شتا، ط١، (د. م، دار قرطبة للنشر، ١٩٩٣).

_ بول فندلي، لا سكوت بعد اليوم: مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أمريكا، ط٥، (بيروت: شركة المطبوعات للنشر، ٢٠١٠).

_ تركي علي الربيعو، الحركات الإسلامية في منظور الخطاب العربي المعاصر، ط١، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩).

_ تيري ايجلتون، الإرهاب المقدس، ترجمة: أسامه أسبر، ط١، (دمشق: بدايات للنشر، ٢٠٠٧).

_ تيموثي ميتشل، الدِّيمُقراطيَّة وَالدَّولة في العالم العربيِّ، ترجمة: بشير السباعي، ط٢، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥).

_ جان فرانسوا بايار، (وأخرون)، الإسلام والفكر السياسي: الديمقراطية _ الغرب _ ايران، تحرير وتقديم: د. رضوان زيادة، ط١، (الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠).

_ جراهام إي. فوللر، وإيان أو. ليسر، الإسلام والغرب: بين التعاون والمواجهة، ترجمة: شوقي جلال، ط١، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٧).

_ د. جمال البدري، السيف الأخضر: دراسة في الأصولية الإسلامية المعاصرة، ط١، (القاهرة: دار قباء للنشر، ٢٠٠٢).

_ جمال سند السويدي، أفاق العصر الأمريكي: السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد، ط١، (الأمارات، ٢٠١٤).

_ د. جيرمي سولت، تفتيت الشرق الأوسط: تاريخ الاضطرابات التي يثيرها الغرب في العالم العربي، ترجمة: د. نبيل صبحي الطويل، (دمشق: دار النفائس، ٢٠١١).

_ حسام كصاي، الطائّفيَّة صدّمة الإسّلام السيَّاسي، ط١، (عمان: دار أمواج للنشر، ٢٠١٥).

_ حسام كصاي، نقد النظرية الثيوقراطية السياسية، ط١، (عمان: دار أمواج للنشر، ٢٠١٥).

_ د. جُوُرج قُرم، المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين، تعريب: د. خليل أحمد خليل، مراجعة: وينسيب عون، ط١، (بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧).

_ جون أسبوزيتو، "الإختلاف على الدولة لا على الإسلام"، في: راشد الغنوشي، (وأخرون)، العلمانية والممانعة الإسلامية: محاورات في النهضة والحداثة، حوار: علي العميم، ط٢، (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢).

_ د. حسن حنفي، د. محمد عابد الجابري، حوار المشرق والمغرب: نحو إعادة بناء الفكر القومي العربي، ط١، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠).

_ الشيخ حسين الخشن، الإسلام والعنف: قراءة في ظاهرة التكفير، ط١، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦).

_ د. حسين سعيد، بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند المفكرين العرب المسلمين في مصر، ط١، (بيروت: المؤسسة العربية للراسات والنشر، ١٩٩٣).

_ د. حسين فوزي النجار، الإسلام والسياسة: بحث في أصول النظرية السياسية ونظام الحكم في الإسلام، (القاهرة: مطبوعات الشعب، ١٩٦٩).

_ حسين موسى الصفار، الطائفية بين السياسة والدين، ط ١، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩).

ـ د. حيدر ابراهيم علي، أزمة الإسلام السياسي: الجبهة الإسلامية القومية في السودان نموذجاً، ط٥، (القاهرة: مركز دراسات السودان، ١٩٩٥).

ـ خالد محمد خالد، لو شاهدت حوارهم لقلت، ط١، (القاهرة: دار المقطم للنشر، ١٩٩٤).

ـ خليل علي حيدر، التصور السياسي لدولة الحركات الاسلامية، سلسلة محاضرات (٨)، ط١، (الأمارات: مركز الأمارات الدراسات والبحوث الاستراتيجية، ١٩٩٧).

ـ دينيس سميث، الأجندة الخفية للعولمة، ترجمة: علي أمين علي، ط١، (القاهرة: المركز القومي للترجمة. ٢٠١١).

ـ رفعت سعيد، التأسلم: فكر مسلح، ط١، (دمشق، الطليعة الجديدة، ١٩٩٦).

ـ رفيق عبد السلام، تفكيك العلمانية في الدين والديمقراطية، ط١، (تونس: مكتبة تونس الأولى، ٢٠١١).

ـ روجيه غارودي، الأصوليات المعاصرة: اسبابها ومظاهرها، تعريب: خليل احمد خليل، ط١، (باريس: دار الفين للنشر، ٢٠٠٠).

_ ريتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، ترجمة: عبد الوارث سعيد، ط١، (مصر: دار الوفاء للنشر، ١٩٨٩).

_ زكي الميلاد، الإسلام والمدنية، ط١، (بيروت: دار العلوم ناشرون، ٢٠٠٧).

_ د. سامي زبيدة، الإسلام: الدولة والمجتمع، ترجمة: عبد الألة النعيمي، ط١، (بيروت: مؤسسة المدى للنشر، ١٩٩٥).

_ د. سَعّد الدِّين إبراهيم، "الإسَّلام السياسي ماضياً وحاضراً ومستقبلاً"، في: مجموعة باحثين، الإسلام السياسي وآفاق الديمقراطية في العالم الإسلامي، ط١، (الرباط: مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، ٢٠٠٠).

_ د. سَعيد بنسَعيد العَلوي، أدْلجَة الإسّلام بَيّن أهلهُ وخُصوْمة، تقديم: د. محمود إسماعيل، ط١، (القاهرة: دار رؤية للنشر، ٢٠٠٨).

_ د. سعيد بنسعيد العلوي، "الإسلام السياسي ظاهرة حديثة ولا ينتمي إلى زمن الإسلام الأول"، في: راشد الغنوشي، (وأخرون)، العلمانية والممانعة الإسلامية: محاورات في النهضة والحداثة، حوار: علي العميم، ط٢، (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢).

ـ د. سمير أمين، د. برهان غليون، حوار الدولة والدين، ط١، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦).

ـ سمير مرقس، الأمبراطورية الأمريكية: ثلاثية الثروة، الدين، القوة من الحرب الأهلية إلى ما بعد ١١ سبتمبر، ط١، (القاهرة: الشروق الدولية، ٢٠٠٣).

ـ سيّد قطب، دراسات إسلامية، ط١٠، (القاهرة: الشروق، ٢٠٠٢).

ـ شاكر النابلسي، أسئلة الحمقى في السياسية والإسلام السياسي، ط١، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥).

ـ شاكر النابلسي، تهافت الأصولية: نقد فكري للأصولية الإسلامية من خلال واقعها المعاش، ط١، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٩).

ـ صلاح سالم، الأساطيّر المؤسسة للإسّلام السيَّاسي، الجزء الأول، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤).

ـ صموئيل هنتنغتون، الإسلام والغرب: أفاق الصدام، ترجمة: مجدي شرشر، ط١، (القاهرة: مدبولي، ١٩٩٥).

_ صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، مراجعة: صلاح قنصوة، ط٢، ط٢، (نيويورك: سطور، ١٩٩٩).

_ د. عبد الإله بلقزيز، الإسلام والسياسة: دور الحركة الإسلامية في صوغ المجال السياسي، ط١، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١).

_ عبد السلام حمدي اللمعي، صراع الحضارات أم حوار الدبابات، ط١، (القاهرة: وهبة للنشر، ٢٠٠٥).

_ د. عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩).

_ د. عبد الله العروي، من ديوان السياسة، ط١، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، د. ت).

_ د. عبد الحميد متولي، أزمَة الفكر السَّياسي الإسلامي، تقديم: د. عبد الحليم محمود، ط٣، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥).

_ عبد الحي يحيى زلوم، حرب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد، ط١، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥).

ـ عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم: د. أسعد السحمراني، ط٣، (بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٦).

ـ د. عبد الودود شلبي، كلنا أخوة: سنة .. و .. شيعة، ط١، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨).

ـ د. عبد الوهاب احمد الأفندي، الإسلام والدولة الحديثة: نحو رؤية جديدة، ط١، (لندن: دار الحكمة، د. ت).

ـ عدنان زرزور، جذور الفكر القومي والعلماني، ط٣، (بيروت: دار المتكب الإسلامي، ١٩٩٩).

ـ د. عصام نور، العولمة وأثرها على المجتمع الإسلامي، (مصر: مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٣).

ـ علي حرب، تواطؤ الأضداد: الألهة الجُدد وخراب العالم، ط١، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨).

ـ علي نوح، "العرب في صحوة إسلامية أم انتكاسة مجتمعية؟"، في: مجدي جماد، (وأخرون)، الحركات الإسلامية والديمقراطية: دراسات في الفكر والممارسة، ط٢، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١).

_ د. عماد علي عبد السميع حسين، تَجْديد الخَطَاب الدَيّني بما يَتَناسب مَع رُوح العَصر، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤).

_ د. فائز صالح محمود اللهيبي، إشكالية الخوف من الإسلام: بين الرؤية الغربية والواقع الإسلامي، ط١، (دمشق: دار النهج، ٢٠٠٩).

_ فتحي شهاب الدين، سقوط أمريكا والغرب والبديل الإسلامي، تقديم: عبد المنعم سليم جبارة، ط١، (القاهرة: مؤسسة أقرأ للنشر، ٢٠١١).

_ فرانسوا بورغا، الإسلام السياسي: صوت الجنوب، ترجمة: د. لورين زكري، ط١،(القاهرة: دار العالم الثالث، ٢٠٠١).

_ د. فريد هاليدي، الإسلام وخرافة المواجهة: الدين والسياسة في الشرق الأوسط، ط١، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧).

_ تقديم: كاي حافظ، الإسّلام وَالغَربُ وإمْكانية الحوار، ترجمة:صلاح محجوب إدريس، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥).

_ (مجموعة من الباحثين)، الإسلام والديمقراطية والتحديث، ترجمة: د. شيرين ت. هنتر، د. هوما مالك، ط١، (القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٩).

_ تقديم: محمد احمد دياب، الأصولية الاسلامية والأصوليات الدينية الأخرى، (بيروت: منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية،).

١ شاكر النابلسي، تهافت الأصولية: نقد فكري للأصولية الإسلامية من خلال واقعها المعاش، ط١، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٩).

_ الشيخ محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي، ط١، (القاهرة: نهضة مصر للنشر، ١٩٩٧).

_ السيد محمد حسين فضل، المدنس والمقدس: أمريكا وراية الإرهاب الدولي، ط١، (بيروت: دار رياض الريس، ٢٠٠٣).

_ المستشار محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، ط٤، (القاهرة: مدبولي الصغير، ١٩٩٦).

_ المستشار محمد سعيد العشماوي، الإسلام والسياسة، ط١، (بيروت: دار الانتشار العربي، ٢٠٠٤).

_ د. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧).

_ د. محمد عثمان الخشت، الإسلام والعلم: بين الافغاني ورينان، ط١، (القاهرة: دار قباء للنشر، ١٩٨٩).

_ د. محمد عمارة، الاقليات الدينية والقومية، ط١، (القاهرة: نهضة مصر، ١٩٩٨).

_ د. محمد عمارة، الدولة الإسلامية، بين العلمانية والسلطة الدينية، ط١و (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٨).

_ د. محمد عمارة، نظرية الخلافة الاسلامية، (القاهرة: قضايا اسلامية معاصرة، د.ت).

_ مصطفى بكري، الفوضى خلاقة أم مدمرة: مصر في مرمى الهدف الأمريكي، ط١، (القاهرة: الشروق الدولية، ٢٠٠٥).

_ د. مصطفى محمود، الإسلام السياسي والمعركة القادمة، ط١، (القاهرة: أخبار اليوم، ١٩٩٧).

_ د. محمود إسماعيل، الإسلام السياسي بين الأصوليين والعلمانيين، ط١، (الكويت: دار الشراع العربي، ١٩٩٣).

_ ميثم الجنابي، الإسلام السياسي في جمهوريات وسط آسيا الإسلامية، سلسلة دراسات معاصرة، (٢)، (السعودية: مكتبة الملك فيصل للبحوث والنشر، ٢٠٠١).

_ د. نبيل عبد الفتاح، سياسات الأديان: الصراعات وضرورات الإصلاح، ط١،(القاهرة: دار ميرات للنشر، ٢٠٠٣).

_ نزيه أيوبي، "أشكال الإسلام الحديث بين التعبير الثقافي والدور السياسي"، في: نزيه أيوبي، (وأخرون)، الإسلام السياسي: وأفاق الديموقراطية في العالم الإسلامي، ط١، (الدار البيضاء: مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث والدراسات، ٢٠٠٠).

_ هَاشِم صَالح، مُعضلة الأصوليَّة الإسْلاميَّة، ط٢، (بيروت: دار الطليعة للنشر، ٢٠٠٨).

_ هادي العلوي، في الإسلام المعاصر، (د. م، د. ت).

_ هاني فحص، "أمتناع تنميط الدولة"، في: انو أبو طه، (أخرون)، مأزق الدولة بين الإسلاميين والعلمانيين، تحرير وتقديم: د. معتز الخطيب، ط١، (القاهرة: مدبولي، ٢٠١٠).

_ د. هشام جعيط، الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، ترجمة: المنجي الصيادي، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٤).

٤_ الرسائل

_ حسام كصاي، جدلية العلاقة بين الدين والسياسة في الفكر العربي المعاصر: برهان غليون ومحمد عمارة، (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، القاهرة، جامعة الدول العربية/ معهد البحوث والدراسات العربية، ٢٠١٢.

٥_ الدوريات:

_ أبراهيم غرايبة، "قراءة في كتاب: نشوء الإسلام السياسي الراديكالي وانهياره"، في: الإسلاميون في الواقع السياسي العربي، تحرير: شفيق شقير، الملفات الخاصة، أعداد مركز الجزيرة للبحوث والدراسات، الدوحة، ٢٠٠٦.

_ د. تيتال قادروييف، "الاستشراق"، مجلة الشرق الأوسط الديمقراطي، بغداد، العدد الأول، ٢٠٠٥.

_ حسام گصاي، "العَرَب: من غزوة مانهاتن .. إلى غزوة الشانزليزيه"، جريدة العراق اليوم، بغداد، العدد ٢٢٦٩، يوم الاثنين المصادف ٢٠١٥/١/١٢.

_ حسام گصاي، "جدل المقدس والمدنس أو الدين والسياسة"، صحيفة العرب، لندن، العدد٩٦٨٧، في ٢٠١٤/٩/٢٢، السنة ٣٧.

_ حسام گصاي، "وحدة الدين وخلاف السياسة"، جريدة الزمان، بغداد_ لندن، العدد ٤٧٩٣، السنة السادسة عشر، ٢٠١٤/٤/٢٣.

_ سعد الدين العثماني، "الإسلاميون وأسباب الحضور الشعبي المتقدم"، في: الإسلاميون في الواقع السياسي العربي، تحرير: شفيق شقير، الملفات الخاصة، أعداد مركز الجزيرة للبحوث والدراسات، الدوحة، ٢٠٠٦.

_ عبد الغني سلامة، "عصر الثورات العربية: الأسباب والخصائص والتداعيات"، مجلة شؤون عربية، القاهرة، العدد ١٤٨، ٢٠١١.

_ عبد المحسن سلامة، "الراعي الرسمي للإرهاب"، جريدة الاهرام، القاهرة، العدد ٤٦٧٨٠، السنة (١٣٩)، ٢٠١٥/١/٤.

_ د. فواز جرجيس، "الإسلام السياسي وأمريكا: نصف قرن من التحالف، نصف قرن من العداء"، مجلة المجلة، لندن، العدد ١٥٥٨، السنة ٢٠١٠.

_ د. محمد احمد السامرائي، "العولمة السياسية ومخاطرها على الوطن العربي"، مجلة الفكر السياسي، دمشق، العدد ١٣ ١٤، السنة ١٩٩٨.

_ د. محمد عمارة، وثائق التحريض على الطائفية، (الأهرام، العدد ٤٥٦٢١ في ٢/١٢/٢٠١١).

_ د. مصطفى عبد الله الكفري، "العولمة الهاجس الطاغي في المجتمعات العربية المعاصرة"، مجلة الفكر السياسي، العدد ١٨_١٩، ٢٠٠٣.

_ د. نعيمة شومان، "العولمة في التكنولوجيا الحديثة"، مجلة الفكر السياسي، دمشق، العدد١، السنة ١٩٩٧.

٦_ أنترنيت:

_ "العداء الغربي للإسلام والمسلمين" .. دراسة توثيقية للحملات التي شنها الغرب على الإسلام،" جريدة الدستور، الأردن، العدد ١٦٩٨٢، ١٩/تشرين الأول، ٢٠١٤.

_ الموسوعة العالمية، ويكيبيديا، في ٧/١٠/٢٠١٤ يوم الثلاثاء/ العراق/ مساءاً، على الرابط التالي:_ http://ar.wikipedia.org 7

_ د. برهان غليون، "الطائفية في الدولة والمجتمع" موقع الجزيرة الالكتروني.

_ حسام كصاي، "التسويق الطائفي ونظرية الفوضى الخلاقة"، موقع الحوار المتمدن، العدد ٤٣٨٧، في ٨/٣/٢٠١٤، على الرابط التالي:_ http://www.ahewar.org

_ حسام كصاي، "اغتيال العقل العربي خرافة الجهل المقدس"، صحيفة المثقف، العدد٢٨٩٣، يوم الخميس، ٢٠١٤/٨/٧.

_ حسام كصاي، "جدّل المقدس والمدنس"، موقع الحوار المتمدن، يوم الأحد ٢٥_١_٢٠١٤.

ثانياً: اللغة الانكليزية

_١Emil Durkhiem, The Elementary froms of Religious Life,p42 .

_٢Juliette Minces, The House of Obedience; Women's Oppression in Algeria (London; Zed Books, 1982).

_٣Oppenheim, A.H., Questionaire Design Measurement, Heinemann Education Books, London, 1978, p.9_10.

ClifordGeerts, Ideologies, p.11 _4

سيرة ذاتية وعلمية (C. V)

الاسم: حُسام كصّاي

التولد: العراق_ ١٩٨١

التحصيل الدراسي:

_ بكالوريوس علوم سياسية _ جامعة بغداد ٢٠٠٤

_ دبلوم عالي علوم سياسية ٢٠١١/ مصر

_ ماجستير علوم سياسية/ قسم الفكر السياسي العربي المعاصر ٢٠١٢/ مصر

_ مدرس مادة الفكر السياسي العربي الإسلامي المعاصر في كلية العلوم السياسية/ العراق.

_ عضو هيئة التدريس في فرع الفكر السياسي/ كلية العلوم السياسية.

المناصب والعضويات

_ عضو نقابة الصحفيين العراقيين/ بغداد.

_ عضو منظمة حمورابي لحقوق الإنسان/ بغداد.

_ عضو مؤسس في منظمة الرافدين الثقافية/ بغداد

_ عضو الجمعية العراقية للعلوم السياسية/ بغداد

_ ناشط في مجال منظمات المجتمع المدني ونشر الديمقراطية.

_ باحث في العلوم السياسية

_ باحث في مجال حقوق الإنسان

_ باحث متخصص في القضايا الأمة العربية القومية منها، ومختص ف شؤون الحركات الإسلامية والقضايا الدينية كالأصولية الرّاديكالية والعنف والتطرف الديني والإسلام السياسي والطائفية، وقضايا التحول الديمقراطي والحداثة والنهضة والتنمية.

_ كاتب مقال في صحيفة الزمان الدولية طبعة لندن وبغداد والصباح والصباح الجديد والنهار.

_ انشر مقالات في عدد من الصحف المحلية (العراق اليوم، المستقبل العراقي، النهار؛ العرب اللندنية).

_ لدي اكثر من مؤلف قيد الطبع.

_ عملت محررا في صحف (الافق، الوطن، السيادة البغدادية)

_ عملت محققاً وكاتباً صحفياً في صحف (الزمان، الصباح الجديد، الوطن، السيادة، النهار).

_ أكتب مقال سياسي منتظم عدة مواقع (كتابات، الحوار المتمدن، صحيفة المثقف، وصحيفة الكرنك المصرية الناصرية).

_ عضو هيئة تحرير جريدة السيادة.

_ لي مقال اسبوعي عن قضايا التحول الديمقراطي ومقرطة العالم العربي في صحيفة الصباح.

_ عملت محرراً للأخبار السياسية في قناة البغدادية/ القاهرة

الجوائز:

_ جائزة أفضل كاتب شاب عربي للعام ٢٠١٥ عن الجائزة العربية للشباب العربي للعام ٢٠١٥

العمل الحالي:

_ مدرس لمادة ((الفكر السياسي العربي المعاصر)) في كلية العلوم السياسية/ جامعة تكريت

_ اكتب مقالي منتظم في صحيفة الزمان الدولية/ طبعة لندن وبغداد.

_ أكتب مقال أسبوعي منتظم في صحيفة الصباح.

_ أكتب مقال في صحيفة الأمة العربية الجزائرية.

الإصدارات والمؤلفات:

الأعمال والمؤلفات المنشورة

١_ كتاب: (حُقوُق الإنسَّان العَرَبَي: إلى اين: بَحْث فيّ مَأسَّاة أمة)، عن دار رؤى للنشر والتوزيع والإعلام في تونس، ٢٠١٤.

٢_ كتاب: (الإسلام والديمقراطية: تشوهات الأصل والصورة)، عن دار رؤى للنشر والتوزيع والإعلام في تونس، ٢٠١٤.

٣_ كتاب: (التَحْوّل الدّيمُقراطي في الوَطَن العَرَبَي)، دار المجتمع العربي، عمان، الأردن، .٢٠١٥

٤_ كتاب: (الدّين وَالسَّياسّة فِيّ الفِكر العَرَبَي المُعَاصّر)، دار المجتمع العربي، الأردن، .٢٠١٥

٥_ كتاب: (الطائفية صدمْة الإسلام السياسي)، دار أمواج، الأردن، عمان، .٢٠١٥

٦_ كتاب: (نقد النظرية الثيوقراطية السياسية)، دار أمواج، الأردن، عمان، .٢٠١٥

٧_ مجموعة شعرية (دُمُوع بلا ضَرَيّبة دَخْل)، عن دار الحضارة، مصر، القاهرة، ٢٠١١.

٨_ كتاب: (أزمة الفكر العربي المعاصر: العروبة والإسلام والهوية)، دار دجلة، الأردن، .٢٠١٥

٩_ كتاب: (إشكالية الطائفية في الفكر العربي المعاصر: آليات الخروج الأمن للعرب من نفق التطرّف)؛ دمشق: دار صفحات، .٢٠١٦

١٠_ كتاب: (ما بعّد الثوّرات: ربيّع عَرَبي أم خرّيف إسلاموّي)، ط١، (عمان: دار دجلة ناشرون وموزعون، ٢٠١٦).

١١_ كتّاب: (العُرُوُبة والطائفيَّة: أزمة الفكر القومي العربي المعاصر)، ط١، (عمان: دار دجلة ناشرون وموزعون، ٢٠١٦).

١٢_ كتاب (إشكالية التطرّف الديني في الفكر العربي المعاصر)، عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الفائزة بجائزة أفضل كتاب لعام ٢٠١٥.

١٣_ كتاب: (الفكر السياسي للشيخ جمال الدين الأفغاني: مهندس الإصلاح الديني ومارتن لوثر العرب)، (القاهرة: دار اكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٦).

١٤_ كتاب (الإسلاموفوبيا: أكذوبة الخطر الأخضر)، (القاهرة: دار أكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٦).

<u>المؤلفات والأعمال الجاهزة وغير المنشورة:</u>

١٥_ الأصولية الإسلامية الرّاديكالية: الهجوم الإسلامي على الإسلام!

١٦_ الإسلام السياسي: النْص والرصاص.

١٧_ الظاهرة الإسلامية: التشكيل الطائفي للإسلام المعاصر.

١٨_ عوّدة الديني: الإسلام السياسي والحداثة: هل يمكن ترّميم العلاقة مع التراث.

١٩_ نظرية الحاكمية: نقد الفكر الديني، النصوص واللصوص.

٢٠_ الإسلام الرّاديكالي بين الأصولية والحدّاثة.

٢١_ العقّل العربي الملتحْي.

الكُتب والأعمال في قيد الانجاز:

٢٢_ مفهوم الحكومة الإسلامية أو حكومة الله.

٢٣_ النظرية الإسلامية المعاصرة.

٢٤_ الإسلام العربي: الدين والدولة.

٢٥_ سيد قُطب: التطرّف الدينْي والعُنف الأصولي.

٢٦_ ما بعد الإسلام السياسي: أزمة الحداثة والإسلام.

٢٧_ نَحُو خِطَاب دينْي مُعَاصر: إشكاليات الإصلاح والنْهضّة والحداثة.

٢٨_ الحركات الإسلامية: المصاحف والسيوف

٢٩_ نقد الطائفية: الدين والدولة والسياسة

٣٠_ أزمة الثقافة القومية المعاصرة

٣١_ الإسلام السياسي والعنف الأصولي: ولادة عولمة إسلامية جديدة!

وأخرى قيد العمل

البحوث المنشورة

_ نُشر لي أكثر من بحث: اهمهما: بحث عن إشكالية الطائفية في الفكر العربي المعاصر، وأثرها على المجتمع العربي: دارسة في حالة العراق.

_ بحث (مفهوم الثورات العربية والمواقف الإقليمية والدولية منها)، مجلة العلوم السياسية/ جامعة تكريت.

_ بحث مشاركة دولي بعنوان: (نحو إعادة تجديد الخطاب الديني المعاصر) في المؤتمر الذي أقامته وزارة الثقافة المصرية بعنوان: (دور القوى الناعمة في مواجهة التطرّف والإرهاب).

_ **المؤتمرات**

_ مؤتمرات محلية (١): مؤتمر كلية العلوم السياسية/ جامعة تكريت/ العراق/ ٢٠١٤.

_ مؤتمرات دولية (١): مؤتمر وزارة الثقافة المصرية/ القاهرة/ ٢٠١٥.

_ المهنة: كاتب صحفي ومدرس جامعي.

_ محل الإقامة: متنقلاً بين كردستان العراق والقاهرة.

_ الإيميل الشخصي: rookbird83@yahoo.com

الفهرست

الفهرست

المقدمة

الفَصّل الأوُل:

هَلْ الإسَّلام مُشّكلة ؟

_ مدخل نظري ____________

_ الإسلام الطقوسي ______-______

_ الإسلام: حفر بالحجر ____________

_ الإسلام الأمريكي ____________

_ الإسلام الأصولي ____________

_ الإسلام السياسي: ظاهرة القرن ______

_ جدّل المسلم والإسلامي ____________

_ هل الإسلام مشكلة ؟ ____________

_ الجهل بالإسلام ____________

_ جوهر الإشكال الإسلامي _ الغربي ______

الفصل الثاني:

الإسَلاَم والعَوُلمْة: عَصَر الهَيَمْنة الأمْرَيَكيَّة

_ مُبتدأ الحديث ____________

ـ أصل العولمة ــــــــــــــ
ـ مشاعية العولمة ــــــــــــــ
ـ مبدأ الإمبريالية ــــــــــــــ
ـ الإسلام في ميزان الهيمنة الأمريكية ــــــــ
ـ إسلام بدون عولمة ــــــــــــــ
ـ أسلمة العولمة ــــــــــــــ

الفصل الثالث:

الإسّلام وَالَسيَّاسّة: جَدّل الطائْفيَّة

ـ الإسلام والسياسة ــــــــــــــ
ـ الأصالة والمعاصرة ــــــــــــــ
ـ أصل الأزمة السياسية في الإسلام: أزمة الخلافة ــــ
ـ العقل العربي: التفكير بالاتجاه المعاكس ــــــــ
ـ التفكير والتكفير: أعمال العنف ــــــــــ
ـ نظرية المؤامرة ــــــــــــــ
ـ الإسلام والسياسة: وتارةٍ أخرى ــــــــــ
ـ حديث الطائفية: ما لها وما عليها ــــــــ
ـ حصاد الطائفية ــــــــــــــ

_ الطائفية: مشروع صهيوني ________
_ الطائفية خلاف السياسة وليس الدين ________
_ كلمة بحق الإسلام السياسي ____________

الفصل الرابع:

الظَاهَرّة الإسَّلاميَّة: إعَادَة الهيكلة والتَشَكيّل

_ تأليه الظواهر ____________
_ أسباب بروز الظاهرة الإسلامية ____________
_ الأنبعاث السياسي للظاهرة الإسلامية ________
_ الحركات الإسلامية أداة حكومية ____________
_ حقيقة العداء المقدس ______________
_ حروب البترول الصليبية ______________
_ الغرب: تنبؤا فأخطأت حساباتهم ________

الفصل الخامس:

الإسَّلامُو فُوبَّيا: وَهَم الأيّديوُلوجيّا الخَضَرَاء

_ الرّهاب الإسلامي أو الإسلاموفوبيا ________
_ الصحوة الخضراء ____________
_ الإرهاب الإسلامي الرّاديكالي ____________

ـ الإسلام: صناعة العدو الافتراضي ______

ـ أصل العداء للإسلام ______________

ـ خطر الإسلام أم خطر على الإسلام ______

ـ شيراك أذهب إلى مكة ! ____________

ـ إشكالية الخَوْف من الإسلام: بحث في الأسباب ____

ـ هنتنغتون والواقع ______________

ـ إنهم يدعون علينا ما لم نعترف __________

الفصل السادس:

الفَتْنَّة وصناعة الخوف: دولة شيوخ المودرن

ـ الفَتْنَّة المعَمَّمّة: دولة شيوخ المودرن ________

ـ الفاشية الإسلامية ________________

ـ الفاشية المسيحية: لماذا السكوت عنها ________

ـ علاقة الإسلام السياسي بالاستبداد __________

ـ علاقة الإسلام بالإرهاب ______________

ـ صناعة الخوف ________________

ـ الإسلام الأيديولوجي ____________

ـ الإسلام في ثقافة التسييس ____________

ـ عودة الإسلامو فوبيا ـــــــــــــــــــــــ
ـ الحركات الإسلامية تُمثل نفسها فقط ـــــــــــ
ـ الإسلام والديمقراطية: جدّل الزمان والمكان ـــــــــ
ـ الديمقراطية أكذوبة العصر ـــــــــــــــــــــــــ
ـ خلاصة القول ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل السابع:

الإسَّلام والعَلمْانيَّة: صِرَاع الإيَدّيوُلوجْيَّات

ـ خطاب الأيديولوجيات ـــــــــــــــــــــ
ـ إشكالية الأيديولوجيا ـــــــــــــــــــــــ
ـ العقيدة السياسية العلمانية ـــــــــــــــــــــ
ـ الظاهرة الحزبية الدينية ـ السياسية ـــــــــــــــ
ـ ماذا لو لم يتعلمن العرب ؟ ـــــــــــــــــــــ
ـ عيوب العلمانية ـــــــــــــــــــــــــــــــ
ـ رفض العلمانية وحده لا يكفي ـــــــــــــــــ
ـ التجديد هو الحل: نحو ثورة في الفكر الديني ـــــــ
ـ كلمة بحق العلمانية ـــــــــــــــــــــــ

الفصل الثامن:

الإِسَّلام وَالغرَب: في خُصُومْة الأنْا وَالأخْر

_ نقطة نظام ____________________

_ الإسلام والغرب ____________________

_ محاربة الإسلام بالنزعة التبشيرية والاستعمارية ______

_ دور الاستشراق ____________________

_ دوافع الاستشراق ____________________

_ لا للعلمنة .. لا للثقرطة ________________

_ الإسلام السياسي والمسيحية السياسية: جوهر الصراع _____

_ "المسيحو فوبيا": خطاب على الجانب الأخر _______

_ الأنا والأخر: جدّل التسميات ______________

_ الغرب: صناعة إسلام وفق المواصفات الغربية ________

_ صراع الحضارات: ليس كتاباً وإنما طروحات أيديولوجية خاصة

الفصل التاسع:

الإِسَّلام وَأمْريّكا: حَقَيّقة الإرهْاب والسُقُوط الأمْريّكي المدّوي

_ إلى أين العالم يسير ؟ ________________

_ تشويه الأصل والصورة ________________

ـ أصل الإرهاب ____________
ـ الإسلام ووسائل الإعلام المشؤوم ______
ـ الإرهاب: صناعة أمريكية ________
ـ خطاب الترهيب ____________
ـ مفهوم الفوضى الخلاقة __________
ـ إرهاب أمريكي وليس إسلامي ________
ـ أكذوبة الخوف من الإسلام (الأكذو فوبيا)! ____
ـ مفهوم الشرق الأوسط الكبير: نظرية احتواء الإسلام ـ
ـ وفاة الخطاب العربي الرسمي ________
ـ الإرهاب: نقطة الخلاف الإسلامي ـ الأمريكي ___
ـ افول التفوق الأمريكي __________
ـ عصر الانحطاط الأمريكي _________
ـ السقوط الأمريكي ___________
ـ ردّة الفعل: صورة الأمريكي في عين العرب ____

الفصل العاشر

مُستَقبل العِلاقة بَيّن الإسَّلام وَالغَرَب فيّ ظّل الإسَّلامُوفوبَّيا

_ مدخل أخير ____________

_ الإسلام والاخر ____________

_ الأصولية والصهيونية ____________

_ انبعاث الإسلام ____________

_ لماذا جورج بوش؛ وليس الأمير تشارلز ______

_ كلمة بحق أمريكا ____________

_ إيضاحات وإضاءات ____________

_ النتائج ____________

_ **الخاتمة** ____________